مروان الماضي

الإدارة الأمريكية المحافظة

وتسييس نبوءات التوراة لآخر الزمان



بسم الله الرحمن الرحيم

الإدارة الأمريكية المحافظة

وتسييس نبوءات التوراة لآخر الزمان

مروان الماضي

الإدارة الأمريكية المحافظة

وتسييس نبوءات التوراة لآخر الزمان

AZ
10/10/09

الرقم الاصطلاحي: ٢٣١٤,٠٣١
الرقم الدولي: ISBN: 1-59239-386-1
الرقم الموضوعي: ٣٢٠
الموضوع: العلوم السياسية
العنوان: الإدارة الأمريكية المحافظة
التأليف: مروان الماضي
التنفيذ الطباعي: دار الفكر - دمشق
عدد الصفحات: ٢٤٨
قياس الصفحة: ١٤×٢٠ سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

توزيع دار الفكر - دمشق

ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية
فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ - ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
e-mail: info@fikr.com

الطبعة الأولى

ذو القعدة ١٤٢٥هـ

كانون٢ (يناير) ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾
[الحج: ٢٢/٣٩].

صدق الله العظيم

إهداء

إلى المعذبين في أرض فلسطين
إلى الصابرين والصامدين في ملاحم البطولة والشهادة
إلى المظلومين الصامدين أهدي كتابي هذا
ولسان حالي يترحّم على كل شهيد،
وقلبي المفطور يشاطر الآباء والأمهات
في مصابهم الأليم، طالبًا الصبر والعون لجميع
الجرحى والمسجونين ومساعدة المتضررين
في أملاكهم وأموالهم.

المحتوى

الصفحة

الموضوع

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

تمهيد

ينبغي توخي الحذر بألا يرسم المرء خططاً دينية للمستقبل بنبوءات ساذجة في رسم أحداث اليوم الأخير، إذ إن أحد أخطار هذه التعاليم والأفكار الألفية هو التركيز الحتمي المفرط والمعتمد على تأسيس دولة إسرائيل السياسية ودورها في أحداث اليوم الأخير.

إن الخطر الأكبر هو الميل إلى استخدام القوة في سبيل الوصول إلى النهاية، خاصة في تسوية النزاعات الدولية التي لها اتصال بالأفكار الألفية. بينما الدلائل تشير إلى أن الاقتصاد المادي هو الدافع الأساسي لهذه النظريات.

إن الأمر الغريب في هذه الأفكار الجبرية هو إكسابها نبوءات وتصورات غيبية حتى تملك مشاعر المؤمنين بها، ويكون لها صفة القدسية، بينما نرى نهضة الغرب وتطوره في جميع المجالات الحياتية تقوم على العلم والموضوعية.

لكن الاستعمار في القرن الماضي والمصالح المرعيّة للغرب المتمثلة في الهيمنة والسيطرة على العالم، وبشكل خاص هيمنة الإدارة

الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية، شجعت الصهيونية، بالتحالف مع الإمبريالية الأمريكية، على رسم كل الخطط لتحقيق هدفهم الرئيس، وهو السيطرة على مكامن النفط ومصادره.

وأكبر مهزلة لنبوءة موعد تأسيس دولة إسرائيل هي أنها تقول: يتم تأسيس الدولة بعد سقوط المسيح الدجال، وهذا يعني أن دولة إسرائيل مخالفة بالتأكيد للتفسيرات التنبئية، لأن إسرائيل قامت قبل سقوط المسيح الدجال وليس بعده.

وقد قال القاموس الديني: "إن فريقاً يقول: سيكون هذا في عام ٢٠١٦م، وآخر قال: ١٨٦٦م".

مُقَدِّمَة

انتهت الحرب الباردة في نهاية القرن العشرين، وانزاح كابوس الخطر الذي استمر بين قطبين يملكان سلاحاً مدمراً قادراً على إبادة الحياة عن وجه المعمورة، وبدأ العالم يتنفس الصعداء، ويحلم بمستقبل مريح تتلاقى فيه الحضارات والمدنيات؛ ليعمّ التعاون والمحبة بين البشر، حيث لا غالب ولا مغلوب، وتتحوّل الأسلحة إلى خدمات إنسانية تفيد الجميع من البشر، ويرفد كل شعب بإسهاماته السياسية والاقتصادية والروحية من أجل أن يمتلك كل طفل، أي طفل في العالم، جميع مقومات الحياة الكريمة.

تلك هي الغايات قبل الأخيرة التي هي في وسع جميع المؤمنين، مهما يكن إيمانهم بها، ومن واجبهم أن يهدفوا إليها وأن يبلغوها معاً. فالمؤمنون هم الذين ليست الحياةُ حياةً عندهم إلا إذا كان لها معنىً.

لكن سرعان ما تبدد الحلم، وتجهم الواقع، وبدأت الليبرالية في تضليل الاقتصاد، زاعمة أنها متطابقة مع الحرية الإنسانية

والديمقراطية في حين أنها نقيضها. إنها حرية الأغنى والأقوى في افتراس الأفقر والأضعف، باسم هذه الليبرالية التي تخلط بالحرية، تُرتكب كل يوم أسوأ الابتزازات المادية والسياسية والدينية، وهذا النوع من الحرية هو ما يريد قادة الولايات المتحدة الأمريكية أن ينشروه على الكوكب كله.

لقد قال بوش الابن: «يجب تأسيس سوق من آلاسكا إلى أرض النار». وأضاف سكرتير دولته: «يجب خلق سوق وحيدة من فانكوفر إلى فلاديفوستك».

إن المشكلة المطروحة هي مشكلة اقتصادية وسياسية ودينية على نحو لا يتجزأ، من الناحية الاقتصادية تريد الولايات المتحدة (إمبراطورية النبوءات) أن تتفرد في الأسواق العالمية لاينافس شركاتها أي منافس، ويأتي سوق النفط في مقدمة مطامعها ولما كان بترول العرب يعادل $\frac{2}{3}$ احتياطي العالم مخزوناً وإنتاجاً، فليس أمام الإدارة الإمبريالية سوى ضمان تدفق هذه الطاقة بالسعر الذي تراه حتى تنضب هذه الطاقة من محلها.

ولحماية هذا الضمان ساهمت وتساهم في تنصيب الحكام المساندين لها، وربط هؤلاء الحكام بسياساتها الجشعة عن طريق التهديد بإسرائيل (الحارس الأمين) المتخمة بالتكنولوجية والسلاح، ومن ثم خلق نزاعات بين هؤلاء الحكام، وتحريضهم بعضهم على بعض وتشجيعهم على شراء السلاح الأمريكي لاسترجاع الأموال التي دفعوها ثمن النفط ولتصريف السلاح

المتراكم والذي لم يوظفوه مرة إلا لقتل مواطنيهم، أو جيرانهم من العرب.

لقد التقت المصالح الأمريكية مع المصالح الصهيونية منذ سبعة عقود من الزمن، واستطاعت الصهيونية بمنظماتها العديدة أن توجه الكنائس الأمريكية بثقافتها التوراتية والتلمودية، واستطاعت هذه المنظمات أن تحوّل المسيحية بشكل جذري إلى اليهودية، وأن تتبنى كنائس الولايات المتحدة وجهات النظر الإسرائيلية، حتى أصبح العهد القديم هو المرجع الروحي للمسيحيين بشكل عام. لذلك نرى أن بعض المحافظين في الإدارة الأمريكية الحالية وغيرهم ممن سبقوهم، وقد غُسلت أدمغتهم وتمسكوا بالتوراة ونبوءاتها، يحاولون جاهدين تحقيقها، وإكسابها صفة القدسية الروحانية.

ما أحقر تحويل الأسطورة المؤسسة لتحرير الإنسان، الأسطورة النموذج للهبات البشرية في جميع العصور، وتحويلها إلى حلقة للعرض والمشاهدة، حلقة من تاريخ وحيد صالحة لتبرير شعب مختار وحيد من قبل إله قبلي متميز.

إن هذه الظاهرة تهدف إلى اختزال الأساطير الخلاقة، اختزالها إلى التاريخ الطبيعي وهي حالة خاصة من حالات عودة الأيقونة إلى وثن. وعلى عكس التاريخ الخطّي أو الدّوري، تاريخ ضرورة السيطرة والدمار والعودة إلى مرحلة الحيوانية بمعاركه، وإمبراطورياته، وفاتحية، خالقي العبوديات.

مثلما يمنّي بوش الابن نفسه بأنّ الله هيأ له جميع الظروف لمعركة هرمجدّون وقدوم المسيح وكان قد سبقه إلى هذا الحلم بامتياز ريغان في أثناء غزو الجيش الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢ إذ قال: "والآن اقتربت معركة هرمجدّون"(١).

يقول تعالى في القرآن الكريم:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة: ٥/٧٨].

المؤلف

(١) العرب واليهود في التاريخ. د. أحمد سوسه ٤٠٥.

الفصل الأول

التوراة والمكتشفات الآركيولوجية

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢/ ٧٩].

التوراة في المنفى

لم تعرف العشائر المتنقلة وسواها من أفراد العشائر الرحل مصطلح إسرائيل، إذ كانوا يدينون بالولاء لزعيم العشيرة، ويتبعونه في الحل والترحال، همهم الوحيد البحث عن الكلأ والماء، وعندما اكتظت صحراء سيناء بهم، ولم تعد مراعيها تكفي لرعي مواشيهم أرغموا على البحث عن مجالات حيوية أخرى تقيهم شر الفاقة والتناحر على المرعى، فلم يجدوا خيراً من التوجه إلى أرض كنعان، ولتحقيق ذلك كان لابد لهم من توحيد كلمة العشائر، وإيجاد زعيم يقودهم ويبدو أنّ موسى تمكن من توحيدهم بعد أربعين عاماً من النضال المرير، وأطلق على هذا التجمع اسم بني إسرائيل الذين أغاروا على أرض كنعان، واقتطعوا قسماً منها

واستوطنوا فيه. ولما كانت الغاية الوحيدة التي جمعت هذه الكتل البشرية قد تحققت، عادت كل فئة من بني إسرائيل إلى قبيلتها الضيفة، وقطعت صلاتها مع الفئات الأخرى، وهكذا انفرط عقد التحالف، ولما زاد عليهم الضغط من قبل السكان الأصليين (الكنعانيين) وجدوا أن لا مفر لهم من توحيد صفوفهم، والتفوا حول شاؤول الذي أطلقوا عليه اسم ملك، لكن الفرقة تأصلت بينهم، وانشطرت مملكتهم بعد موت سليمان إلى مملكتين، يهودا، وعاصمتها القدس، وإسرائيل في شكيم (نابلس) وظلت المملكتان في نزاع وصراع دائمين حتى أزيلتا من الوجود عن طريق الآشوريين والكلدانيين، وأخيراً الرومان، وتشتت أتباعهما في مختلف بقاع الأرض[١].

وفي النص البابلي استطاع أحبارهم ورجال الدين أن يكتبوا التوراة في القرن السادس ق.م أي بعد موت موسى بسبعة قرون، وكان الدافع عند زعمائهم لكتابة التوراة هو عقدة النقص التي واجهتهم في المنفى، إذ وجدوا الأقوام الأخرى لها حضارات بارزة، وأنهم باتوا نكرات في تلك المجتمعات والشعوب، فأراد زعمائهم ورجال الدين أن يصعّدوا من مقامهم ويرفعوا من قدرهم، فنسبوا كل شخص عظيم إليهم حتى أكملوا كتابة التوراة على فترات طويلة من الزمن، ونسبوها إلى موسى زوراً. إذ لم يقدر

---

(١) المصدر نفسه.

أي إنسان أن يكشف الكتاب الذي أنزل على موسى. كما أنهم كتبوا التلمود لتفسير التوراة، ووصف سلوك السلف ورجال الدين وأقوالهم، حتى أصبح التلمود المرجع الأساسي للدين اليهودي، وربما نجد حماسة عند بعضهم في تقديس التلمود والأخذ بتعاليمه أكثر من التوراة.

ورغم كل النكسات التي أصابتهم كانوا يعاودون الثورة كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وأخيراً أيقنوا أن لا أمل لهم في النجاح مادامت الفرقة تسودهم وما داموا يفتقرون إلى وحدة القيادة، فقد قرروا في العهد الروماني توحيد صفوفهم وقياداتهم، وبما أنهم لا يملكون المقومات اللازمة لتحقيق هذا الهدف، فقد لجؤوا إلى الدين ووظفوه لخدمة مصالحهم وأهدافهم، واعتمدوا رجال الدين، لتكوين القيادة المرجوة باعتبارهم كانوا نواة المقاومة اليهودية في عهد المنفى، وهكذا ظهر إلى الوجود المجلس السبعيني الذي رافق موسى لتلقي الكلمة، والذي كلفه يهوه بالإشراف على شعبه المختار وإدارة شؤونه الدينية والدنيوية، ولما كان اليهود يرَوْن التوراة وكل ما ينسب إلى موسى الحكم الفصل في وجودهم، انطلت هذه الفرية عليهم، وأعلنوا خضوعهم في جميع مستعمراتهم لسلطة المجلس الكهنوتي الأعلى وبايعوه بالطاعة والولاء، فاعترفت الدولة الرومانية رسمياً بسلطته على شؤون اليهود العامة وساندته في مهامه، حتى إنها عاونته في جباية العشر من اليهود في جميع المستعمرات الرومانية. استغل المجلس الأعلى اليهودي اعتراف

روما بسلطته، وسارع في توثيق عرى الوحدة القومية بين اليهود، ودرس أوضاع جالياتهم، واستعرض الفرضيات المختلفة، ووضع الحلول لها، ومن ثم بدأ بكتابة التلمود وتوزيعه على أتباعه، على أنّه المنهج الأساسي الذي ينبغي السير بموجبه.

وفي أواخر العهد الروماني وسع المجلس نشاطه الإداري، وأوجد هيئة المشنا لتثابر على كتابه التلمود، وتساعده في الإشراف على شؤون الشعب، ومن ثم ألحق بها هيئة أخرى سميت بهيئة الكهنة أو الكتاب، لتساعد حكماء المشنا في المناطق والأقاليم.

ولما أيقن المجلس اتساع مجال نفوذه أوجد مؤسسة أخرى أكثر قدرة على تسيير أمور الشعب، أطلق عليها اسم هيئة الكمال السرية (komal)، وكلفها المجلس في آواخر القرون الوسطى بإدارة الشؤون السياسية والعنصرية، وهذه الهيئة السرية تتكون من الأثرياء والعلماء والكهنة والفلاسفة والكتّاب والاختصاصيين من مختلف الاتجاهات. وظلت أسماء هؤلاء مكتومة ومجهولة، إلا أن السيد (هيبس) يؤكد أن أبرز أعضائها بعد الحرب العالمية الأولى كانوا من الأثرياء أمثال؛ روتشيلد وفاربورغ وساسون وولف[١].

(١) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير. مروان الماضي ٢٢١.

التوراة والاكتشافات الأثارية

كانت التوراة قبل الاكتشافات الآثارية الأخيرة المصدر الأساسي الذي يرجع إليه الباحثون في تدوين تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه، باعتبارها أقدم كتابة في التاريخ القديم، فضلاً عن إدعاء قدسيتها، مما وضعها خارج نطاق التحليل التاريخي العلمي. وقد بقيت على هذا النحو قروناً عديدة لانعدام الأدلة والبراهين القاطعة، حتى كشفت لنا الكتابات التي خلّفها الأقدمون الذين سبقوا عهد التوراة وهم؛ السومريون والأكديون والكنعانيون، والحثيون والبابليون والآشوريون والمصريون - عن كثير من الأمور الغامضة.

الرواية التوراتية: وذلك من أجل الكشف عن حقيقة ما جرى في فلسطين خلال الجزء الأخير من الألف الثانية ق.م، وكامل الألف الأولى قبل الميلاد، وهي الفترة التي تغطيها أحداث التوراة. ومن أجل وضع تعريف لما يسمى بالثقافة الإسرائيلية والشعب الإسرائيلي.

مراحل الحقبة التوراتية

بدأ التنقيب الآركيولوجي في فلسطين منذ أواسط القرن التاسع عشر، وقد أوردت منظمة التنقيب في فلسطين التي أحدثت في بريطانية عام ١٨٦٥ في معرض تحديد أهدافها بالقيام بالتحريات الجادة في مجال التنقيب الأثري والدراسات الطبوغرافية

والجيئولوجية والجغرافية وعادات وتقاليد الأرض المقدسة، وذلك من أجل إلقاء الضوء على كتاب التوراة.

ومنذ ذلك الوقت تتابعت أجيال المنقبين، وكلٌّ يحمل التوراة بيد ومعول التنقيب باليد الأخرى في محاولة لإثبات صحة التوراة، واستطاع عدد من المنقبين الموضوعيين خلال العقدين الماضيين، التوصّل إلى نتائج علمية لم ترضِ سلطات الاحتلال الإسرائيلي من أمثال الهولندي (فرانكن) والأميركية كاثلين كينيون kathleen kenyon، وقد منعت الأخيرة من التنقيب في فلسطين، وكذلك دخول الأرض المحتلة خلال السنوات التي سبقت وفاتها عام ١٩٧٨. ومن الوثائق والمصادر الأثرية هذه يمكن تقسيم الحقبة التوراتية إلى المراحل التالية(١).

١- عصر الآباء

هناك اتفاق بين المؤرخين، على أن تحركات الآباء الواردة في سفر التكوين، قد جاءت في فترة الاضطرابات التي أحدثها ظهور العموريين في الهلال الخصيب في نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، أي تلك الفترة التي تميزت بتعطيل تام للمراكز الحضارية في المنطقة من حيث تدمير المدن والنزوح والهجرات، وتشير البيانات الأثرية في فلسطين إلى دمار كامل لعدد كبير من المدن، وحصول فترة فراغ طويلة في حياة دويلات المدن الفلسطينية، مما يدل على أن القادمين

(١) أركيولوجيا فلسطين والتوراة. فراس سواح ١٣١.

الجدد كانوا من البداة الرعاة الذين لم يأبهوا لسكن الحواضر، والرأي السائد أن الآباء ينتسبون إلى هذه الأقوام، وذلك اعتماداً على الأصول اللغوية لأسمائهم. وإن تحركاتهم التي ابتدأت مع نزوح إبراهيم من بلاد الرافدين، قد انطلقت منذ مطلع القرن التاسع عشر قبل الميلاد (١٨٠٠) ق.م[١].

وانطلاقاً من هذا الواقع لا يمكن العثور على أية بينات أثرية تثبت رواية سفر التكوين بسبب الترحال والتنقل وعدم الاستقرار، وتضمنت النصوص التاريخية تماماً في هذا الموضوع سواء في بلاد الرافدين أو فلسطين أو مصر التي يفترض أن يوسف بن يعقوب قد رحل إليها، وصار هناك وزيراً أوّل لفرعون، وذلك حسب الرواية التوراتية. من هنا فإن كل ما كتب ويكتب اليوم حول هذه الفترة من إبراهيم إلى يوسف هو محض تخيُّل وافتراض، ومحاولة لاستقراء نصوص التوراة وتفسيرها بكثير من الخيال، ويمكن أن نكتفي بالقول: إن الفصل في أمر عصر الآباء استناداً إلى علم الأركيولوجيا والتاريخ غير ممكن في الوقت الحاضر.

٢- الخروج[٢]

يصمت كتاب التوراة صمتاً تاماً عن الفترة التي قضاها أبناء يعقوب في مصر، الذي صار اسمه إسرائيل بأمر من الرب. فالنص

---

(١) المصدر نفسه ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه ١٣٣.

ينتقل مباشرة من موت يوسف واستعباد بني إسرائيل من بعده إلى مولد موسى بعد أربعة قرون من ذلك، وهذا هو ما دفع الكثير من الباحثين إلى الاعتقاد بعدم وجود علاقة بين قصص الآباء، وقصة الخروج من مصر، وأنّ الربط بين النقلين قد تم في الأزمان المتأخرة، على يد مؤلفي التوراة.

أما زمن الخروج من مصر فعلى الرغم من المجهود الكبير الذي بذله المؤرخون التوراتيون لإثبات تاريخية قصته، فإن التاريخ وعلم الآثار بقيا صامتين صمتاً مطبقاً عن ذلك الحدث المركزي في تاريخ ومعتقد بني إسرائيل(١).

أما فيما يتعلق برواية عبور نهر الأردن واقتحام بلاد كنعان، فالمقاومة المسلحة التي واجهها الإسرائيليون من ملوك شرقي الأردن، لا أساس لها من الصحة، لأن منطقة شرق الأردن كانت خالية تماماً من المراكز الحضرية بين القرن السابع عشر والقرن العاشر قبل الميلاد، كما أثبت ذلك علم الآثار. أما الاقتحام الصاعق للأراضي الكنعانية عبر الأردن وتدمير وإحراق مدنها الرئيسية فلم تقم عليه أي بيّنة أثرية أو تاريخية، بل العكس من ذلك لأن الآركيولوجية الحديثة في فلسطين أثبتت بطلان الرواية التوراتية، والبرهان على ذلك يكمن في أخذ نتائج التنقيب الآركيولوجي في المدن الثلاث الكبرى التي يروي التوراة في سفر

---

(١) العرب واليهود ٨٣.

يشوع عملية تدميرها وإحراقها وقتل سكانها عن بكرة أبيهم، وهي مدن أريحا وعاي وحاصور[(١)].

فأما أريحا فقد فسر بعض المؤرخين سقوطها على أنه نتيجة زلزال نسبه المهاجمون إلى معجزة من الرب. ولكن علم الآثار له رأي مختلف في هذا الموضوع، فرغم أن الزلازل كانت متكررة الوقوع في فلسطين، وأن سور أريحا قد تصدع بسببها أكثر من مرة. إلا أن كل آثار الدمار الزلزالية في أريحا تعود إلى أزمنة سابقة للتاريخ المفترض لاجتياح الإسرائيليين بكثير، وثبت أن آخر زلزال وقع في العصر البرونزي الأول نحو ٢٣٠٠ ق.م، وأن المدينة بنيت مجدداً في العصر البرونزي الأوسط نحو ١٩٠٠ ق.م. حيث استمرت الحياة فيها إلى عام ١٥٦٠ ق.م حين هجرها سكانها، ثم عادت الحياة مجدداً في العصر البرونزي الأخير، ولكن دون أسوار وتحصينات ليغمرها النسيان إلى ما بعد العصر الحديدي الأول خلال ١٣٠٠ ق.م، وكانت خالية، ولم يكن هناك مدينة اسمها أريحا عندما دخل الإسرائيليون إلى فلسطين، وكذلك الحال لمدينتي عاي وحاصور لم تكونا موجودتين عند الاجتياح الإسرائيلي المزعوم على هذه المناطق، وقد دمرتا قبل دخولهم فلسطين في نهاية القرن الرابع عشر.

من هذه الأمثلة الثلاثة ومن مطابقة بقية الروايات التوراتية

(١) أركيولوجيا التوراة وفلسطين ١٣٤.

لاقتحام فلسطين على نتائج التنقيب الآركيولوجية، نستنتج أن مؤلفي التوراة قد ضموا في رواية واحدة أزمنة وأحداثاً متباعدة لا يربطها رابط، وصاغوها ضمن تسلسل زمني، فشكلوا منها رواية متماسكة عن بدايات وجودهم في أرض كنعان[١].

وبشكل عام تثبت التنقيبات الأثرية في فلسطين استمراراً لحضارة الكنعانيين المتصلة خلال الألف الثاني قبل الميلاد دون انقطاع، أو فجوات، أو تغيّر في الأنماط الفنية والمعمارية، أو أنماط الاستيطان. ولا يشير علم الآثار إلى أنه في وقت ما من النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد قد حلت في فلسطين أقوام جديدة ذات ثقافة جديد مغايرة للثقافة الكنعانية السائدة فيما عدا الشريط الساحلي، الذي استوطنته موجة من شعوب البحر في مطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد، دعيت هذه الأقوام بالفلسطينيين. إذ استطاع علماء الآثار تحديد تاريخ قدوم هذا الشعب الجديد اعتماداً على التغير الواضح في الأنماط الخزفية وغيرها من بقايا مادية وفنية للسكان الجدد[٢].

٣- عصر القضاة

يصف سفر يوشع اقتحام القبائل الإسرائيلية الاثنتي عشرة أرض كنعان واستيلاءها على فلسطين الداخلية كاملة، بينما نجد

(١) أركيولوجيا التوراة وفلسطين ١٣٤.

(٢) المصدر نفسه ١٣٤.

سفر القضاة يخالف تلك الصورة تماماً، عن تلك القبائل المنتصرة، فبعد الاستقرار في الأرض الجديدة، نجد أن القادمين الجدد ليسوا إلا جماعات مفككة منقسمة إلى فريقين متخاصمين، هما قبائل الشمال والقبائل الجنوبية، وأن خطاً من المدن الكنعانية القوية (أورشليم، جازر - عجلون) تفصل بين المجموعتين، وتمنع اتصالهما، وأنّ الكثير من المدن الكنعانية التي من المفترض أنها وقعت في أيدي الإسرائيليين إبان اجتياحهم، تعيش حياتها الطبيعية كمدنٍ كنعانيةٍ مستقلة.

دام عصر القضاة أكثر من قرنين من الزمان، ومع ذلك لم يستطع علم الآثار تقديم أي دليل على وجود الإسرائيليين خلال تلك الحقبة، فإما أن يكون القادمون الجدد على جانب كبير من الهمجية والتخلُّف إلى درجة لم تمكّنهم من التأثر بجيرانهم المتطورين وتطويرثقافة خاصة بهم، وهذه فرضية مستحيلة، أو أن هؤلاء القادمين المفترضين لم يكن لهم وجود تاريخي قط[١].

ويفسر المؤرخون التوراتيون هذا الواقع المتناقض: تفسيرات أكثر تناقضاً وأقرب إلى النفس اللاهوتي منها إلى المنطق التاريخي، فهذا عالم اللغات القديمة البروفيسور سيروس غوردون في كتابه (الشرق القديم) الذي أفرد ثلثي الكتاب لتاريخ بني إسرائيل في معرض تفسيره لأحوال الإسرائيليين في عهد القضاة بقوله: "عند اقتحام أرض كنعان لم يمارس الإسرائيليون عملية إبادة كاملة

---

(١) المصدر نفسه ١٣٥.

للكنعانيين، ولم يطردوهم من أراضيهم ومدنهم، وحينما كانت شوكة الإسرائيليين تقوى: كانوا يستعبدون الكنعانيين ويشغلونهم في أعمال السخرة لصالحهم. لقد أرادت المشيئة الإلهية إبقاء الكنعانيين إلى جانب بني إسرائيل، من أجل إبقاء روح النضال قوية، وشعلة الإيمان متقدة في إسرائيل. فإذا رجحت كفة الكنعانيين في الصراع، عاد الإسرائيليون عن غيهم، وانقلبوا إلى عبادة الإله الواحد القادر على تخليصهم من يد أعدائهم(١).

دام عصر القضاة أكثر من قرنين من الزمان وكما أسلفنا لم يستطع علم الآثار تقديم أي دليل على وجود الإسرائيليين خلال هذه الفترة في فلسطين.

٤- المملكة الموحدة

وفق رواية التوراة دامت المملكة الموحدة ثلاثة أرباع القرن، وهي الفترة الوحيدة التي عاش فيها الإسرائيليون تحت لواء واحد. وقد بالغت التوراة في وصف تلك الدولة واتساعها، بطريقة تداخلت معها الحقيقة بالخرافة والخيال. وبعد موت شاؤول أول ملوك بني إسرائيل، خلفه شاب هو الملك داود، الذي هزم الفلسطينيين، ووجه أنظاره بعد ذلك إلى أورشليم فاستولى عليها، وأزاح الخط الفاصل بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب، ووحد لأول مرة وآخر مرة قبائل بني إسرائيل في مملكة واحدة، ثم اتجه

---

(١) العرب واليهود في التاريخ ٤٤.

بعد ذلك إلى توسيع مملكته باستيلائه على منطقة شرق الأردن، وعلى بعض الممالك الآرامية، أما ابنه سليمان فقد اتجه إلى البناء والتشييد والتجارة والنشاط الدبلوماسي. وإذ بنى سليمان في أورشليم هيكل الرب. الذي كان أعجوبة البناء في عصره إلى جانب بناء المنطقة الملكية بقصورها المتعددة، وأبنيتها الإدارية، وجمل العاصمة، وقوى تحصينها، وبالإضافة إلى أورشليم، فقد أعاد سليمان بناء ثلاث مدن كنعانية قديمة هي (حاصور، مجيدو، وجازر) وقد بلغ من ضخامة ثروة سليمان في ذلك الوقت أنّ سفنه قد جاءت في إحدى غزواتها محملة بأربع مئة قنطار من الذهب (أي ما يعادل سبعة عشر ألف كيلو غرام بأوزاننا المعروفة اليوم) وبلغ من رخاء الناس أن الفضة في أورشليم كانت مثل الحجارة[١].

هذا ما روته التوراة، فأين هي البراهين الآركيولوجية التي تؤكد ذلك؟

إنه حتى الآن لا يمكن التثبت تاريخياً من وجود مملكة داود وسليمان، أو من توسعهما إلى الحدود المذكورة في التوراة، ولم يتم العثور على نص واحد فيه ذكر لداود الفاتح أو لسليمان العظيم، سواء في آرام أو كنعان أو بلاد الرافدين أو مصر، التي زوجت ابنة فرعونها إلى سليمان بينما المكتشفات الآثارية تشير إلى استمرار الحضارة الكنعانية في المملكة الإسرائيلية المفترضة.

---

(١) أركيولوجيا فلسطين والتوراة ١٣٥.

ففي أورشليم: مدينة سليمان تتابعت البعثات التنقيبية منذ أواسط القرن التاسع عشر إلى عام ١٩٦٧ دون تحقيق نتائج تذكر فيما يتعلق بالكشف عن المدينة القديمة، وقد صار مؤكداً حتى الآن استحالة الحصول على حجر واحد من بقايا المدينة السليمانية، وأقصى ما استطاع المنقبون الوصول إليه هو المدينة البيزنطية والمدينة الرومانية من تحتها، وبعد أن صرف المنقبون أذهانهم نهائياً عن معبد سليمان عثروا على مقربة من مكانه المفترض وضمن مسافة لا تزيد عن ثلاث مئة متر من جدرانه على معبد صغير يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وقد تبين فيما بعد أنه معبد كنعاني مكرّس لعبادة آلهة الخصب، وذلك اعتماداً على وجود نصب (المازيبوت) وهو نصب مشكل من عمود أو عمودين يرفعان رمزاً لآلهة الخصب في جميع معابد كنعان. أما قصور سليمان الخرافية التي بناها لزوجاته العديدات حول المدينة وإصطبلاته التي كانت تؤوي آلاف الأحصنة ومراكزه الإدارية، وكلها مما أطنب التوراة في وصفه، لم يعثر لها جميعاً على دليل أو أثر[1].

إن التنقيبات الحديثة في مملكة سليمان لم تستطع تقديم بينات على ازدهار المملكة ورخائها، إذ أشارت جميع مواقع التنقيب إلى أن سواد أهل المملكة كانوا يعيشون حياة ريفية فقيرة جداً وبسيطة إلى أبعد الحدود، الأمر الذي عزاه المؤرخون إلى تركيز الملك

(١) العرب واليهود في التاريخ ٨٥.

سليمان على العاصمة، وبذله معظم موارد الدولة من أجل تنظيمها وتجميلها. وهذا تفسير يصعب إثبات صحته، لأن أورشليم السليمانية قد ضاعت إلى الأبد.

٥- عصر الانقسام

عادت الخلافات القبلية بعد موت سليمان ٩٢٥ ق.م وانقسمت البلاد إلى مملكة إسرائيل في الشمال، وعاصمتها السامرة، ومملكة يهوذا في الجنوب، وقد تبع مملكة الشمال عشرة أسباط، أما مملكة الجنوب فسبط واحد يهوذا، وتوزع السبط الثاني عشر بين المملكتين اللتين عاشتا صراعاً دائماً حتى دمارهما على يد الفاتح الآشوري ومن بعده البابلي[١].

قام الملك عمري ببناء عاصمة الشمال هي مدينة السامرة (نابلس حالياً) حيث أقامها على التربة العذراء، فوق تل اشتراه من أحد المواطنين الكنعانيين، وهذه المدينة الوحيدة التي يمكن أن يُعزى بناؤها إلى الإسرائيليين في فلسطين، سواء استناداً إلى الرواية التوراتية أو إلى نتائج التنقيبات الأثرية، أما بقية المدن فإما أنّها قد جددت أو بنيت فوق مواقع مدن أخرى منها كما هو حال مدن سليمان (حاصور - مجيدو وجازر) إذ تطابقت نتائج المكتشفات الأثرية مع الرواية التوراتية.

وتعطينا مدينة السامرة صورة واضحة عن الطراز الكنعاني

---

(١) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير ٨٠.

للمدن التوراتية. ففي المنطقة التي تم الكشف عنها بصورة كاملة، وهي السور والمنطقة الملكية والمركز الإداري للمدينة يتجلى الطابع الكنعاني في التنظيم والعمارة والأسلوب في البناء والفنون، إن المملكة الحقيقية المزدهرة قد استمرت في الشمال، حيث الأراضي الزراعية الخصبة، والطرق المفتوحة على التجارة في البر والبحر. أما المملكة الجنوبية التي لم تنل من القسمة سوى الأرض البور، فقد عاشت أورشليم حالة عزلة محاطة ببلاد معادية من جميع جهاتها، بينما انفتحت السامرة على بقية العالم الكنعاني والآرامي، وصارت جزءاً منه إلى أن ذابت تماماً في الثقافة الهلنستية اللاحقة، وازداد انكفاء مملكة يهوذا على نفسها تدريجياً، ودخلت في التحجر والمحافظة على النمط الذي عاشه اليهود حتى نهاية تاريخهم[(١)].

لقد كان للسّبي الآشوري الذي ذهب إلى الأبد بأسباط إسرائيل العشرة، وللسَّبي البابلي الذي شمل سبط يهوذا أكبر الأثر في الطريقة التي كتب فيها أحبار من بني إسرائيل تاريخهم، وأسسوا لمعتقداتهم، فالإله الواحد لإسرائيل هو اللواء الذي يمكن أن يجمع شتات الشعب، ويعيد تجمعه، وفكرة شعب يهوه المختار هو المعادل النفسي لحالة الذل والهوان في المنفى، والشريعة الموسوية التي أخذت شكلها الأخير في بابل بعد الاحتكاك بذلك المجتمع المتحضر ذي الشرائع القديمة هي التي يمكن أن تعطي ملامح

---

(١) أركيولوجيا فلسطين والتوراة ١٣٦.

واضحة لمجتمع متماسك جديد. أما الوعد بالأرض الذي قطعه الرب لآباء إسرائيل ولموسى من بعدهم فليس في جوهره وعداً بامتلاك الأرض (أرض كنعان) من أصحابها، بل هو وعد بالعودة من الأسر البابلي لمن تبقى[1] من عشيرة يهوذا، وتذكير بوجود أرض موعودة لشعب منفي. ولكن ذلك كله لم يجد الإسرائيليين نفعاً، ففي عهد قورش الفارسي الذي أنهى مملكة بابل، عاد قسم من المنفى إلى أورشليم، بينما آثر كثيرون البقاء في مواطنهم الجديدة، وقد شكل العائدون دولة صغيرة جداً حول أورشليم، ولكنهم ازدادوا انغلاقاً وعزلة بالغربة والتميز عن جيرانهم الذين انفتحوا على الثقافة الهلنستية، وأدت عزلتهم هذه إلى دمارهم الأخير في القرن الأول الميلادي وإلى تصفيتهم كلياً كشعب.

وهذا (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الذي شاهد دمار أورشليم يقول: "لم يبقِ القائد الروماني (تيتوس) من أورشليم إلا ثلاثة بيوت لتكون ذكرى لانتصاره".

وبعد خراب أورشليم عاد تيتوس إلى قيصرية فلسطين، وأقام لأصدقائه حفلات دموية تفاخراً بظفره، فأتى إلى المحفل بوحوش ضارية، وأرغم كثيرين من الأسرى اليهود أن يصارعوها، فظفرت بهم الوحوش وافترستهم، أما الذين تمكنوا من النجاة فتشتتوا في كل قطر، ولجأ بعضهم إلى ما بين النهرين وبلاد العرب

(١) العرب واليهود في التاريخ ٥٧٤.

ومصر. وقد التقت هذه الجماعات بأقوام أخرى أكبر منها عدداً من المتهوّدين الذين لم يعرفوا فلسطين قط، وعن هذه الفئات المتهودة بقول المؤرخ اليهودي (ريناخ): "لقد كان الهوس الديني حقاً إحدى أبرز سمات اليهودية خلال العصر الإغريقي والروماني. وهي سمة لم تحدث قبل ذلك أو بعده، ولاشك أن اليهودية قد حققت تحولاً ضخماً خلال القرنين أو الثلاثة، ولا يمكن تفسير التزايد السريع لليهود في مصر وقبرص وشمال إفريقية من دون افتراض امتصاص دماء غير يهودية وافرة، كما حصلت موجة تهود مماثلة في أوروبة حيث بلغ اعتناق اليهودية ذروته في الإمبراطورية الرومانية بين سقوط الدولة اليهودية وظهور المسيحية. إذ تهودت كثير من العائلات النبيلة الإيطالية، وحدث تحول ضخم إلى الدين اليهودي في اليونان وأنطاكية وآسية الصغرى[١].

لقد شكلت القلة الفارة من فلسطين مع المتهودين في مصر وشمال إفريقية، الفئة اليهودية الشرقية المعروفة باسم (السفارديم) والتي تركزت أخيراً في إسبانية بشكل رئيسي، فإذا علمنا أن تعداد هؤلاء الشرقيين في العالم قد بلغ سنة ١٩٦٥ نصف مليون فقط تكونت لدينا فكرة واضحة عن عددهم في القرن الأول الميلادي، ولعرفنا ضآلة من بقي من اليهود الأصليين الذين لا يمكن أن يزيد عددهم وفق المنطق الإحصائي عن بضعة آلاف.

(١) العرب واليهود في التاريخ ٥٨٦.

أما اليهود الغربيين ويدعون باسم (أشكناز) الذين بلغ عددهم في العالم في نفس التاريخ المذكور سنة ١٩٦٥ خمسة عشر مليوناً، أي ما يعادل ثلاثين ضعفَ عدد اليهود الشرقيين. فقد أثبت المؤرخ البريطاني (آرثر كوستلر) أنهم متهودون قدموا أوروبة عن طريق بولونية بعد انهيار إمبراطورية الخزر التي قامت حول بحر قزوين في منطقة القوقاز وشمالها منذ القرن الرابع الميلادي، وتهودت منذ ٧٤٠م، عندما اعتنق ملك الخزر وحاشيته الدين اليهودي، وصارت اليهودية ديناً لملايين رعايا الإمبراطورية. ومنذ أن خرق الروس إمبراطورية الخزر ٩٦٥ بدأ الخزريون بالهجرة والنزوح نحو الغرب، وخصوصاً هنغارية وبولونية واكتملت هجرتهم النهائية بعد الاجتياح المغولي لمناطقهم الرئيسية، حيث تم تفريغ السهوب الروسية من سكانها. وعندما تم تكوين المجتمعات اليهودية في أوروبة الشرقية خلال القرن السادس عشر الميلادي، لم يكن في أوروبة الغربية إلا شراذم ليس لها قيمة من اليهود. تم تابعوا من أوروبة الشرقية هجرتهم نحو الغرب تدريجياً لمدة ثلاثة قرون أخرى وصولاً إلى الحرب العالمية الثانية، وأصبحوا المصدر الرئيسي للتجمعات اليهودية في أوروبة والولايات المتحدة وفلسطين المحتلة[١].

لقد بادت الثقافة الإسرائيلية مع غيرها من الحضارات القديمة، وقطع دابر الشعب الذي أنتجها مع من باد من الشعوب القديمة،

(١) الصهيونية والتمييز العنصري. مروان الماضي ٢٣.

أما يهود اليوم (الصهاينة) فهم فئة من الناس لا تربطهم بأرض فلسطين رابطة، أكثر من رابطة الصليبيين من قبلهم، وأكثر من رابطة المسلمين بأض الحجاز، فالدين لا أرض له ولا وطن.

﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢/ ٧٥].

أكد الدكتور عفيف بهنسي المدير العام للآثار في سورية بقوله: "إن جميع الجهود المبذولة للآثار في بلاد الشام (سورية - لبنان - فلسطين - الأردن) لم تقدّم أي دليل تاريخي يؤكد الأحداث التاريخية الواردة في التوراة".

لقد فضح علماء الآثار المنصفون المحاولات الصهيونية في تزوير آثار فلسطين بما ينسجم مع مدونات التوراة. وقد أكد (جيمس برينشارد) أن التناقضات الواضحة التي تكشف التعصب الأثري من نتائج. فقال: "إن أريحا وغيرها من المواقع التي تحدّث عنها سفر يوشع تدلّ على أننا نسير في طريق مسدود في محاولة العثور على شواهد أثرية تثبت الروايات التوراتية عن الفتوحات الإسرائيلية. وتشهد الحفريات وتبرهن على أن إسرائيليي تلك الأيام الذين وصلوا في نهاية الألف والمئتي سنة ق.م لم يستطيعوا الاستيلاء على أريحا بسبب بسيط هو أن الخليل لم تكن عندئذ مسكونة، إذ كانت المدينة حتى أواسط العهد البرونزي قد هدمت حوالي ١٥٥٠ ق.م، ثم أهملت بعد ذلك، وما من شيء فيها يدل على القرن الثالث عشر

ق.م كما أنه ليس هناك أثر لحصون وجدت في العصر البرونزي الحديث. وحسب دراسة الآنسة (كينيون) من المستحيل أن تجمع بين تخريب الخليل وبين دخول الإسرائيليين في القرن الثالث عشر ق.م[١].

ومن كل القصص وعدم ثبوت صحتها نجد أن غزو (عاي) والاستيلاء عليها برهانٌ واضحٌ في بطلان هذه القصص حسب ما ورد في سفر الإعداد.

- أثبتت الآثار أن مدينة Tell- et تعود إلى العصر البرونزي القديم، وهي مدينة كبيرة نجهل اسمها، وكانت قد هدمت خلال العصر البرونزي الثالث حوالي ١٤٠٠ ق.م، وبقيت غير مسكونة بعد عام ١٢٠٠ ق.م حيث قامت على أنقاضها قرية صغيرة محصنة، وعندما قدم الإسرائيليون لم يكن هناك مدينة اسمها (عاي) ولم يكن هناك ملك لهذه المدينة، بل كانت خرائب تعود إلى عام ١٢٠٠ ق.م.

* * *

(١) العرب الساميون - العبرانيون د. أحمد داود ٩١.

الفصل الثاني

المسيحية في عهدها الأول

لقد أدى انتصار المسيحية البولسية إلى ظهور روح جديدة في القرنين الثالث والرابع الميلادي، لم يكن بولس نفسه يتوقعها إذ اعتبرت الكنيسة نفسها إسرائيل الجديدة، وأنها حلت محل شعب الله المختار (اليهود) وبعد أن كانت الكنيسة جزءاً من إسرائيل يهودية التقاليد أصبحت كنيسة الأممين، وتحولت الهيلنيه، إلى فلسفة وحضارة الأميين. واعتبرت الكنيسة سقوط أورشليم وانهيار دولة اليهود عقاباً من الله لليهود؛ بسبب صلبهم للمسيح وبسبب عدم إيمانهم وخيانتهم، إذ إنهم يحملون ذنباً جماعياً جعلهم دائماً موضع لعنة الله، وأصبحت الكنيسة تنسب لنفسها كل البركات التي كانت من قبل تنسب إلى شعب إسرائيل[١].

وفي عهد قسطنطين جعلت المسيحية الدين الرسمي للدولة الرومانية، واضطهد اليهود في جميع أنحاء الإمبراطورية وفي عام

---

(١) المسيح اليهودي ونهاية العالم. رضا هلال ٢٧.

٣٣٩م أصبح التحول إلى اليهودية جريمة يعاقب عليها القانون، ثم أدانت الكنيسة صوم المسيحيين مع اليهود، وفرضت عليهم السكن في جيوب منعزلة عن المدن، وارتداء ملابس مختلفة مميزة ووصفوهم (بالشياطين - قتلة المسيح) واتهموا بأنهم يقتلون أطفال المسيحيين لاستخدام دمائهم بدلاً من النبيذ في فطيرة عيد الفصح.

وهذا ما كان حالهم في أوروبة في أثناء الحروب الصليبية، إذ أصبحوا هم الخونة، حيث قتل الآلاف منهم إذ رفضوا العمودية (التحول إلى المسيحية)، وأدى ذلك إلى طرد اليهود من بريطانيا ١٢٩٠م، وفي نهاية القرن الرابع عشر جرى الطرد من فرنسة، وقد بذلت جهود كبيرة ناجحة نسبياً لتحويلهم إلى المسيحية في إسبانية والبرتغال.

اليهود والفاتيكان باعتناق اليهود المسيحية

من المسلم به أن بداية الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية والمجلس الأعلى اليهودي كان شاقاً ومريراً. إذ إن كل طرف حاول إدخال أكبر عدد ممكن من أفراد الشعوب الأوروبية في مذهبه، ولكن عندما انتصرت الكنيسة نهائياً تطور الخلاف، وبات ضيقاً محصوراً بين الكنيسة والمجلس الأعلى فقط، دون أن يتأثر اليهود كشعب أو أفراد بهذا الصراع، لأن الكنيسة كانت تأمل باستمرار اجتذاب اليهود إلى أحضانها، ولهذا كانت تعاملهم بالرفق واللين، وكانت

تتدخل لصالحهم كلما تعرضوا للخطر من قبل النصارى، بينما كان المجلس الأعلى اليهودي يحافظ بكل قوته[١].

هذا ما تقوله الأناجيل التي لم يكتبها لحسن الحظ لا فلاسفة اليونان، ولا علماء اللاهوت، ولا فقهاء اللغة، وإنما كتبها ناس بسطاء كما كان أنبياء الله من الراعي موسى إلى العامل يسوع، إلى قائد القافلة الأمي محمد ﷺ، وكان واضحاً لديهم أن كل ابن للإنسان هو ابن لله، ولا تدع الأناجيل مجالاً للشك في هذه النقطة: "لكي تكونوا أبناءَ أبيكم الّذي في السماوات" (متى ٥-٩-٥-٤٥-٦-٣٣).

ذكرُ القرآن الكريم ليسوع هو في الأصل اللقاء الروحي العميق بين الإسلام والمسيحية، ولاسيما عند كبار الصوفيين المسلمين الذين يعبرون غالباً في قصائد كبيرة عن أبعاد الصميمية الداخلية والمحبة في الإسلام.

ذلك هو أساس هذه الوحدة العميقة بين التصوف المسيحي والتصوف الإسلامي التي ستبلغ أوجها في الأخوة الروحية (بين ابن عربي) (وسان جان دي لا كروا) مع فرق ثلاثة قرون[٢].

ويروى حديث للرسول ﷺ أثبته البخاري ومسلم وأبو داود:

---

(١) المفسدون في الأرض س - ناجي ٤٢٤.

(٢) نحو حرب دينية روجيه غارودي ٤٦.

«الأنبياء أخوة من أصل واحد أمهاتهم شتى، لكن دينهم واحد وأقربهم جميعاً إليّ يسوع بن مريم لأن بيننا نحن الاثنين لم يكن نبي»[١].

وفي القرآن الكريم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٨٥].

ويسوع عند الصوفيين رمز وحدة الإنسان، والله كاشف الواحد والكل والمحبة التي هي التعبير الثنائي عن وحدتهما الثنائية الجوهرية التي تحتويها الوحدة (كما يقول ابن عربي) وينسب العطار إلى الحلاج المصلوب هذا البيت:

على دينِ الصَّليب يُكَرّموني ولا البطحا أريد ولا المدينهْ

إن رسالة يسوع المركزية لدى الصوفية المسلمين هي رسالة تبنوها، هي الحب في أسمى شكل له، الحب الذي يأتي من الله ويعود إليه ككل واقع[٢].

وعندما يذكر الغزالي شفاء يسوع للأبرص يشير إلى ما يحبه يسوع أكثر من غيره "الإيمان الذي يجده حتى في أسوأ المحن الفرح بمعرفة الله" (الإحياء ٤-٣٦-١٦).

---

(١) لفظ الحديث مضطرب، ومعناه سليم.

(٢) نحو حرب دينية ٢٧.

يسوع صعد إلى السماء لأنه كان من طبيعة الملائكة نفسها، يسوع ابن مريم بلغ أعلى السماء الرابعة. والروح الكلية اتحدت بالروح الجزئية، الروح الفردية حبلت مثل مريم بمسيح يرفع القلوب إلى الله[١].

ورجعة المسيح مألوفة عند الصوفيين.

"وعندما ينزل يسوع في آخر الأزمنة سيؤكد شريعة محمد ويعيدها، لأنها آخر الشرائع، ونبيها خاتم الأنبياء، سيكون يسوع حكماً عادلاً، لأنه لن يكون في ذلك الزمان سلطان مسلم ولا إمام ولا قاض ولا مُفتٍ.. سيجتمع المؤمنون حوله، ويعلنونه قاضياً لهم، لأنه لن يكون هناك من هو أجدر منه. لقد رفعه الله إليه لينزله في آخر الأزمنة خاتماً للقديسين مطبقاً العدالة بحسب شريعة محمد ﷺ.

التطرف الديني

إن التطرف والأصولية مرض جميع الأديان، فالأصولية هي ادعاء، الأصولي بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة، وأنه يمتلك لا الحق فحسب بل الواجب أيضاً في فرض تلك الحقيقة على الجميع ولو بالحديد والنار.

والأصولية الأولى هي النزعة الاستعمارية الغربية، التي

---

(١) المسيح اليهودي ونهاية العالم ٢٨.

تذرعت الإدارة الأمريكية بها لتبرّر غزواتها وفتوحاتها، بما قدرت أنه امتيازها "كشعب مختار" التوسع الشامل لدينها الذي كانت تعده فوق الأديان، ثم بعد تراجع كنائسها ظلت تعد نفسها مركزاً للعالم والخالقة الوحيدة للقيم، وشاءت منذ القرن التاسع عشر أن تفرض على العالم ثقافتها التقنية والتجارية التي سمتها الحداثة، واليوم تحولت إلى العولمة. جميع الأصوليات الأخرى من الثورة الثقافية الصينية، إلى التطرف الإسلامي هي ردود أفعال على هذه الأصولية الاستعمارية لحماية النفس من التبعية ولإنقاذ الهوية. ومن الخطأ ألا نرى في التطرف الإسلامي سوى شكل حديث ومشؤوم في جميع الظروف والأحوال، فهو بالفعل تولد من فشل المشاريع القومية والاشتراكية في العالم المسلم، ومن القهر الشامل المنصب على الشعوب الإسلامية من قبل حكامها في الداخل ومستعمريها من الخارج.

إن المصادر العميقة لما يجري اليوم تعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما ولدت حركة النهضة (يقظة الإسلام) على أيدي مفكرين مثل الأفغاني (١٨٩٧) الذي كانت له مناظرة حامية في سنة (١٨٨٣) وعلى نحو له دلالاته مع آرنست رينان من السوربون في (جريدة المناقشات) الفرنسية، أو محمد عبده المتوفي (١٩٠٣)، ثم رشيد رضا، أو حسن البنا، أو محمد إقبال في الهند، أو الشيخ ابن باديس، لقد كانت القضايا الرئيسية لدى هذا الرعيل من المفكرين واضحة، والمشكلة الأساسية عندهم مطروحة منذ أن بدأ الرائد الأفغاني عمله في طرحها.

وفي الوقت نفسه الانحلال السياسي للدولة العثمانية، وتصلبها الروحي الذي تمخض عن تأويل سلفي حرفي في القدم للتشريع الإسلامي، كما طرحه توسع الاستعمار الغربي الذي سرّع ذلك التفكك السياسي وهذا الانحطاط الفكري[١].

لقد شق الأفغاني الطريق للبحث الذي استمر قرناً كاملاً، والذي سيتطور على محورين:

١- إن كل نهضة سياسية وروحية للإسلام تستوجب قراءة جيدة للقرآن الكريم متحررة من تفسيرات العلماء الرسميين الجافة والمجففة.

٢- إن مشكلة الحداثة لا ينبغي التصدّي لها انطلاقاً من أيديولوجية غربية، يزعم أنها حديثة، أيديولوجية تنفي مشكلة الغايات الأخيرة للإنسان، وتقصر العقل على البحث عن الوسائل التقنية للقوة والغنى، مبدأ نزعتها الاستعمارية العسكرية والاقتصادية والثقافية.

هذا هو باعث الإلهام الأساسي الذي سيعرف على مدى قرن، الكثير من التقلبات والانحرافات. كل شيء ينطلق من المبدأ الأساسي في الإسلام:

التوحيد: أي الاعتراف لا بوحدانية الله فحسب، بل بوحدانية

---

(١) نحو حرب دينية ٣٢.

كل واقع بما فيه وحدانية الجماعة البشرية الشاملة. إذ يقول الأفغاني: «إن ميزة الإسلام هي أنه يضفي هدفاً على كل عمل في عالم تجعله عقلانية الغرب إلى اللامعنى؛ بعبادته للوسائل»[1].

إن التوحيد (مذهب الوحدة) هو مبدأ كل فكر نقدي في الإسلام الحي بما فيه ذلك اتهام التقاليد نفسها عندما تتحجر، وقد أظهر الأفغاني في ردة على آرنست رينان في ١٨/ ٣/ ١٨٨٣ كيف حفز الإسلام العلوم حفزاً قوياً من منتصف القرن الثامن إلى منتصف القرن الثالث عشر ميلادي. حتى إنه غدا معلم العالم من جبال بيرنه إلى جبال هيملايا، ثم آل إلى الانحطاط عندما خمد فيه الفكر النقدي (الاجتهاد)، وسادته عقائدية المفسرين الرسميين للشريعة العقائدية العزيزة على المستبدين.

الروتشيلديون ونشاطاتهم المعلنة والخفية في الحروب الأوروبية

إن مؤسس أسرة الأباطرة العالميين المستترين والقتلة العالميين هو اليهودي إمتشيل ماير Amschel Mayer وزوجته اليهودية (غوتا شنابير Guta schmapper) في فرانكفورت جنوب ألمانية في حي (Jndeng asse) الشارع اليهودي، حيث يوجد محلهما المخصص لبيع الأدوات المستعملة، ويدعى المحل الدرع الأحمر، وبالألمانية يقولون: روتشيلد ومن اسم المحل اشتق اسم العائلة.

(١) المصدر نفسه ٣٢.

وُلِدَ لإمتشيل خمسة ذكور وخمس إناث، وقد تزوج أبناؤه وبناته من عائلات إرستقراطية أوروبية، وكان لبعضهم بيوتات مالية أغرت زعماء الغرب بالتودد إليهم وطلب مساعدتهم بالفكر والمال رأى إمتشيل أن نهايته اقتربت فجمع أولاده حوله إلى فرانكفورت ونصحهم بمايلي (تذكروا يا أبنائي أن الأرض جميعها ينبغي أن تكون ملكاً لنا نحن اليهود، وإن غير اليهود حشرات يجب ألا يملكوا شيئاً).

وقد شرح لهم فكرته وجعلهم يقسمون أمامه على ألا ينفرد أحدهم بعمل دون الآخرين، وعلى أن يعملوا مترابطين مجتمعين، وقد طلب منهم إعادة القسم ذاته عند قبره وبعد أربعة وعشرين عاماً وافق ناتان لأسباب مادية على اعتناق المسيحية وتوفي فجأة.

تعلم إمتشيل في المدرسة الحاخامية كل البرامج الشيطانية التي تعرف (بروتوكولات حكماء صهيون) وقد علَّم إمتشيل أطفاله جميع الحيل الشيطانية القبلانية (وهي فلسفة دينية سرية ضمت أعضاء اليهود وبعض مسيحيي القرون الوسطى، وتقوم على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً حرفياً).

قسَّم إمتشيل أولاده الخمسة على خمس دول أوروبية كالتالي.

(إنسيلم - ألمانية) (سالومون - النمسا) (ناتان - بريطانية) (كارل - إيطالية) (جيمز - فرنسة) ثم أعطى حفيده (شونبرغ - الولايات المتحدة واتخذ اسم بيلمونت).

بدأ أبناؤه الخمسة أعمالهم التجارية في خمس عواصم أوروبية مختلفة يعملون بتضامن تام معاً[١].

تودد نابليون لليهود في نصرته وتمويل حملته لغزو مصر واحتلال بلاد الشام، طمعاً لإعادتهم إلى الأرض الموعودة، وكان له ما أراد. وقد انقلب عليه اليهود بعد فشل حملته وعودته إلى فرنسة ليواجه المشاكل التي أثارها مجلس الحكم وتدخل فيها اليهود.

لقد حول آل روتشيلد كل القوى المتصارعة في أوروبة للقضاء على نابليون وحكمه، وذلك من وراء ستار. لقد غاب عن بال الإمبراطور القوى الشيطانية التي تحكم أوروبة، فهو مثل نقولا الثاني الذي كان متسامحاً جداً معهم، ولم يعتقل أولئك الروتشيلديين الصهاينة كما اقترح عليه الأمير إيكموهل رئيس شرطته مثله كمثل شارل الأول إمبراطور النمسة ووليم الثاني. فقد مهد نابليون الطريق أمام اليهود فاحتلوا المناصب العليا في إمبراطوريته، وقد خدع اليهود الأباطرة الأربعة وخانوهم ودمروهم على الرغم من تكريمهم لهم، وسيكون هذا مصير كل حاكم يحاول الاعتماد عليهم.

ولتوضيح هذه الفكرة وما أكثر مثيلاتها أقول: لقد أغدق نابليون على (سولت) الجاه والمال ورقاه مارشالاً وعينه دوقاً

(١) حكومة العالم الخفية. شيرين سبيريدو فيتش ٤٨.

(لدالاميا Dalamalia) إذ كان سولت يهودياً لا يخرج عن طاعة الروتشلديين، إذ خان هذا القائد إمبراطوره الكريم، ومع أن نابليون أصبح حاكماً مميزاً صالحاً أكثر ممن سبقوه، وحالما قبض السلطة بقبضة حديدية فإن اليد الخفية صنعته لشن الحروب وتحطيم الكنيسة تماماً، كما صنع بسمارك فيما بعد، ولما بدل نابليون أهدافه اكتشف الروتشلديون أنه أصبح مسيحياً أكثر مما ينبغي فدمروه. والفرق بين نابليون وقيصر ألمانية، أن القيصر فهمَ فيما بعدُ واعترف بأن اليهود كذبوا عليه وخدعوه وخانوه، بينما ظل نابليون جاهلاً تلك الأسباب، وسببت هلاكه وهلاك فرنسة[١].

وقد لعب (ناتان) (وهو ابن مؤسس الروتشلديه) دوراً أسطورياً في انقلاب واترلو إذ ترك مركز مبادلاته التجارية والمالية، وانضم إلى جيش بريطانية في بلجيكية ورشوةِ المارشال (غروس Grouchy) قائد الحملة الفرنسية الذي تأخر عن المعركة أربعاً وعشرين ساعة، واشتراك سكرتيرته اليهودية بهذا التأخير، حيث منيت الجيوش الفرنسية بهزيمة نكراء، بينما كان مخططاً لها أن تسحق أعداءها في هذه المعركة، وقد تحطم جيشه أمام جيوش الحلفاء، وهذا ما حصل بعد ذلك في الحرب العالمية الأولى، حيث جاس

(١) حكومة العالم الخفية ٥٤.

جواسيس اليهود كل الأقطار المسيحية وبذلوا جهدهم في تحريض المعسكرين المتحاربين على إفناء بعضهم بعضاً.

لم يعتمد ناتان على إخوته سالومون وكارل وجيمز، ورأى أن يذهب بنفسه إلى واترلو، وكان يعلم أن نابليون إذا ما استعاد سلطته مجدداً، فإن جميع الأموال التي أقرضوها لدول كثيرة ستفقد نتيجة الإفلاس الأوروبي المفاجئ، كما أنه كان يخشى أن يعتقل الإمبراطور (النمور اليهود) الذين لم يعطوه فلساً واحداً[١] .

ناتان ينهب بورصة لندن

عندما تأكد ناتان من هزيمة فرنسة حاول الرجوع إلى لندن فركب إلى بروكسل من غير أن يضيع ثانية واحدة، ووصل إلى أوستيد osted للتوجه إلى إنجلترا فوجد البحر هائجاً، ولم يجرؤ أحد من البحارة إيصاله، وصار يقلع شعره، ويلطم خده من القلق واليأس، وهنا وجد أحد الملاحين الذي وافق على المغامرة بإعطائه ألفين من الفرنكات. وقد وصل إلى دوفر، وفي صباح اليوم الثاني وجده أصحاب المصارف متكئاً على أحد أعمدة البورصة بوجهه الشاحب مرتعد الفرائص، وانهال عليه أهل البورصة بأسئلتهم باعتباره أول قادم من القارة، وتظاهر ناتان بالصمت متشائماً. وفي هذه الأثناء أشاع رجاله في البورصة أن

(١) حكومة العالم الخفية ٥٦.

جيش بلوشير قد هزم، وأن ويليفتون قد سحق، فانهارت السندات، وضاعف ناتان الرعب بعرضه كل ما يستطيع من الأسهم والسندات، وفي الوقت الذي كانت الأسعار مناسبة، كان عملاؤه أعادوا شراء كل ما باعه بأسعار زهيدة، إنه النهب الضخم بذاته للبريطانيين. وفي اليوم التالي جاءت أخبار انتصار الحلفاء في معركة واترلو فارتفعت الأسعار بصورة لم يسبق لها مثيل، وربح ناتان خمس ملايين جنيه، ونسي الناس هذا الغش الفاضح في غمرة السرور الذي عم إنجلترا نتيجة هزيمة نابليون. وقبل وفاة (غولد سميت Gold Smidt) أحد كبار المال في بريطانية، كان ناتان يسيطر على المالية الإنكليزية عام ١٨١٥، وكان إخوة ناتان. سالومون في فيينا وكارل في زيبلس، وجيمز في باريس عملاء له في سطوته، وكانت هذه الضباع الصغيرة مرابي الارستقراطية الكبيرة التي كانت تدفع ١٠٠٪ فائدة[١].

الروتشيلديون والحلف المقدس وجهاً لوجه

كانت هزيمة نابليون انتصاراً لآل روتشيلد، غير أن الإسكندر الأول الروسي والهابسبورغ النمساوي، والهوهيزو ليرن الألماني وقعوا حلفاً مقدساً ١٨١٥ مقرين بالمسيح قائداً أعلى. وهذا هو السبب الذي حدا بالروتشيلديين لتوجيه جهودهم لضرب القوى

---

(١) المصدر نفسه ٦٦.

المذكورة مما أدى إلى سقوط الأسر الثلاث ١٩١٧-١٩١٨ لقد قتل الإسكندر الأول ١٨٢٥، وفشل انقلاب كانون الأول ١٩٢٥ الذي خطط له الماسونيون بقيادة الروتشيلديين ضد نقولا الأول، ومن ثم طوروا خطة محكمة للقتال والثورات.

وقد كوَّن الروتشيلديون تحقيقاً لأهدافهم العديد من العملاء اليهود المعتدين مثل دزرائيلي (١٨٠٥) ونابليون الثالث (١٨٠٨) وبسمارك (١٨١٥) وغامبيرل (١٨٣٨) إلى جانب غير اليهود أمثال مارشال سولت وبوميلس ولاسال وهيركز وهيرتز وغيرهم. وقتل نابليون الثاني الضحية الثانية ١٨٣٢، وقد تم قتله بواسطة اليهودي بوميل معلم ليونيل بن ناتان الذي وصفه دزارئيلي (Rebello) وكان يسوعياً رغم أنه بالحقيقة يهوديٌّ دائماً.

وكان هدف آل روتشيلد منذ ١٧٧٠ هو إسقاط الكنيسة المسيحية، وكل الملكيات، لأنها كانت تدافع عن شعوبها، وقد شرحوا هذا الهدف في (بروتوكولات حكماء صهيون) كما يسمي اليهود الثلاث مئة عضو الذين يكونون (اليد الخفية) وعلى كل مسيحي، من يقرأ البروتوكولات هذه، لأن المسيح شخص اليهود في ثلاث كلمات (اليهود شيطانيون وقتلة وكذابون) وتؤكد البروتوكولات هذه الأقوال بشكل مطلق.

كذلك وضع اليهود خطة كاملة لإسقاط (الهوهيزوليرن) وقد كتب فريدريك وليم الثاني من مذكرات اللورد مالسبري «أن الملك البروسي كان تحت رحمة الآنسة بيتمان اليهودية الفاتنة، وابنه أحد

شركاء روتشيلد، أحد أجداد المستشار الألماني (بيتمان - هولويغ) إذ كان في (الهوهيزوليرن) دم يهودي من قبل غير الآنسة إسكيليز اليهودية التي كانت أختها محبوبة جوزيف الثاني الهابسبورغي.

ولم يكن كافياً أن تسقط أسرتان قديمتان (الهوهيزوليرن والهابسبورغ) اللتان كان لهما الفضل في خلق ألمانية والنمسة. إذ قرر الروتشيلديون استغلال ابنة مينكين اليهودية زوج الميجر بسمارك، وربما كان ابن اليهودي مارشال سولت حتى يجعلوا فيه شعاراً لألمانية وقاتلاً للمسيحيين فيها وبطلاً في معاداة الكنيسة الأم في روما. وهكذا صنعوا المستشار الحديدي أوتوبسمارك.

إن اليهود الذين احتكروا جميع كراسي الأساتذة في جامعات ألمانية تقريباً جعلوا جيرانهم يكرهونهم ويخافونهم. ولهذا كانوا يزيدون في تسلحهم أكثر فأكثر، وهكذا بدأت حمى سباق التسلح في أوروبة.

روتشيلد والوفاق الأنكلو روسي وجهاً لوجه

في هذه الظروف قال جورج الثالث ملك إنجلترا كلمته الشهيرة: "إن كل إنكليزي مخلص ينبغي أن يكون روسياً مخلصاً تماماً، كما أن كل روسي مخلص ينبغي أن يكون إنكليزياً مخلصاً". وقد أقلق هذا القول إمبراطور فرانكفورت العنكبوتي[١].

---

(١) المصدر نفسه ٦٨.

واعتبر أن مسيرة إنكلترا وروسية بعضهما مع بعض تعطي ضماناً لمستقبل المسيحية، وتشكل ضربة قاسمة لأحلام إمتشيل، فإنكلترا بعقولها الممتازة وأخلاقها العالية أو التحالف الأنكلو روسي قد ينقذ العالم، ولهذا فإن كل وسيلة تمنع تحقيق هذا التحالف ليست بباهظة التكاليف. وهكذا بدأت القوى الشيطانية تتلمس خطة تقضي على هذا التحالف. وكان العرش البريطاني محاطاً بنطاق من الأرستقراطية القديمة، لا يمكن اختراقه من قبل اليهود، رغم ملايين ناتان وابنه ليونيل، إذ لا يمكنها النفوذ إليها، أو إلى مجتمع الحاشية الملكية أو الحكومة، وعليه لابد من البحث عن حصان طروادة جديد ليدخل عدداً من اليهود إلى الماكنة الحكومية للإمبراطورية البريطانية ومجلس اللوردات، ولابد من تدريب وتعليم (كونراد والبترود) وتربيته ليصعد إلى أعلى سلطة ثم يخون البلد بالقيام بعكس ما تتطلب مصالح القطر، ويفتعل العراقيل المستطاعة لمنع التحالف مع روسية. وكان دزرائيلي اليهودي الخائن هو والبترود الجديد إذ طوعه ليونيل روتشيلد بنفسه بأفكار شيطانية لخدمة أهدافه.

بولس كان يهودياً مسيحياً

ومن مفارقات التاريخ أن من قاوم نفوذ انتشار اليهودية المسيحية يهودي تحول إلى المسيحية بعد ما كان من أكبر مضطهدي المسيحيين الأوائل، وكان هذا هو شاؤول الذي أصبح القديس بولس فيما بعد.

وقد اعتنق بولس المسيحية على يد حنانيا في أثناء ملاحقته أتباع يسوع في دمشق إذ انكشف له نور من السماء، وسمع صوت يسوع يقول له: "لماذا تضطهدني يا شاؤول؟ فقال له شاؤول: من أنت يا سيد؟ فأجابه يسوع: أنا الذي تضطهده، فقال وهو يرتعد: يارب ماذا تريد مني أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك: ماذا ينبغي أن تفعل" (أعمال الرسل ٩، ٣، ٦).

وعاد بولس إلى دمشق معلماً مسيحياً، ثم صار قائداً مسيحياً في دمشق وأنطاكية، ركز بولس تعاليمه في فكرتين أساسيتين ألوهية المسيح، وأممية المسيحية[1] (عدم قصرها على اليهود) واختلف بولس مع اليهود المسيحيين حول تطبيق فروض اليهود؛ مثل الختان، ومراعاة يوم السبت، وديانة المعبد قائلاً: إنها أمور بالية حتى لدى اليهود أنفسهم، وعلى المسيحية التحرر من انتمائها السياسي والديني لليهود حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود، وبقيت السيادة لليهود المسيحية حتى انقلب الأمر مع سقوط أورشليم ٧٠ ميلادي، إذ أصبح اليهود منبوذين في الإمبراطورية، وبذلك انفصلت المسيحية اجتماعياً وسياسياً عن اليهود لتكوين ما يعرف بالشعب الثالث، وحاز بولس النصر بعد وفاته ليعدَّ المؤسس الثاني للمسيحية بعد السيد المسيح. غير أن اليهود المسيحيين ظلوا يهوداً مخلصين، واعتبروا بولس خائناً، وبقيت اليهودية المسيحية هي

(١) المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا. رضا هلال، ٢٥.

السائدة ثقافياً حتى نهاية التمرد اليهودي على الرومان ١٤٠ ميلادي.

وبعد انقطاعهم عن الكنيسة الكبرى التي تحرّرت تدريجياً من روابطها اليهودية رحل اليهود المسيحيون إلى الغرب، ومكث بعضهم في الشرق خاصة في فلسطين وما وراء الأردن وسورية وما بين النهرين من القرن الثالث إلى القرن الخامس، ودخل بعضهم الكنيسة الكبرى مع الاحتفاظ بخلفيته السامية.

أخذ يسوع المسيح الوصايا العشر كما وردت في التوراة، ولكنه أعطاها معنى رومانسياً يركز على القلب والجوهر، إذ رأى الشكلية والحرفية متجلية في اليهود، ولا سيما في الفريسيين؛ إذ كانوا حرفيين في فهمهم للناموس والأنبياء، وظنوا أنهم أفضل من الآخرين، وأنّ الخلاص لهم وحدهم، لذلك قال المسيح: إنه جاء ليكمل لا لينقص، وإن المحبة هي تكملة الناموس، وتضمنت تعاليمه في (موعظة الجبل) ثورة على اللاشكلية (متى ٥،٦،٧) وكمثالٍ على محاربة الشكلية والحرفية نعرض واحداً من كثير: «من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات، فإني أقول لكم إن لم يزد بِرُّكُم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات، قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل.. أما أنا فأقول لكم: كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. فإن قدمت قربانك إلى المذبح فاذهب أولاً اصطلح مع أخيك.. وحينئذ تعال وقدم قربانك.. قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن.. أما أنا

فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه. أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تحنث، بل أوف للرب أقسامك.. وأنا أقول لكم: لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسي الله، ولا تحلفوا بالأرض لأنها موطئ قدميه.. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء.. بل ليكن كلامك نعم نعم لا لا، وما زاد على ذلك فهو شرير.. سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك.. وأنا أقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، وأحسنوا إلى بعضكم. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي لا تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم".

يورد الكاردينال دانيلو أن جماعة اليهودية المسيحية تكونت أولاً من مجموعة من الحواريين، كانت تمارس ديانة المعبد، وتحفظ تعاليمها، وتعرض الطهارة، ومراعاة الراحة يوم السبت. وقد تطورت البعثة اليهودية المسيحية لتُعطى الساحل من غزة إلى إنطاكية، ووصلت إلى آسية الصغرى واليونان، ويعتقد أنها أول تبشير بالأناجيل.

❋ ❋ ❋

الفصل الثالث

اليهودية - المسيحية في القرون الوسطى

شكل اليهود المجلس الأعلى الكهنوتي (السنهدرين) (senhedrin) يشرف على أتباعه وحمايتهم، لذلك كان يرغمهم على السكن في أحياء خاصة، يمنعهم من الاختلاط بالأغراب، وكان ينظم أمورهم الدنيوية ويربطها بالأمور الدينية على أدق صورة. وبفضل هذه المراقبة والتنظيم الدقيق، ظل اليهود على مذهبهم لا يقبلون عنه بديلاً. وقد أعجز هذا التزمت الكنيسة طويلاً، ولكنها تحلّت بالصبر ظناً منها أنه لابد أن يأتي يوم يعتنق فيه اليهود النصرانية، ولهذا كانت تولي اهتماماً كبيراً عندما يأتي من حين لآخر يهودي يطلب النصرانية، فتسارع إلى إعلان هذا النصر المبين، وتطلب من الشعب الاحتفال بهذه المناسبة السعيدة، فتزدان المدينة، وتقام فيها الأقواس، وكأنها في عيد عظيم. ويقال: إنّ البابا نفسه عمد أحد اليهود ١٥٦٦، وأن روما بأسرها لبست حلة من الزينة بهذه المناسبة التي أصبحت فيما بعد تقليداً كنسياً رسمياً، وإن بعض الملوك والأمراء كانوا

يتفاخرون بعدد اليهود المتنصِّرين، وتدل الدراسات على أن عدد اليهود الذين تنصّروا في القرون الأولى الميلادية كانوا قلة، ولذلك أخذت الكنيسة تعلّل النفس بالآمال، وتشجع اليهود على النصرانية بواسطة الوعود والإغراءات، وعندما أخذت إسبانية بإرغام اليهود على اعتناق المسيحية قسراً، اهتدى اليهود إلى فكرة شيطانية لم يسبقهم إليها أحد، وهي الرضوخ للأمر الواقع والتظاهر بالمسيحية وجني ثمار الفرص التي تسنح لهم باعتناق المذهب الجديد لصالح بني قومهم[(١)].

وهكذا ظهرت في إسبانية فئة من المرتدين التي أطلق عليها اسم الماران (marranes) وكان أفرادها يتظاهرون بالنصرانية ويملؤون منازلهم بالصلبان والشعائر المسيحية ويداومون يومياً على الكنائس للتضليل، بينما كانوا يمارسون الطقوس الدينية اليهودية سراً، ويلقنوها لأولادهم خفية. ولقد تمكنوا بهذه الوسيلة من تضليل الإسبان زمناً طويلاً، حتى أصبح منهم الوزراء وذوو السلطان والرهبان والكهنة، وكان تقبلهم المسيحية ديناً لهم خوفاً على مصالحهم والاضطهاد والمطاردة التي عانوا منها في محاكم التفتيش في إسبانية، وقد عملوا بهذا الوضع بعد أن أخذوا بفتوى مجلسهم الكهنوتي الأعلى الذي كان

(١) المفسدون في الأرض ٢٥٤.

يقيم آنذاك في إستانبول. وقد أوضح السيد هيبس (Hepess) تفاصيل هذه الخدعة اليهودية فقال: «عندما هالهم الأمر وبدأ الأمير فرديناند بحملته الشهيرة على اليهود وغيرهم للاختيار بين الجلاء عن إسبانية دون مال أو متاع أو اعتناق النصرانية، وقد هالهم الأمر وعلى الأخص أنهم كانوا أغنى أهل إسبانية بفضل ما كسبوه من مال وجاه في عهد الدولة العربية. وبعد تفكير طويل أقر رأيهم على استشارة الرئيس الأعلى الكهنوتي (sendhedrin) (سنهدرين) فأرسلوا إليه كتاباً يستشيرونه في الأمر. فسارع الرئيس بالرد عليهم. وكان يتلخص الرد بالترجمة التالية.

الى يهود إسبانية

إخوتي الأعزاء: وصلنا الذي تصفون فيه ما أنتم عليه من ضيق جراء ما أصابكم من ظلم وحيف، فتراءى لنا أن ألمنا كان عظيماً، وحزت أحزانكم نفوسنا، ولكن ما الحيلة، ونحن أعجز من أن نخرجكم من ورطتكم هذه؟!

ولنا أن ننصحكم بأن تقبلوا عرض الملك وتتظاهروا باعتناق النصرانية على أن تظلوا على عقيدتكم، وتمارسوا طقوسكم خفية، وأن تلقّنوها أولادكم وتوصوهم بعدم الجهر بها.

أما فيما يتعلق بأموالكم وأملاككم المعرضة للخطر من استيلاء

وسلب، فإننا نشير إليكم أن تعمدوا منذ الآن تعليم أولادكم أصول التجارة وإتقانها، حتى إذا أقدم الإسبان على تجريدكم مما تملكون، تمكن أولادكم من تدبير معيشتهم، ومن ثم استرداد ما سلب منكم مع الزمن، ولكي تتمكنوا من الثأر في المستقبل من الذين يعتدون عليكم، علّموا أولادكم مهنة الطب؛ ليثأروا لكم من هؤلاء الأوباش بقتلهم دون أن يشعر أحد لما تفعلونه وانتقاماً لما أصاب معابدكم على يد النصارى، أدخلوا أولادكم في مدارس الكهنوت المسيحي ليتعلموا فيها، ويتخرجوا فيها كهنة ورهباناً ليضلّلوا النصارى ويخرجوهم من عقائدهم، وليتمكنوا من تدنيس كنائسهم بكل حرية وأمان، ولكي تردوا للنصارى ما يلحقونه بكم من الإهانة علّموا أولادكم القانون، حتى يصبحوا حكاماً لهم الحق بأن يقضوا بين النصارى بما يسمح لهم بإهانتهم عند الحاجة، وليردّوا الصّاع صاعين، ومن ثم يتوصل أولادكم إلى مراتب الحكم والسيطرة التي تخولهم تأديب من يتجرأ عليكم وإرغام الجميع[١] على احترامكم.

وأخيراً نطلب منكم التقيد بهذه الإرشادات والتجمل بالصبر حتى يتحقق لكم ما أشرنا إليه[٢].

التوقيع

رئيس مجلس الكهنوت في إستانبول

---

(١) المفسدون في الأرض ٢٥٤.

(٢) كتاب رئيس الحاخامين في إستانبول.

وقد استفاد اليهود من هذه النصائح وعملوا بها وتوصل بعضهم إلى مراكز هامة حتى كان منهم الوزراء والبطارقة والحكام، كما حدث معهم في العهد العربي الذي استثمره اليهود لصالحهم على أوسع مدىً.

ولما قامت الحروب المذهبية في أوروبة استغلها اليهود أحسن استغلال، حتى أنهم أصبحوا من أقرب الناس إلى الكنيسة وإلى الملوك والأمراء، فانطلقوا على سجيتهم يعيثون في أوروبة فساداً، فعندما قامت الثورة الفرنسية وأعقبها اعتلاء نابليون العرش أصبح اليهود يمتلكون ناصية الأمور تماماً. وبفضل القوانين التي أصدرها نابليون وفيليب وسواهما من حكام أوروبة، تمكنوا من تنظيم أمورهم على أحسن وجه حتى أخضعوا الكنيسة لمآربهم حتى صارت الكنيسة تغير لهجتها التي استعملتها إبان النهضة المعاكسة، وتميل إلى حمايتهم، وتطلق عليهم اسم إخوة المسيح، وتشجب اللاسامية، وتدعو الناس إلى معاملتهم بالحسنى. وهذا التساهل من قبل الكنيسة بعد القرون الوسطى جر عليها وعلى الشعوب المسيحية في أوروبة أكبر المصائب وأشهر النكبات، فمهد السبيل لليهود بأن وضعوا مناهجهم الشريرة بكل أمان، فأخرجوا للميدان فلسفاتهم المناوئة للكنيسة، التي كانت مشتقة من الفلسفات الشرقية واليونانية والرومانية، وعلى الأخص التلمودية فنشرتها جمعياتهم السرية مثل الماسونية وسواها، والتي تكاثرت ونشطت بعد الثورة الفرنسية على أوسع نطاق، فتفاقم أمرها، وكثر أتباعها، وكان أشد أنصار هذه المبادئ الملحدة

اليهود المتظاهرون بالمسيحية الذين كانوا يقبعون خلف أسماء مستعارة اتخذوها بموجب القانون البونوبرتي، ومع انتشار هذه المبادئ بدأ ظل الكنيسة يتقلص يوماً بعد يوم إلى أن أصبحت الكنيسة عاجزة تماماً عن ردع اليهود ومنظماتهم عن الإساءة إليها ولمذهبها. وقد سبق للماسونية عقد مؤتمر بروكسل في عهد البابا الحادي عشر قبل قيام الحرب العالمية الثانية، وقد أقرّوا في اجتماعهم مناوأة الكنيسة والقضاء عليها، وأعلنوا قراراً منهم بهذا على العالم أجمع. ولم يحرك البابا وكنيسته ساكناً وكأن الأمر لا يخصها[١]. وقد استغرب العالم هذا الموقف الغريب في حينه من قبل قداسة راعي الكنيسة الذي تبين أخيراً أنه ينحدر من صلب السيدة ليبمان اليهودية (lipmann) إذ انتسب من الصغر إلى الكنيسة، وتدرج في مناصب الكهنوت حتى انتخب حبراً أعظماً لسبع مئة مليون كاثوليكي. وأنه كان على أوثق الصلات مع كبير الحاخامين في مدينة ميلانو الذي علّمه اللغة العبرية، وكان يتبادل معه التهاني في المناسبات، واعترض على قرار الحكومة الإيطالية القاضي بمنع الزواج من يهوديات، واعتبره قراراً خاطئاً مبنياً على نظريات كاذبة وخطره، كما أن البابا هذا منع الكاهن الأمريكي (conglin) كوغلن الذي كان يترأس الحزب الأمريكي المسيحي من مهاجمة اليهود، وقبل موته أوصى

---

(١) المفسدون في الأرض ٢٥٣.

الكرادلة بانتخاب الكاردنيال باسللي (pacelli) خلفاً له، لأنه كان من أنصار اليهود، وأنه كان يهاجم الدولة الإيطالية على لاساميتها، وامتنع عن الموافقة على القرارات التي كانت تسمم مصالح اليهود، وقد رفض هتلر مقابلته عند زيارته لروما، لما كان يعرف عن أصله وشدة مناصرته لليهود[1].

ومن المعلومات التي يقدمها هيبس عن الفاتيكان ويؤكد صحتها هي وجود خمسة كرادلة بين اتباعها ينحدرون من أصل يهودي، ويضيف إنّ هؤلاء الكرادلة لاهمَّ لهم إلا العمل على تقريب وجهات النظر بين اليهود والكنيسة الكاثوليكية.

ومن خلال هذه المعلومات والدلائل عن الكنيسة الغربية حيال القضايا اليهودية نرى أن ما كان يراه المسيحيون فوزاً لهم، أصبح وبالاً عليهم وعلى كنيستهم ونصراً مؤزراً لليهود والصهيونية، وثبت للجميع قول السيد إدوارد درومونت (Edourd Drumont): «إنه كلما عمَّد يهودياً زاد عدد النصارى واحداً دون أن ينقص من عدد اليهود أحد، لأن اليهودي يظل يهودياً مهما غيَّر مذهبه أو مظهره».

إن كل ما ربحته الكنيسة من جراء قبولها اليهود في صفوف أتباعها لا يتعدى أمر فقدان المراقبة لأعمال هؤلاء المرتدين

---

(١) المصدر نفسه ٢٥٥.

الخونة، وتمكينهم من العمل ليهوديتهم بكل حرية وأمان في ظل المسيحية التي شوهوها، وغيروا مفاهيمها لصالحهم مع تقويض أسس المسيحية الكنسية المقدسة، وجرها إلى الموقف الذي خططته لها الصهيونية ليخدم المناهج اليهودية، حتى باتت العملية معكوسة، فقد أخذ الأصوليون الجدد من المسيحيين يتقاطرون أفواجاً وجماعات للمجمع المسكوني السائد اليوم، وينخرطون في اللعبة السياسية الصهيونية المعتمدة على شطحات تاريخية، وهلوسات دينية، وتفسيرات تلمودية تحمس لها الأصوليون من المسيحيين أكثر من غيرهم متناسين ديانتهم الأم الساعية إلى نشر المحبة والسلام بين بني البشر(١).

بيد أن الدور التاريخي الذي لعبه المسيحيون اليهود أو اليهود المسيحيون يتمثل في أنهم مع بداية القرن السادس عشر، أدخلوا ضمن السجلات الدينية، الاعتقاد بأن العناية الإلهية متضمّنة في حضور الرب في التاريخ الإنساني، وأنه سرعان ما سيبدأ التاريخ الإلهي بمجيء المسيح مع بداية الألف عام السعيدة (الألفية) فظهرت بين اللاهوتيين والمفكرين الدينيين، تفسيرات جديدة لسفر دانيال (العهد القديم) وسفر الرؤيا (العهد الجديد) فتصور تحول اليهود إلى المسيحية وعودة ظهور القبائل الإسرائيلية المفقودة باعتبارها الخطوات الأخيرة لنهاية التاريخ الإنساني، ومن ثم أصبحت الأحداث العظمى المرتبطة بذلك، هي عودة اليهود

---

(١) المفسدون في الأرض ٢٥٥.

المتجوّلين إلى أرض صهيون، وإعادة بناء المعبد، وإعادة تأسيس الحكم الإلهي للأرض في أورشليم. ولذلك، رأى المسيحيون اليهود الذين يعتقدون بقرب الألفية، أن اليهود الموجودين شركاء لا غنىً عنهم في الأحداث العظمى المقبلة قبل مجيء المسيح، وهذا ما نلمسه هذه الأيام من الإدارة الأمريكية المتهوّدة (الصهيونية) وسعيها الدؤوب في تحقيق الخطط الصهيونية للمنطقة.

وفي هذا الإطار استعد الفرنسيسكان الإصلاحيون في إسبانية مع بداية القرن السادس عشر بقيادة الكاردنيال زيمنس- للألفية بتعليم العبرية والآرامية في جامعة آلاكالا التي كانت قد أنشئت حديثاً، كما جرى تنظيم وإعادة الكتاب المقدس، وراح مشروع البحث عن قبائل إسرائيل المفقودة في العالم الجديد (أمريكا) والحفاظ عليها وتحويلها إلى المسيحية النقية بانتظار المجيء الثاني للمسيح[١].

كانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى الأمة اليهودية قد انتهى، وأن الرب طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً. وكانت الكنيسة الكاثوليكية تعتقد أيضاً أن النبوءات التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة إلى بابل، وإن هذه العودة قد حدثت بالفعل على يد الإمبراطور (قورش) الفارسي، وذلك الاعتقاد كان رؤية القديس أوغسطين الذي رأى أن القدس مدينة العهد الجديد، وأن فلسطين هي إرث المسيح

(١) المسيح اليهودي ونهاية العالم ٣٢.

للمسيحيين، غير أن حركة الإصلاح البروستانتي تنكرت لهذا الاعتقاد الكاثوليكي، وروجت لفكرة أن اليهود أمة مختارة مفضّلة، وأصبح العهد القديم المرجعَ الأعلى للاعتقاد البروستانتي، ومصدرَ المسيحية النقية الثابت، وجزءاً من طقوس العبادات والصلوات في الكنائس، وكتاباً للتاريخ عن الأراضي المقدسة والأنبياء، والنبوءات المتعلقة بنهاية الزمان والعصر الألفي السعيد والمجيء الثاني للمسيح.

ويعتبر مارتن لوثر مؤسس حركة الإصلاح البروستانتي مسؤولاً عن ظهور مناخ القرن السادس عشر الروحي والديني، الذي أوجد أرضاً خصبة لانتشار المسيحية اليهودية.

لقد كتب لوثر ١٥٢٣ (كتاب المسيح ولد يهودياً) إذ أدان اضطهاد الكاثوليكية لليهود محتجاً بأن المسيحية واليهود ينحدرون من أصل واحد، وفيه يقول: "إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الرب ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، تماماً كالمرأة الكنعانية».

وكان لوثر يؤمن بأن نبوءة التوراة حول إنقاذ كل إسرائيل كأمة ستتحقق، وكان يلوم البابوية لتحريفها المسيحية وصدها بذلك اليهود عن اعتناقها، وقد كان هدف لوثر النهائي هو تحويل اليهود إلى البروستانتية، ولكنهم بدلاً من أن يتحولوا إلى المسيحية، كانوا

يجمعون الأنصار لتهويد المسيحيين. ولذلك نجد لوثر بعد ذلك يعبر عن كرهه لليهود في كتابه (ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم) والذي ألفه ١٥٤٤م وطالب فيه بطردهم من ألمانية بقوله: "من الذي يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم يهودا؟ لا أحد إننا سنزودهم بكل ما يحتاجونه لرحلتهم لا لشيء إلا لنتخلص منهم، إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا".

ومع ذلك فإن حركة الإصلاح اللوثرية (البروستانتية) مثلت ثورة على الاعتقاد الكاثوليكي، وبشرت بعهد جديد من التسامح المسيحي- اليهودي.

وبعد أن انفصل الملك هنري الثامن عن كنيسة روما اقتحمت البروستانية بريطانية، وتمركزت فيها بالأمر الملكي الذي أصدره ١٥٣٨م إلى كل كنائس إنجلترا بإنهاء الوصاية الكهنوتية على الكتاب المقدس، ليحل هنري الثامن محل بابا الفاتيكان رئيساً أعلى لكنيسة إنجلترا[١].

وتقول باربرا توخمان في كتابها (الكتاب المقدس والسيف): إنّ ملك إنكلترا أمر بترجمة التوراة للغة الإنجليزية ونشرها وإتاحتها للقراء من قبل العامة كان يضع اليهودية تاريخاً وعادات وقوانين، لتكون جزءاً من الثقافة الإنجليزية، ولتصبح ذات تأثير هائل على هذه الثقافة على مدى القرون الثلاثة التالية، حتى أصبح لها تأثير في

(١) المسيح اليهودي ٣٢.

روح الحياة الإنكليزية أكثر من أي كتاب آخر، وذلك ما جعل قصص التاريخ اليهودي المادة الرئيسية في الثقافة البريطانية وباتت حكايات العهد القديم زاداً يومياً للعقل البروستانتي، حتى بات المؤمنون من تكرار قراءاتهم لها يحفظونها عن ظهر قلب، حتى إن المسيح (يسوع الناصري) لم يعد المسيح بن مريم، بل مجرد نبي آخر من زمرة الأنبياء اليهود. وتصف المؤرخة اليهودية توخمان ذلك بأنه (غزو عبراني) كما تسميه بمسمى لوثة العهد القديم.

غير أن الغزو العبراني للمسيحية وصل ذروته في عهد الثورة البيوريتانية في إنجلترا في القرن السابع عشر إذ كانت من أشهر أشكال البروستانتية تطرفاً باعتبارها كالفينية لذلك غالت في إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولوية للعهد القديم سيراً على تعاليم (جون كالفين) إذ وجدوا في العهد القديم المثال السماوي للحكومة الوطنية والدلالة الواضحة على القوانين التي يجب على البشر اتباعها، وإذا عصوها فالعقوبة ماثلة للعيان وآتية وطالب البيوتاريون الحكومة بأن تعلن التوراة دستوراً للقانون الإنجليزي واستعاض البيوتاريون العادات اليهودية بالمبادئ المسيحية، بل إن بعضهم كان يعتبر اليهودية اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس، وجرى تعميد الأطفال في الكنائس بأسماء عبرية بدلاً من أسماء القديسين المسيحيين، كما تغير الاحتفال الديني بقيامة المسيح إلى يوم السبت اليهودي[١].

---

(١) المصدر نفسه ٣٢.

كان طبيعياً أن يؤدي هذا الغزو العبراني للمسيحية البروستانتية إلى إطلاق حركة مسيحية صهيونية تعتمد على نبواءت العهد القديم بعودة اليهود إلى فلسطين.

ففي منتصف ١٦٠٠م بدأ البروستانت كتابة معاهدات تعلن بأن على جميع اليهود مغادرة أوروبة إلى فلسطين، وأعلن أوليفر كرمويل بصفته راعي الكومونولت البريطاني الذي كان قد أنشئ حديثاً، أن الوجود اليهودي في فلسطين هو الذي يمهد للمجيء الثاني للمسيح.

وفي ١٦٢١م ظهر كتاب هنري فنش، الذي يعد حجة القانون في عصره تحت عنوان (البعث العالمي الكبير، أو عودة اليهود ومعهم كل أمم وممالك الأرض إلى دين المسيح).

ورفض فنش في كتابه بشكل قاطع، التفسير المجازي للقديس أوغسطين للنبوءات التوراتية حول إعادة اليهود إلى إسرائيل، وهو التفسير الذي قال بعودة اليهود إلى إسرائيل الروحية، أي الكنيسة المسيحية، وليس إلى أرض إسرائيل. وجاء في الكتاب:

«حيث تذكر إسرائيل ويهودا وصهيون وأورشليم في الكتاب المقدس فإن الروح القدس لا تعني إسرائيل الروحية أو كنيسة الرب التي تتكون من المسيحيين أو اليهود أو منهما معاً، ولكنها تعني إسرائيل التي انحدرت من صلب يعقوب. وينطبق الشيء نفسه على عودتهم لأرضهم وقواعدهم القديمة وانتصارهم على أعدائهم..

سيقيمون الكنيسة الجديدة في أرض يهودا نفسها. هذه التعبيرات وأمثالها ليست مجازات وأقوالاً للرب، ولكنها تعني اليهود قولاً وفعلاً».

وفي هذا الإطار لم يكن من المدهش أن تنطلق المسيحية اليهودية كنظريات وممارسات، فالمسيحيون ربطوا توقعاتهم بتوقعات اليهود خصوصاً في ذيوع تنبؤات ظهور المسيح في ١٦٤٨ ثم عام ١٦٦٦ بناء على حسابات مستوحاة من القبالا اليهودية وقد عاد المسيحيون البروستانت لدراسة تعاليم التوراة حتى وصفوا بـ (المتهوّدين) بسبب معتقداتهم أحياناً، وبسبب قيامهم بإعادة تكييف الشعائر اليهودية مع المسيحية في أحيان أخرى. إذ قام بعض المتهودين بإدخال أشكال يهودية داخل المسيحية، أو بتعديل اعتقادات مسيحية لتصبح متوافقة مع اليهودية مثل (ألوهية المسيح أو عقيدة التثليث أو طبيعة الرب)[١].

وكان أبرز دعاة المسيحية اليهودية من اليهود خلال القرن السابع عشر منسي بن إسرائيل كبير حاخامات أمستردام. وقد ربط كتابه (أمل إسرائيل) بذكاء بين المسيحية البيوريتانية الإنجليزية والمسيحية اليهودية، كما ربط بين التفكير اللاهوتي والسياسة العملية وروج لإعادة السماح لليهود بدخول إنكلترا كخطوة في اتجاه أن تقوم إنجلترا بإعادة توطينهم النهائي في فلسطين، وظهر

(١) المسيح اليهودي ٣٥.

العديد من العلماء والفلاسفة والشعراء في أوروبة يركزون على النبوءات التوراتية (عودة المسيح المنتظر هو يسوع) وعودة اليهود إلى أرضهم، وهم الشعب المختار أمثال جون لوك- إسحاق نيوتن وجوزيف بريستلي- جان جاك روسو وبليز باسكال- جون ملتون الشاعر ووليام بليك واللورد بايرون وجورج إليوت- ثم نابليون بونوبارت.

النشاط الصهيوني في أوروبة وأمريكا

- الصهيونية حركت للحرب العالمية الأولى

عندما يعمد الناقد إلى التعمق في دراسة العوامل التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى وظروف الدول التي اشتركت فيها يقف حائراً للأسباب الواهية والاستهتار الفاضح الذي أظهره قادة الدول المشاركة في الحرب ضد مصير شعوبهم بإقدامهم على زج أبنائهم في أتّون تلك الحرب الضروس. إذ من المعروف أن الحروب كانت تقع في الماضي لأسباب دينية أو اقتصادية، وأن قضية اشتراك عدة دول في حرب طاحنة لأسباب لا علاقة لأكثرها بها، لم تحدث تقريباً قط. والدول التي اشتركت في الحرب ١٩١٤ لم يكن بينها خلاف ديني معين، ولم يكن لأي منها مبرر قومي أو اقتصادي يجيز لها دخول هذه الحرب والمغامرة الرهيبة. فالاقتصاد البريطاني والفرنسي قبل الحرب كانا على أحسن حال بدليل أن بريطانية كانت تستنجد بالصناعة الألمانية لسد العجز في تموين مستعمراتها. والبضائع الفرنسية كانت رائجة، كما أن الاقتصاد الألماني كان في

أوج عظمته. أما روسية فكان اقتصادها على نقيض ذلك، فالحرب اليابانية أنهكت خزانتها، وصراعها مع النمسة أتى على ما تبقى لها من قوة باعتبارها دولة زراعية، فلم يكن لها مصالح اقتصادية خارج حدودها. لهذا لم يكن لها مصلحة شن حرب، بينما كانت تركية تعاني من ضعف في كل المستويات، فالحروب البلقانية مزقت قواها العسكرية، وأنهكت اقتصادها، وحوصرت من قبل الدول الطامعة في بلادها، ولم يكن في مصلحتها التفكير في حرب خارج حدودها.

وإذا ربطنا الأحداث ومجرياتها ونتائجها في أغراض مدبريها تنكشف لنا أكثر الأسباب الغامضة المتعلقة بخفايا الحرب العالمية الأولى. وبغية إيضاح ذلك لنعد إلى عام ١٨٦٢م، إذ نجد الحوادث التي وقعت في أوروبة في ذلك العام والأعوام التي تلت حتى قيام الحرب الكونية الأولى(١).

من المسلم به أن القرن التاسع عشر كان عهد السيطرة اليهودية المالية والسياسية على كافة الدول الأوروبية. إذ كان اليهود فيه مسيطرين على فرنسة وإنكلترة مالياً، كما كانت أمورهم في كل من ألمانية والنمسة وروسية تسير في أحسن حال.

* * *

(١) المفسدون في الأرض ٢٥٠.

الفصل الرابع

تهويد المسيحية

كان من نتائج التطوير الغربي للمسيحية أن أصبح الكثير من مذاهبها، خاصة البروستانتية منها، أن تجعل من العهد القديم وقصص أنبياء بني إسرائيل محور معتقداتهم ومبادئهم، وهذه المسيحية المتطرفة هي التي جاء بها المستوطنون الأوروبيون الأوائل إلى العالم الجديد، ثم تفرعت عنها مذاهب أكثر تطرفاً وإغراقاً بالتركيز على العهد القديم، وهذا ما أصبح يعرف في العقود القليلة الماضية بالتراث اليهودي- المسيحي المعتمد على التفسير الحرفي للتوراة والعهد الجديد (الإنجيل) والتمسك بالرؤيا التي خيلت لبعض الناس أنها مقدسة وحتمية، وفي هذه الفترة. نرى كريستوفر كولومبس الإيطالي الأصل، وطنه إسبانية يحاول جهده توظيف النبوءات القديمة في إقناع ملك وملكة إسبانية على تمويل رحلته التي كانت في الحقيقة تشمل خطة أكبر بكثير من مشروع اكتشاف الهند، وفي سريرته كانت هذه الرحلة الخطوة الأولى في حرب صليبية يستطيع بها ملكا إسبانية وكولومبس استعادة الأراضي المقدسة، وإرجاعها إلى الدين المسيحي، وفي سنواته الأخيرة بقي كولومبس

على اعتقاده بأن الإرادة الإلهية والنبوءات المقدسة تقوده في جهوده. وقد ترجمت رسالته التي بعث بها إلى العرش الإسباني، وأعيدت طباعتها عدة مرات، حيث أصبحت وثيقة رسمية تمثل البرنامج الأيدلوجي للأوروبيين في حملاتهم الاستكشافية الاستعمارية والتبشيرية، إذ يلخص كولومبوس هذا البرنامج الشمولي في رسالته بما يلي: «غزو العالم، وهداية البشرية إلى المسيحية واستعادة الأراضي المقدسة، والإعداد لإنشاء مملكة الإله على جبل صهيون في موقع الهيكل» ويرى بعض المؤرخين أن كولومبس كان من أوائل المتطرفين المتحمسين للتبشير بالإنجيل في التقليد الحديث للكنائس اليمينية المتطرفة التي نشطت منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم، مع العلم أن أنشطته التبشيرية جاءت قبل قيام الحركة الإصلاحية الدينية على يد مارتن لوثر، أي قبل نشوء الكنائس البروستانتية المتطرفة، والتي اشتهرت بحماسها التبشيري بعشرة أعوام[١].

لم يكن كولومبس رجلاً تقياً مؤمناً وحسب، بل كان متطرفاً في ورعه وحماسه الديني إلى درجة جعلته مهووساً بتفسير حرفي للنصوص التنبوئية، ومن الأمثلة التي وردت معه في أثناء رحلته الأولى فيقول (في يوم ٢٣/ ١/ ١٤٩٢ كانت سفينته تائهة في بحر لفه الهدوء، فسكنت أشرعتها، ويئس بحارتها من العودة إلى إسبانية، لكن العناية الإلهية تدخلت، فتحركت الأشرعة دون رياح تدفعها متحركة معها السفينة، وما كان من كولومبس إلا أن علق بأن تلك

(١) من أجل صهيون. د. فؤاد شعبان ٣٠.

معجزة من السماء كالتي رافقت النبي موسى وأنقذته من فرعون وجيشه.

أطلق كولومبس على عام ١٤٩٢ (عام رحلته الأولى إلى بلاد الهند، صفة السنة العجيبة) لأنها شهدت أحداثاً تنبئ باقتراب نهاية العالم. فقد رأى في توحيد إسبانية وطرد المسلمين منها مع طرد اليهود من أوروبة لكي يعودوا إلى الأرض التي وعدهم الله بها، وفي انتخاب البابا الجديد من إسبانية، واعتلاء ملك وملكة مؤمنين عرش إسبانية، رأى كولومبس في هذه الأحداث وفي اكتشافه الجديد آيات تدل على فتح بوابات الشرق أمام أوروبة. وكان لظهور دولة إسبانية قوية الدليل القوي في نظره على أن الله قدر لهذه الدولة أن تسيطر على العالم، مما ينبئ بقرب الخلاص ونهاية الزمان بقدوم مملكة الله[١].

إن فكرة تخليص الأراضي المقدسة من المسلمين قد راودت المسيحية وبشكل خاص مسيحيي أوروبة في القرون الوسطى إذ شنت أوروبة أربع غزوات (الحروب الصليبية) في القرنين العاشر والحادي عشر لتحقيق هذه الأهداف، وقد اعتبر كولومبوس ذلك أمراً قابلاً للتحقيق في عصره نتيجة إنجازاته التنبُّئية التي رافقتها، بل كان أيضاً يعتقد بيقين تام أن الله اختاره ليلعب دوراً هاماً في تحرير الأراضي المقدسة. ولعله من الغريب حقاً أن الباحثين والمؤرخين لم

(١) المصدر نفسه ٣٦.

يتطرقوا بعمق إلى هذه الحوافز والأهداف الدينية في نشاطات كولومبس إلا في العقود الأخيرة.

كما أن كتابه الوحيد (كتاب الرؤيا) لم يترجم إلى اللغة الإنكليزية بكامله إلا منذ سنوات معدودة، وهو الذي يبين فيه كولومبس نفسه ودوافعه الدينية وأثرها في حياته. إننا نرى الآن الكثير من الأبطال والقادة اليهود- المسيحيين. يربطون بين الأحداث ويلبسونها أثواباً دينية، مثلما علق موشي دايان على حرب حزيران ١٩٦٧ بأنها حرب خططها داوود حيث فاجأ عدوه جالوت بضربه من بعيد بواسطة مقلاع. كما أن كسنجر أدعى بأنه نبي إسرائيل للخدمات التي قدمها للدولة الصهيونية، هذا من أمثلة كثيرة يتبجح بها الأصوليون من المسيحيين الصهاينة أمثال رونالد ريجان عام ١٩٨٢ عندما اجتاحت القوات الإسرائيلية جنوب لبنان ووصلت العاصمة بيروت إذ هلل وكبر للحرب، وادعى أنها معركة هرمجدّون في اقتراب اليسوع المخلص[١].

وقد حاول توماس طومسون في كتاباته أن يقدم قراءة نقدية للأدب الكتابي، لكي يقلّل من العنف والشر اللذين أثبت التراث اليهودي المسيحي المتطرف أنه قادر عليها ويقول: «إن المهمة الأولى للباحث هي أن يخفف من حدة التشوهات التي أضفيناها على الماضي باستعماله لأغراض لم تكن مقصودة منه أبداً».

---

(١) من أجل صهيون ٣٧.

ويقول المثقفون: إن أحد أخطار هذه التعاليم والأفكار الألفية هو التركيز المفرط والمتعمد على تأسيس دولة إسرائيل، لأهمية دورها في أحداث اليوم الأخير، والخطر الأكبر هو الميل إلى استخدام القوة في سبيل الوصول إلى النهاية وخاصة في تسوية النزاعات الدولية، التي لها اتصال بالأفكار الألفية. وقد حذرت الدكتورة كاترين وسينفر (أستاذة تاريخ الأديان في جامعة لويولا في أمريكا) من التركيز على القدس كنقطة رئيسية في التوقعات الألفية، ورغبة اليهود بهدم قبة الصخرة المقدسة لدى المسلمين، وإعادة بناء الهيكل مكانها. كل هذا يلقى دعماً كاملاً من اليمين المسيحي المتطرف في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، لأن ذلك يؤكد توقعاته لمعركة هرمجدّون ونزول الألفية. لكن النتائج السياسية كما تقول وسينفر لهدم قبة الصخرة ستكون أكثر خطورة مما يعتقد معظم الناس.

وقد أشار أيضاً المؤرخ الديني الأمريكي تيموتي ويبر في تفسيره إلى سبب التحالف بين اليمين المسيحي الأمريكي وإسرائيل، فيحذر من الخطر الكبير الذي تشكله هذه التصورات المبسطة لمخططات أحداث الأيام الأخيرة فيقول: «يبين تاريخ المسيحية بكل وضوح أن الاعتقاد بالتدبيرية الإلهية كما يفسرها عامة الناس وكل نظريات الأيام الأخيرة إذ إن هذه تقود إلى الاعتقاد بالجبرية التي تسلب الإرادة والعمل الإنساني. فإذا كان المستقبل ثابتاً وحتمياً، فالناس لا يقومون سوى بأدوار مرسومة لهم دون القدرة على تغيير

نتائج هذه المسرحية الإلهية، أو أي من أحداثها، فإذا كان المرء عالماً بهذه العملية فهو يستطيع أن يتعرف على أشخاصها، وأن يُقوِّم أداءهم، ويصدر الأحكام عليهم عندما يعلم المرء كيف ستنتهي المسرحية فليس ثمة مفاجآت غير متوقعة[١].

أو ليس من الغريب استخدام السياسة وأساليبها المتنوعة لرغبة الأصوليين في السيطرة على منطقة غنية بالنفط وتوظيف ما لديها من إمكانيات النبوءات حتى تأخذ شرعيتها لدى القاصي والداني في العالم، كما يحصل الآن في فلسطين والعراق، والأمر الأغرب في هذه الأفكار الجبرية هو إكسابها نبوءات وتصورات غيبية بينما ترى الحياة في شعوب الغرب قائمة على العلم والموضوعية، ولولا مساعدة المسيحيين المتطرفين للصهاينة لما كان هناك من تصور لقيام دولة إسرائيل، ولكن الظروف الاستعمارية في القرن الماضي والمصالح المتوخاة للغرب من السيطرة على منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية شجعت الصهاينة بتوظيف تلك الأوضاع لمخططاتهم في احتلال فلسطين، وتوزيع الأراضي ومضايقة أصحاب الأرض حتى باتت الصهيونية في فلسطين دولة داخل دولة الانتداب البريطاني. وبعد ذلك خرجت بريطانية تاركة الصهاينة يجتاحون القرى والمدن ويطردون سكانها منها وعلى مرآى ومسمع القوات البريطانية التي كانت ما تزال هناك.

---

(١) حكومة العالم الخفية ٥٦.

ثم أعلن الصهاينة قيام دولتهم واعترف الغرب بها بعد بضع ساعات من إعلان الدولة، وبقيت إسرائيل تحت جناح الأقوى (الولايات المتحدة الأمريكية) تساعدها وتمد لها يد العون والقوة من رغيف الخبز حتى طائرات (F18 F16) غير المعدات الحربية المتطورة الأخرى. فهل هذه العوامل إلا تبريراً وتحقيقاً لنبوءات أسطورية، وهل الجيش الأمريكي يسير في حروبه ومخططاته من أجل نبوءات أخرى[1]؟

وقد قال منذ البداية المؤرخ الديني روبرت بيلا: «قد استعمل تصور أمريكا الذاتي على أنها إسرائيل الله تبريراً لأكثر الأعمال وحشية وعاراً في معالجة الآخرين. ففي الخطاب الصهيوني الأمريكي يوصف سكان أمريكا (الأصليين والزنوج والأفارقة المستعبدين) وكل أعداء أمريكا بأنهم جيش الشيطان- وتتصرف أمريكا من منطلق مفهوم (القدراليين) الذي رافقه الفكر الأمريكي من البداية، والشيء الأخطر هو أن نسبة كبيرة من الأمة تؤمن به، وحين ترق السلطة فيها مجموعة من المتطرفين المؤمنين بهذا الفكر، خاصة وقد باتت هذه الأمة القوة العظمى الوحيدة في العالم.

اعتبر مستوطنو العالم الجديد الأوائل أنفسهم عباداً ليهوه، تحكمهم مبادئ قانون موسى، وكان هؤلاء المستوطنون مهيئين لهذا التركيز على خطاب العهد القديم في حياتهم العامة، والتزامهم

(١) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير ٣٤.

الواعي بالمعتقدات العبرانية التي حولت الإنسان الإنكليزي إلى طهوري متطرف، ولعل أبرز هذه الشواهد ما حدث لزعيم أول مجموعة مهاجرين طهوريين جون وينثروب الذي يقول عنه المؤرخ بارنيغتون: «إنه تنظيم في مدرسة الكتاب المقدس الإنكليزي فاستثارت القصائد العبرية خياله الشعري» مثله مثل الكثير من معاصريه الطهوريين شعراً ونثراً والمتعة الكبيرة في قراءة (سفر قصائد سليمان) والمهم في الأمر أن الرواد الأوائل من المهاجرين إلى أمريكا كانوا ولا يزالون يربطون بين هجرتهم إلى العالم الجديد لتنفيذ مشيئة الله بتأسيس مملكة صهيون في القفار حيث يقول وينثروب مخاطباً أتباعه عام ١٦٢٨م: «سوف نجد أن رب إسرائيل يمشي بيننا، وسوف يتغلب عشرة منا على ألف من أعدائنا عندما نمجده ونعبده وعلينا أن نعتبر أنفسنا المدينة على الجبل[١] تتطلع إلينا عيون البشر». وقد اعتادوا على تطبيق الإشعارات الكتابية على حياتهم اليومية بصورة تعكس إيمانهم المطلق بمكانتهم المضمونة مع قديسي وأنبياء النصوص المقدسة. وهكذا كان تعبير (القفار) كما استعملوه في وصف رحلتهم تجمع بين الأربعين سنة من رحلة العبرانيين، وتجاربهم وهم في مجاهل الشواطئ الأمريكية. ومع احتفاظ أمريكا بدورها الحاسم في تحقيق هذه المملكة، انتقلت رؤيا صهيون من الرمز إسرائيل الأمريكية إلى أرض إسرائيل التوراتية، بعد أن يجتمع من الشتات وقد أصبحت الولايات المتحدة الإرادة

---

(١) من أجل صهيون - المدينة على الجبل ٦٢.

الإلهية في تحقيق تلك النبوءات والعهود. كانت الآراء الأمريكية في القرن التاسع عشر بشأن عودة اليهود إلى أرضهم الشرعية تتراوح بين الحماسة الشديدة والالتزام، وبين الفتور في التفسير الحرفي للنصوص المقدسة، فهناك تفسير يقول: إن اليهود سوف يدعون للمشاركة بركة الله ورحمته، ويعتقد البعض أنهم سوف يعودون إلى أرضهم الخاصة بهم، أما بالنسبة إلى توقيت عودة اليهود إلى أرضهم فهو أمر ليس مؤكداً، فالبعض يظن أنه سيكون عام ١٨٦٦ أو عام ٢٠١٦م، لكن هنا لا يسهل تحديده على أنه لا يحدث قبل سقوط المسيح الدجال، أي إن دولة إسرائيل مخالفة أكيدة للنبوءات والتفسيرات؛ لأنها قامت قبل سقوط المسيح الدجال.

ومنذ أوائل القرن التاسع عشر نشأ في أمريكا عدد من الجمعيات والمنظمات والبرامج والأنشطة التي تدعو إلى هداية اليهود إلى المسيحية، كمرحلة في خطة إعادتهم إلى أرض الميعاد، إلا أنه مع مرور السنين لم تعد هداية اليهود شرطاً ضرورياً عند اليمين المتطرف من الأمريكيين لعودة اليهود إلى أرض الميعاد، بل في الواقع شرعت بعض المنظمات باستعمال تعابير تحسينية مثل إصلاح أوضاع اليهود بدلاً من هدايتهم، وينصح القاموس الديني المبشرين والأصوليين أن على المسيحيين «أن لا يضعوا العوائق في طريق اليهود فإذا نحن حاولنا أن نقوم بأي نشاط لهدايتهم، فلنجعل هذا النشاط على شكل حب وسلام ولنقترح عليهم المسيحية كما قدمها المسيح لهم.

لنضع أمامهم النبوءات الخاصة بهم ولنمتنع امتناعاً تاماً عن وضع الحدود لحقوقهم المدنية وعن الحجر على ضمائرهم».

لقد أصبحت هذه الحركات الإصلاحية هي الوسيلة الرئيسية للتغيير الاجتماعي مما يمكن إيجاز نتائج أنشطتها بمايلي:

* أصبح الشعب يؤمن بأنه يستطيع تحقيق تغير اجتماعي فعال بدلاً من اتخاذ اتجاه سلبي نحو التغيير.

* بدؤوا ينظرون إلى الدين باعتباره تقوى شخصيةٍ وعملاً اجتماعياً، بدلاً من قصره على أبعاد الحياة الشخصية والخاصة.

* بدؤوا يرون أن الحفاظ على النظام الاجتماعي وإحداث تغييرات لازمة هو التزام مفروض على الجميع أكثر من كونه مسؤولية تلقى على عاتق زعماء الدين والسياسية وحدهم[١].

ومن المؤسسات الاجتماعية الدينية التي كانت تحقق إصلاحات اجتماعية هامة جماعة (إمبرطورية الخير) و(جمعية الأصدقاء) والمعروفة (باسم الصاخبين) أول الجماعات الدينية التي قامت بربط التقوى الشخصية بمسؤولية تحسين النظام الاجتماعي، وقد انصب اهتمامهم على مساعدة الفقراء، وإصلاح السجون، والاعتدال في معاقرة الخمر أو الامتناع عنه، وإلغاء الرق. كما ظهر في نيوأيلند عدد من الحركات العامة تهدف إلى تحقيق مجتمع

(١) الدين والسياسة في الولايات المتحدة، مايكل وجوليا كوربت ١٢٢.

أفضل عن طريق تحسين التعليم، وتقوية الأخلاقيات. وكان الرعاة الأساسيون لها هم الأبرشيون والمشيخيون. وركزت هذه الحركات على توزيع الأناجيل والمنشورات الدينية إلى جانب القراءة والكتابة حتى يستطيع الناس قراءتها. أما الموحدون الذين اعتبرهم الأبرشيون هراطقة كانت جهودهم تنصب في إنشاء تعليم عام راق، ثم العمل على توفير المزيد من الرعاية الإنسانية للصُّم والعُمْي والمصابين بأمراض عقلية.

وهناك حركة أحباء الدين والكمالية: كانت هذه الحركات تؤمن بأن الناس يمكنهم تجنب اقتراف الخطيئة، وأنّ الكمال والقدسية الأخلاقية أمر في متناول البشر، وقد أيدوا السلام والاعتدال في معاقرة الخمر، أو الامتناع التام عنه، أو تحريمه، وإلغاء العبودية، الإصلاح الأخلاقي، وأسس العمل التجاري. ورغم إصرار هذه الحركات على الكنائس لا بد أن تواجه عدداً من القضايا الاجتماعية الملحّة، إلا أنها تجنبت المشاركة السياسية المباشرة باعتبار أن الصلاحيات الحكومية غير مجدية من دون السمو الروحي للبشر. وأن الوعظ والهداية أمران مهمان، وعلى الكنائس المشاركة في العمل السياسي المباشر في القضايا الكبرى الهامة مثل الرق والعبودية[١].

وهناك حركة التبشير الاجتماعي: استمرت الحركات ذات

(١) الدين والسياسة ١٠٥.

الجماعات الدينية بالإصلاح الاجتماعي، وقامت بوضع برامج فعالة لتحسين أحوال المجتمعات أهمها حركة التبشير الاجتماعي في أعقاب انتخاب ثيودور روزفلت صاحب الآراء الاجتماعية التقدمية، والذي ميز حركة التبشير الاجتماعي، على أنها رسالة اجتماعية في جوهرها، وكانت أهدافها اجتماعية، ومع ذلك انقسمت الكنائس بسبب الخلافات اللاهوتية بين الليبراليين والمعتدلين من جانب والأصوليين من جانب آخر، فقد أتهم الأصوليون حركة التبشير الاجتماعي بمناصرة الهرطقة؛ لأنها لم تشارك الأصوليين في تمسكهم بالرؤية الحرفية للكتاب المقدس، وفي تلك الفترة زادت أيضاً الجهود العلمانية للإصلاح الاجتماعي[1].

أدت الثورة الأخلاقية الكبيرة في عشرينيات القرن العشرين إلى خلق مناخ الأزمة التي أدت إلى انقسام لاهوتي عميق داخل البروستانتية، وهو الانقسام الذي كان له صداه في المسيحية الأمريكية في النصف الأخير من القرن الماضي، واتسع الخلاف بين الأصولية، ولم يتحقق هذا لأن هؤلاء رجعوا إلى ما كان يمثل مصدر قوة لهم، ألا وهو الإنجيلية وبناء الأبرشيات المحلية ليظهروا من جديد قوةً سياسية مهمة في العقود الأخيرة من القرن العشرين، ونتيجة لهذا التطور انقسمت الكنيسة البروستانتية في الولايات المتحدة إلى فرعين؛ فرع لاهوتي وسياسي محافظ، ومعكسر سياسي

(١) المصدر نفسه ١٠٦.

تقدمي ولاهوتي ليبرالي، ولم يتحقق التوافق بين الإنجيلية وآراء العمل الاجتماعي التقدمي سوى في التسعينيات من القرن العشرين. ففي بداية هذه الحقبة، كانت لغة الإصلاح الاجتماعي لغة دينية، ولم تكن لاهوتية صريحة، لكن مع انتهاء هذه الحقبة أصبحت اللغة المستحدثة في تناول القضايا المختلفة لغة علمانية. وقد لعب نمو التعددية دوراً كبيراً في ذلك الشأن. فلم يعد هناك أساس ديني مشترك، وأصبحت الائتلافات تُشكل إذا لزم الأمر[1].

واكتسبت اللغة العلمية احتراماً، وبات البحث عن التغيير وتحقيقه يعتمد على الجامعة العلمانية الحديثة بشكل أكبر من اعتماده على المؤسسات الدينية.

* * *

(١) الدين والسياسة ١٠٨.

الفصل الخامس

هجرة اليهود إلى أمريكا

هجرة اليهود إلى أمريكا

كان اليهود ينقلون مراكز قياداتهم السرية ونقاط نشاطاتهم من فرنسة إلى إنجلترا ثم إلى الولايات المتحدة حسب تطور تلك القوى وقدرتها على التأثير في الأحداث الدولية: وهكذا كان محط رحالهم الأخير إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فهي القوة العالمية المناهضة، والتي ستكون أكثر القوى فاعلية في الأحداث الدولية. يقول السيد برسبين مؤكداً: «إننا لا نقبل جماهير الآسيويين. غير أن الواقع يكذب ما ذهب إليه، إذ إن أسوأ أنواع اليهود المغول الآسيويون الذين يتدفقون على الولايات المتحدة ليل نهار في كتل بشرية متتابعة، وإن الكثير من المكاتب اليهودية تَزوِّر جوازات سفر لليهود، فالمهاجرون إلى نيويورك قلّما يكونون من غير اليهود، وهم يتظاهرون بأنهم بولنديون أو روس أو إيرلنديون».

ولم يكن زعماء الولايات المتحدة الأمريكيون غير مدركين للخطر. فقد جاء في خطاب لأحد زعماء الاستقلال بنجامين فرانكلين عند وضع دستور الولايات المتحدة عام ١٧٨٩ «هناك

خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود. أيها السادة في كل أرض حلَّ بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي، وأفسدوا الذمة التجارية فيها، ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم، وقد أدى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب مالياً كما هي الحال في البرتغال وإسبانية»[١]

«منذ أكثر من ١٧٠٠ سنة واليهود يندبون حظهم العاثر، ويعنون بذلك أنهم طردوا من ديار آبائهم، ولكنهم أيها السادة، لن يلبثوا إذا أعطتهم الدول المتحضرة اليوم فلسطين فإنهم يجدوا أسباباً تحملهم على ألا يعودوا إليها، لماذا؟ لأنهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض، ولابد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إليهم».

إذا لم يبعد هؤلاء عن الولايات المتحدة بنص دستورها فإن ميلهم سيتدفق إلى البلاد في غضون مئة سنة إلى حد يقدرون معه على أن يحكموا شعبنا ويدمّروه، ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا وضحينا من أجله بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الفردية، ولن تمضي مئتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام أسيادهم اليهود، على حين يظل اليهود في البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين.

---

(١) حكومة العالم الخفية ٢٩.

ولكن رغم كل ذلك فقد استطاع اليهود باتباعهم لجميع الظروف الملتوية أن يسيطروا على الولايات المتحدة، ومعها هيئة الأمم التي يشغلون فيها أهم المناصب إن المرشحين لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الأمريكية يتبارون لكسب اليهود، وقد لا نغالي إذا قلنا: إن الولايات المتحدة (ربيبة إسرائيل) وليس العكس، وأن رئيس وزراء إسرائيل هو الذي يرجح كفة المرشح ليغدو رئيساً بالتنسيق مع منظمة إيبال الأمريكية الصهيونية، ومع أن أكثر الأمريكيين يكرهون اليهود أكثر من كرههم للزنوج، لكن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العام، ويغسلون الأدمغة عن طريق وسائل الإعلام.. ومازلوا ينشطون للإجهاز على المجتمع الأمريكي بترويج الشذوذ الجنسي والمخدرات وجميع الصرعات التي تظهر متلاحقة في المجتمع الغربي[١].

أما الشيوعية والصهيونية: الشيوعية القوة العالمية الثانية بعد الولايات المتحدة، وهي (فكرة يهودية) وضعها كارل ماركس اليهودي، ويكفينا أن نذكر عدد اليهود في اللجنة المركزية أيام لينين وستالين لندرك العلاقة بين الشيوعية والصهيونية. ولا يفوتنا أن روسية هي ثاني دولة اعترفت بإسرائيل وأبدت استعدادها للتدخل عسكرياً لحمايتها. وفي زمن لينين ١٩١٨ تألفت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وهي أعلى سلطة في الاتحاد السوفييتي من ١٢

---

(١) حكومة العالم الخفية ٣٢.

عضواً منهم تسعة يهود، وغني عن البيان أن لينين نفسه كان متزوجاً من يهودية، وأمه يهودية أيضاً، أما في أيام ستالين فقد تألفت اللجنة المركزية الشيوعية ١٩٣٦ من ٥٩ عضواً منهم ٥٦ عضواً يهودياً، والثلاثة الآخرون كانوا متزوجين من يهوديات ومنهم ستالين نفسه.

ولا يغيب عن بالنا أيضاً أن اليهودي يكون شيوعياً أو رأسمالياً أمريكياً أو يوغوسلافياً ... إلخ، ولكنه يبقى فوق ذلك وقبل ذلك يهودياً.

فقد بقي اليهودي يهودياً بسبب التلمود، بينما بقي التلمود في اليهودي كما يقول إسرائيل أبرامز.

إعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية

كان المؤسسون منخرطين في السياسة، وهي تتطلب حلولاً وسطاً بينما كان هناك ما يكفي من الأسباب للاعتقاد بأن المؤسسين كانوا أصحاب مبادئ وقيم سامية، ولكنهم أيضاً توجّههم الأهداف التي تستوجب عملاً جدياً، ومن أجل تحقيق أهدافهم فقد قاموا أحياناً بتطويع مبادئهم أو إخفائها لتحقيق مبدأ آخر أكثر أهمية. لقد كان المؤسسون الأوائل بارعين سياسياً، وربما كانت الولايات المتحدة قد تعرضت لمصير مختلف تماماً لولا هؤلاء الزعماء، وعلى أساس هؤلاء كان جيفرسون (توماس جيفرسون ١٧٤٢ - ١٨٢٦) مسيحياً ليس بالمعنى التقليدي، لقد كان مسيحياً

بإيمانه القوي بتعاليم المسيح الأخلاقية، وآمن جيفرسون بوجود حكمة عظيمة في تعاليم المسيح، إلا أن هذه الحكمة جرفها آخرون مثل رجال الدين والمؤسسات الدينية المنتظمة لأسباب أنانية ومصلحية، وأراد جيفرسون فك طلاسم وتبسيط تعاليم المسيح، ونادى بوجوب قراءة الناس للإنجيل بنفس طريقة قراءتهم أي كتاب آخر، وإن عليهم استخلاص جواهر الحكمة منه، ونبذ ما يراه خطأً. ولهذا فقد غربل وانتقى من الأناجيل العادية (إنجيل جيفرسون) وكان بعنوان (حياة وأخلاق المسيح). ولعدم ثقته برجال الدين والمؤسسات الدينية آمن جيفرسون بحرية الضمير، والفصل بين الكنيسة والدولة.

وعلى الرغم من إيمان جيفرسون العميق بالحرية الفردية، فقد آمن أيضاً بقوة بأن الناس يحتاجون للتصرف بسلوك أخلاقي أكثر من اهتمامه بمعتقداتهم. ويشير (جوستاد) إلى تأكيد الأفعال أكثر من الأقوال، حيث يقول: «لو أراد جيفرسون تأسيس طائفة دينية، فإن المبدأ الأساسي لها سيكون عكس (الكالفانية) أي مبدأ أن الناس تخلصهم أعمالهم الصالحة وليس إيمانهم»[١].

جيمس ماديسون ١٧٥١- ١٨٣٦ وهو أبو الدستور، ورابع رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، وهو متحفظ للغاية بشأن وجهات النظر الشخصية الدينية، خاصة وأنه انحرف بعيداً عن

(١) التلمود: تاريخه وتعاليمه ٣٤.

المسيحية التقليدية على الرغم من دراسته اللاهوت لمدة سنوات في بريستول. آمن ماديسون إيماناً قوياً بحرية الفرد، وكان قلقاً للغاية تجاه أي جور من جانب المؤسسات الدينية أو السياسية، ونوجز أهم منجزاته في تخطيط الدستور بمايلي:

١- ساعد على إقامة جهاز حكومي بقوى متوازنة لمنع الحكومة من أن تصبح أقوى من اللازم.

٢- منع الحكومة من قمع الحرية الفردية.

٣- التعددية السياسية.

٤- أسلوب اقتسام السلطة بين المجلسين (الشيوخ مؤيداً الولايات الصغيرة والنواب مؤيداً الولايات الكبيرة) على توفير قوى التوازن.

٥- التعددية الدينية المبنية على تنوع الطوائف الدينية تحمي حرية الأفراد الدينية بشرط عدم وجود ائتلاف قمعي بين هذه الطوائف.

٦- عارض ماديسون بشدة الوسائل الدينية الرسمية سواء كانت المؤسسات الكنسية واحدة، كما كان الحال عندما كانت الكنيسة الإنجليكانية كنيسة رسمية، أو مؤسّسة لكنائس متعدّدة كالذي سيكون عليه الحال إذا نجح باتريك هنري في منتصف الثمانينيات في القرن الثامن عشر ديناً رسمياً في ولاية فرجينيا.

٧- عارض ماديسون جعل أي دين أو ائتلاف ديني رسمياً، وأيد وجود خط فاصل بين الكنيسة والدولة.

٨- لقد ربح ماديسون في حجة مشروع قانون باتريك هنري للتقويم الديني، ونتيجة لهذا النصر كان الوقت مناسباً لإعادة تقديم مشروعه الخاص بتأسيس حرية الفرد، وينقسم تشريع جيفرسون إلى ثلاثة أقسام.

أ- إن الله خلق العقل الإنساني حراً، وأراد له أن يستمر كذلك، وإن المحاولات التي تستهدف إجبار المغامر على الإيمان بأشياء معينة تؤدي فقط إلى النفاق والخسة، ولا تتفق مع مشيئة المعبود. إن مشيئته هي أن يتقبل الناس الدين من خلال تفكيرهم الخاص، ويالها من جرأة غير محبّبة أن يفرض القادة المدنيون والدنيويون رؤاهم على الآخرين، وهم أنفسهم غير معصومين عن الخطأ، وليسوا ملهمين، إن ربط الحقوق والمزايا باعتناق رؤى دينية معينة يفسد الدين كله، لأنها تعتبر رشوة الناس لاعتناق تلك الآراء. أي إنهم بتمسكهم بهذه الآراء الدينية يحصلون على مزايا وحقوق مدنية معينة. وليس هدف الحكومة المدنية، التحكم بآراء الناس.

وعندما تحاول الحكومة التدخُّل في وجهات النظر الدينية يعتبر هذا تدميراً كاملاً للحرية الدينية. أما إذا تحولت آراء[1] الناس إلى أعمال ضد السلام والنظام الصالح، فهذا هو الوقت الذي يجب أن تتحرك فيه الحكومة.

---

(١) الدين والسياسة ٤٨.

التركيز في الدستور على قومية علمانية

لعبت عوامل كثيرة لتبني دستور علماني أهمها:

١- كان المؤسسون الأوائل على وعي تام بالتعددية الدينية الكبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وربما لم يكن في العالم آنذاك ذلك الكم من التنوع الديني لاختلاف السكان. وأي محاولة من جانب أعضاء الوفود في المؤتمر الدستوري فرض دين رسمي أو شروط دينية لتقلد منصب عام كانت ستؤدي إلى معارضة عنيفة داخل المؤتمر نفسه، وفي أثناء محاولة الحصول على التصديق بعد ذلك.

٢- كان المؤسسون أيضاً على إدراك تام بالاضطهاد الديني في المستعمرات، وفي العالم بصفة عامة، فقد عرفوا كيف عاملت الكنائس الرسمية المنشقين، ولهذا تجنبوا تأسيس قاعدة تمكن جماعة دينية من مضايقة جماعة أخرى.

٣- كان المؤسسون حريصين أساساً على تحقيق هدفهم المحوري، ألا وهو إقامة حكومة مركزية قوية تحقق أهدافهم السياسية والأساسية. ولعلّ تجسيد الدين كعامل يعرض إقامة حكومة فدرالية للخطر. وهو ما كشف عنه ردُّ الفعل لطلب بنيامين فرانكلن المسيحي التقليدي بافتتاح جلسات كل يوم للمؤتمر الدستوري بالصَّلاة، إذ عارض الطلب ألكسندر هاملتون[١].

(١) المصدر نفسه ٤٨.

٤- كان لدى المؤسسين اعتقاد مشترك أن الحرية الدينية أمر نافع للدين نفسه. ولذا كان أي تأييد لدين معين في الدستور سيترتب عليه آثار سلبية على الدين. بينما إذا انفصل الدين عن الدولة فإن المؤسسين مؤمنون بأن الدين يوفر للحكومة التأييد اللازم، وخاصة الحكومة الجمهورية، بغض النظر عن آرائهم الدينية عقلانية كانت أم تقليدية.

٥- وعلى اعتبار أن أكثر الحاضرين في المؤتمر مهتمون بالناحية الاقتصادية للبلاد وحاجتهم للتعامل مع الدول الأخرى. كان من الطبيعي لأعضاء الوفود تفادي مسألة الدين في الدستور(١).

إن إعطاء أي صفة دينية رسمية قد يمنع الهجرة إلى البلاد، ويثبط همم المستثمرين ويصعّب الدخول في اتفاقيات ومعاهدات مع الدول الأخرى، وهذا ما جرى في صياغة معاهدة ١٧٤٧ في طرابلس الإسلامية، هذه الاتفاقية التي تمّ التفاوض بشأنها في أثناء رئاسة واشنطن، وتمّ التصديق عليها في مجلس الشيوخ، ووقعها الرئيس جون آدمز. وتنص على أن التناغم بين الدولتين لن يفسده شيء بسبب الدين، لأن الولايات المتحدة لا تقوم على أساس ديني مسيحي بأي شكل من الأشكال. ورغم هذا البيان القومي الحكومي المتشدّد بفصل الدين عن الدولة إلا أن الدستور لم يطبق بشكل جذري هذه البيانات على الولايات، إذ بقيت بعض

---

(١) المصدر نفسه ٣٩.

الولايات تعمل ضمن ارتباطها بالدين وبقوانينها الخاصة. كان الائتلاف الذي وضع الدستور متماسكاً، إلى حد ما بسبب تبنيه موقفاً محايداً بالنسبة للدين، فقد تفادى الدستور ذكر إله التاريخ أو إله الطبيعة: وحال صياغة البنود الخاصة بالدين في التعديل الأول.. أكد الكونغرس ببساطة أن الدستور لم يمنح الحكومة القومية أية سلطة للتعامل مع الأمور الدينية، ويمكن طرح مجموعة معينة من المعتقدات بشأن العلاقة بين الفرد والكنيسة والدولة(١).

* للأفراد حق ثابت في أن يكون لهم آراؤهم الدينية الخاصة بهم، دون إكراه من الكنيسة أو الدولة.

* لا يجب وجود نظام كنسي رسمي سواء جاء منفرداً أو متعدداً. ودعم الكنائس يجب أن يكون تطوعياً تماماً.

* لا يجب أن يكون هناك اختيار ديني لشغل وظيفة عامة، ولا يجب حرمان الأفراد من أي حقوق لهم على أساس رؤاهم الدينية.

* للأفراد حق ممارسة معتقداتهم الدينية شرط عدم تسبب هذا في ضرر للآخرين.

* أي دين يساعد على تحقيق السلوك الأخلاقي للناس هو دين صالح، وآمنوا أن الدين المسيحي هو الأفضل من هذه الناحية.

---

(١) المصدرنفسه ٤٩.

* تطلب الحكومة الجمهورية مستوى عالياً نسبياً من التصرف الأخلاقي من جانب المواطنين.

* تنبع الحاجة إلى الدين بتأييد الحكومة خاصة الجمهورية التي يكون فيها للسكان رأي في السياسة العامة[١].

* * *

(١) الدين والسياسة ٢١.

الفصل السادس

المسيحية والباطنية الصهيونية للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الامريكية

لقد لعبت عوامل كثيرة ساهمت في تكوين الثقافة الأمريكية والمؤثرة حقاً في سلوك الأمة، وأحد هذه العوامل هو التراث اليهودي - المسيحي الذي دخل صلب تكوين الثقافة الغربية بصفة عامة والأمريكية بصفة خاصة، ومع أن العالم الغربي يتأثر بالتراث اليهودي - المسيحي والرؤى الصهيونية، فإن أمريكا تتميز بأنها أسست منذ بداية الاستيطان الإنكليزي في نصف القارة الشمالية على الفكر البروستانتي الطهوري الذي يتصل اتصالاً مباشراً ووثيقاً بالكتاب المقدس، ويشكل خاص العهد القديم.

إن الدور الأهم في تهويد المسيحية الأوروبية ثم الأمريكية يعود كما أسلفنا إلى حركة الإصلاح الديني البروستانتي التي أطلقها مارتن لوثر في القرن السادس عشر. إذ دعا في بداية حياته إلى دراسة اللغة العبرية، وركز على دور التوراة في الحياة المسيحية. وكان هدفه تحويل اليهودية إلى مسيحية، وتحقيق النبوءة التوراتية المتعلقة بإنقاذ اليهود، وإقامة دولتهم في فلسطين.

وبعد أن يئس لوثر من تنصّرهم عبر في المرحلة الأخيرة من حياته عن كرهه لليهود، وطالب بطردهم من ألمانية، إلا أن دعوته للتخلص منهم كانت بدفعهم باتجاه العودة إلى أرضهم يهودا وليس إلى أي مكان آخر[١].

غير أن المسيحية اليهودية وصلت ذروتها في عهد الثورة البيوريتانية في إنكلترا في القرن السابع عشر، إذ مثلت البيوريتانية أشد أشكال البروستانتية تطرفاً في إعلاء العهد القديم واليهودية، إن اللاهوت البروستانتي (المتهوّد) انتقل مع المهاجرين الإنجليز الأوائل إلى أمريكا، خاصة أن الدافع هو استعمار أمريكا، ووقف تقدم الأمم الكاثوليكية (أي الإسبان والبرتغال والفرنسيين إلى العالم الجديد)[٢].

لقد شبه المستوطنون أنفسهم بالقبائل الإسرائيلية في رحليها من مصر إلى أرض كنعان، ويطلقون على مدنهم وبلداتهم أسماء كتابية من قصص بني إسرائيل (وأرض الميعاد) وعندما نالت أمريكا استقلالها صور الأمريكيون دولتهم الفنية أنها (إسرائيل الله الأمريكية) والنموذج الذي على العالم أن يحتذي به منذ القرن التاسع عشر. وانتقل هذا[٣] التمثيل الرمزي الكتابي إلى تطبيق عملي

---

(١) المسيح اليهودي ٤٩.

(٢) المصدر نفسه ٤٩.

(٣) من أجل صهيون ١٤.

(آمال صهيون) على أرض الواقع الجغرافي، وربما كان زعماء الإدارة الأمريكية قد تنبؤوا بسقوط صدّام، وربط هذا الحدث بنبوءات توراتية.

بعد أن تم انفصال الكنيسة البروستانتية عن روما بدأت حركة ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الأخرى الأوروبية، وبذلك أصبحت النصوص المقدسة متوافرة لعامة القراء، وأصبح الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث، تدريجياً مرجع الناس في عقيدتهم وعباداتهم، وقد ظهرت مذاهب فرعية للبروستانتية مثل الكالفينية واللوثرية اليمينية، ثم الإنجليكانية، وهي الكنيسة الرسمية لإنجلترا والتي كان يرأسها ملك إنكلترا.

وهي أقرب المذاهب البروستانتية كلها إلى الكاثوليكية، وكانت هذه المذاهب تعتبر العهد القديم جزءاً أساسياً من الكتاب المقدس. لكن جماعة (الطهورين puritans) التي ازدهرت في أمريكا، وأرادت تطهير كنيسة إنكلترا من بقايا الكاثوليكية، وكانت تتبع تعاليم جون كالفن وتحتل أقصى اليمين من البروستانية. وكانت تخص العهد القديم بمناسبة تكاد تكون فوق مكانة العهد الجديد. وكان تأثير الطهوريين كبيراً على الفكر الديني في أمريكا الشمالية. حيث أثارت معرفة الناس بنصوص العهد القديم فضولهم حيال مفاهيم العهد، والشعب المختار، وأرض الميعاد، وكل الأساطير التي وردت عن اليهود ودياناتهم وأنبيائهم.

وقد عبر محمد فاروق الزين عن هذا التحول في النظرة المسيحية لليهود بقوله: "إن حركة الإصلاح الديني البروستانتي زودت اليهود بفرص تاريخية نادرة وفريدة حصلوا بعدها على الاحترام والدعم الهائل وغير المشروط من المسيحية الغربية بسبب إيمان الأصوليين بالدور الكبير المفترض أن يلبسه اليهود في سيناريو العودة الثانية. فاليهود حصلوا على فلسطين باعتبارها (الأرض الموعودة) والمسيحيون الأصوليون ضمنوا بذلك تحقيق عودة المسيح الوشيكة)[١].

كانت المسيحية الغربية ومازالت عاملاً له تأثير كبير في تشكيل موقف الغرب، وبخاصة أمريكا من القدس والأراضي العربية، ومن ثم الصراع العربي - الإسرائيلي، وفي كتاب الدكتور جورجي كنعان عن المسار الغربي للمسيحية المتطرفة يقول: «إن أكبر عملية تزييف في التاريخ تتم بصمت وتآمر هي عملية تهويد المسيحية»[٢]. في الأراضي المقدسة. ومازال هذا الفكر المسيحي اليهودي يعمل بصورة جلية في سلوك الأمريكيين ومواقفهم الظالمة للعالم العربي ومعاونتهم منذ قرن حتى الآن ومساندتهم الصهيونية في الشرق الأوسط، ومن المؤسف حقاً أن العرب لم تأخذ دراساتهم المنهجية هذه العوامل الموجهة من قبل الرواد الصهاينة محمل الجد، وإن التحدي لا يعني العرب وحدهم، وإنما العالم الإسلامي هذه الأيام.

(١) المصدر نفسه ٣٦.

(٢) من أجل صهيون ٤٧.

هناك ثلاثة عوامل في الثقافة الأمريكية رفدت الفكر اليهودي-المسيحي على مر السنين، وقد استغلت الصهيونية هذه العوامل استغلالاً وحشياً في الثقافة الغربية بشكل عام والأمريكية بشكل خاص، وهذه العوامل:

أولاً: الصورة الذاتية الاصطفائية التي يعبر عنها الأمريكيون خاصة في علاقة أمريكا مع الله والقدر، ونجد في أعمال رجال الدين والسياسة والأدب وغيرهم تصورهم لأمريكا التي خلقها الله للهدف الأسمى، ولتنفيذ مهمة مقدسة من أجل البشرية، وقد حرّف الأصوليون مفهوم التميز بتفوق الشعب المختار من الله، واستبدلوها بأفكار منمقة إنسانية، ونسوا ما ورد في كتبهم المدرسية في إسرائيل حيث تركز هذه الكتب والمناهج على أنهم خير عرق في العالم، وهم شعب الله المختار، من بين الشعوب بسبب عرقهم وتربيتهم.

ويشير سوكولوف إلى أن اليهود يشكلون أنقى عرق بين جميع الأمم، ويطالب كاهانا بتطهير الأمة اليهودية من جميع الشوائب التي علقت بها، كما يتحدّث روجيه بلوم عن أسطورة الحقوق الطبيعية والتاريخية للشعب اليهودي المميز، ويوازى ذلك بادعاءات النازية الألمانية حول تفوق ونقاء العرق الآري.

ويقول جورجي كنعان: «إن العنصرية موجودة في الذات اليهودية العامة، فالصهيونية قائمة في جذور الديانة اليهودية، والديانة اليهودية قومية تجسدت في الحركة الصهيونية».

ثانياً: الاعتقاد الجازم بحتمية تاريخية مقرونة بالإيمان اليقيني

بخطة شاملة وضعها الله للدهر، لها مراحل مرسومة محددة، تبدأ مع بدء الخليقة، وتنتهي بنزول مملكة الله على الأرض[١].

ثالثاً: هذان العنصران الحتمية التاريخية وخطة الله للدهر، مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالجغرافية المقدسة (أرض الميعاد) مما يضع العالم العربي وفلسطين خاصة في بؤرة الفكر الكتابي الأمريكي في خطة الله[٢].

ونتيجة ارتباط هذه العناصر الثلاثة بعضها ببعض يصبح العداء للعرب والمسلمين صفة ملازمة للفكر اليهودي - المسيحي، وذلك أن الإسلام والمسلمين يحتلون هذه الأراضي المقدسة، وهم بذلك يشكلون عقبة في طريق (الكتابات التنبئية) ولاسيما أن تحقيق هذه النبوءات لا يعتمد فقط على استعادة هذه الأراضي، بل أيضاً على نهاية الإسلام في هداية المسلمين.

إن عناصر المكونات الثقافة الأمريكية ليست مجرد نصوص تقرأ على أنها قصة الماضي فقط، بل على العكس من ذلك، إن قوة التاريخ تنجم عن أننا نحمله في تكوين شخصيتنا وهويتنا، ونخضع لتأثيره ولو بشكل لاشعوري في كثير من الأحيان في أقوالنا وأفعالنا وسلوكياتنا، والتاريخ حاضر في كل ما نفعله. ذلك أننا نأخذ من التاريخ أطر تفكيرنا وميولنا وتطلعاتنا.

(١) المصدر نفسه ٤٨.

(٢) من أجل صهيون ١٨.

ويتبين لنا من دراسة التاريخ الأمريكي أن التراث اليهودي- المسيحي، يشكل جزءاً حيوياً في الثقافة الأمريكية. بل إن هذا التراث يدخل في تركيب نسيج هذه الثقافة على شكل خيوط وألوان ورسوم تتكرر مع بعض التنوع من حين لآخر، لكنها لا تنقطع أبداً.

لقد اكتسبت عناصر التراث اليهودي- المسيحي في العقود القليلة المنصرمة قوة وتأثيراً كبيرين في أوساط اليمين المسيحي المتطرف واليمين السياسي، مما كان له أكبر الأثر في سياسة أمريكا الخارجية فيما يتعلق بالعالم عامة والمنطقة العربية والإسلامية بشكل خاص.

إن هذا يحتم على العرب المسلمين القيام بنشاطات جدية منهجية لإبطال هذه المفاهيم الخاطئة في الثقافة الغربية والأمريكية، هذه الأفكار والمفاهيم الخاطئة والمشوّهة ثم المحرفة للمعتقدات المسيحية التي نؤمن بها في الشرق العربي والإسلامي اختطف الغرب الدين المسيحي وعمل فيه تشويهاً وتحريفاً وتعديلاً لكي يستجيب لظروفه وأهدافه ومصالحه[١].

كما أن ما سماه كنعان (خرافات التوراة وأساطيرها ومزاعمها الباطلة) والتي بنيت عليها إسرائيل (الدولة العرقية التيوقراطية). وفي ردٍّ على اليهودية المسيحية قال ندرة اليازجي: «تعرضتُ

---

(١) المصدر نفسه ١٩.

لنبوءات التوراة عن المسيح، وأثبتُّ أنها لا تمت بصلة إلى المسيح الكوني الذي نقرأ عنه في الإنجيل، وبرهنتُ على أن المسيح في التوراة مصطلح يكتنفه الغموض، وأن النبوءات لا تنطبق على من ولد في بيت لحم من عذراء».

وعلى هذا أعلن الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي بقوله: «لأنّ مسيح بولس ليسَ السّيدَ المسيح».

وهناك دراسات عميقة لتطور الفكر المسيحي الغربي حيث إن الفرق شاسع، الفرق بين المسيحية الأصلية ومسيحية بولس والمجامع الكنيسة الأخرى[١].

إن المسيحية المتطرفة تتبنّى نظرية الحتمية التاريخية كما أسلفنا، على أسس من القدرية الإيمانية التي تستند إلى عقيدة التدبير الإلهي، وهي أمر لا نقاش فيه مع المؤمنين به. فهم يسوقون النص تلو النص من الكتاب المقدس- بعهديه القديم- والجديد لإثبات عقيدة بنيت في الأصل على القراءة الحرفية لهذه النصوص، والأمر الذي يجعل هذا الموضوع مركزياً هو أن دعاة هذه العقيدة الغربية، يجعلون عنصر الجغرافية المقدسة «الشعب المختار، وأرض الميعاد، أساساً لها، وهم بذلك يضعون المنطقة العربية والأراضي العربية المقدسة، والنزاع العربي - الإسرائيلي في مركز ما يعتبرونه النبوءات المقدسة في خطة الكون، وهذا العنصر الأخير هو ما جعل هذه

(١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. روجيه غارودي ٤٣.

العقيدة أمراً ليس مهماً فقط، لكنه أيضاً من الخطورة بمكان يجعل من الضروري دراسته ومعرفته معرفة جيدة».

لقد جرى جدال بين دعاة هذه العقيدة ومعارضيها، وليس لنا إلا أن نبين بعض الحجج التي يقدمها من لا يؤمن بهذا التفسير للنصوص المقدسة.

* كتب فريدريك كاربنتز في معالجة موضوع (الاستشراق في أعمال الكاتب الأمريكي رالف أمرسون): «إن الكتاب المقدس هو كتاب المسيحية، والمسيحية هي دين الغرب لذا أصبح الكتاب المقدس بالنسبة إلى جميع الغربين- والأمريكيين جزءاً من الأدب الغربي»[١].

وكذلك الكاتب اليهودي الأمريكي ألفرد ليلنتال الذي كان من أوائل من عارضوا إنشاء وطن قومي لليهود بقوله: «في خرافة القومية اليهودية وفي جهود المسيحيين واليهود المتطرفين إذ إن صانعي الأساطير قد استغلوا العبرانيين والإسرائيليين والشعب اليهودي بالقول باستمرارية تاريخية لهذه الأساطير»، وهو في ذلك يكشف زيف عملية كتابة التاريخ بناءً على قراءة حرفية للنصوص المقدسة.

ويدرك ليلنتال الطريقة التي يستعملها المتطرفون للتغطية على

(١) من أجل صهيون ٢٤.

المآسي التي تسببها هذه القراءة، بل لتبريرها، لأنها كما يوحون لأتباعهم هي مشيئة الله حيث يقول: «المشكلة الفلسطينية هي مأساة إنسانية وسيطرة جماعة أجنبية على فلسطين وعلى أهلها من العرب المسلمين والمسيحيين، إضافة إلى تشريدهم وإرهابهم ومحاولة إبادتهم. هذه المشكلة تضع العالم كله، والكنيسة بصورة خاصة، وجهاً لوجه أمام قضية أخلاقية إنسانية لا يمكن التهرب منها».

ويفسر ليلنتال عدم مواجهة الكنيسة لهذه المشكلة بقوله: «إن فرض حظر على مناقشة مصداقية المحرقة أو أي شيء عن تفاصيلها قد لجم العالم المسيحي الغربي بصورة عامة وكنائس أمريكا بصورة خاصة، حتى إن أي تلميح بالعداء للسامية يستخدم لإرهاب المسيحيين ووضعهم دون قيد أو شرط ضد الصهيونية وإسرائيل، لقد قيد هذا الخوف من تهمة المعاداة للسامية جميع العالم المسيحي الغربي وأرهبه».

وقد أغفل ليلنتال تأثير بعض الكنائس لممارسات الصهاينة وإسرائيل من إرهاب وسبب ذلك هو الإيمان بالقراءة الحرفية والمشوّهة للكتاب المقدس. وهذا هو العامل الثقافي في تاريخ المسيحية - الغربية «العقيدة الصهيونية - المسيحية التي تشكل مكوناً هاماً ومستمراً في الفكر الغربي».

أما ديفيد شيلتون في دراسته الموضوعية الدقيقة للنصوص

النبوئية يستنتج أن «عدداً كبيراً من المسيحيين ينتظرون حدوث المحنة الكبرى، لكنهم سوف يصابون بخيبة أمل مرَّة أخرى؛ لأن هذه الحادثة وقعت بالفعل عام ٧٠ ميلادي» مشيراً بذلك إلى خطأ الاستمرار على قراءة النبوءات المقدسة في ضوء الأحداث الراهنة والمستقبلية[١].

❋ ❋ ❋

(١) من أجل صهيون ٥١.

الفصل السابع

الألفية ومسوغاتها ونهاية التاريخ

الألفية في الأساطير الأولى

في الأساطير أن التاريخ هو الذي منح الحضور الجديد لأسطورة قديمة، فليس الماضي إلا تجسيداً سابقاً للمستقبل، وليس المستقبل إلا استعادة للماضي تقوم على تكرار النماذج الأولى ورفض الزمان الواقعي.

* هذا هو النسغ الأسطوري للألفية، وهو نسغ أقدم بكثير من استعارات حاخامات وكتبة العهد القديم، وثمة ما يؤكد أن فكرة العود الأبدي والألفية كانت من أبرز القواسم المشتركة بين الأساطير القديمة التي لم تخلُ أي منها من تبريرات لهذه الفكرة.

١- عند الفرس وبتأثيرات كلدانية نتعرَّف سباعيةَ التاريخ الأسطوري للفرس وأطوارها التي ترتبط بهيمنة ألفية لكل الكواكب.

٢- وحسب مأثورات الأزتك في أمريكا الجنوبية دمر العالم ثلاث مرات، ولا يزال بانتظار الرابعة وبين المرة والمرة ألف عام.

٣- وحسب نظرية الاحتراق الدوري التي تعود إلى الرواقية وزينون، فإن المبدأ الفاعل هو النار، وعندما تأتي السنة الكبرى يكون قد تم الاحتراق الشامل، ثم تعود الدورة الكونية على نفس النسق وبالموجودات نفسها، والأحداث نفسها، وهكذا إلى غير نهاية.

٤- وقد تكررت هذه التصورات في التراث الجرماني الذي يقول بالاحتراق الشامل والمتبوع بخلق جديد.

٥- وحسب المازدية فإن الله خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، وعلى هذا الأساس سيدوم العالم ست مراحل زمانية نهائية، سيتغلب فيها الشر وينتصر على الأرض. وفي غضون الألف السابعة سيتم تكبيل أمير الأبالسة بالأغلال، وعندها ستشهد البشرية ألف عام من الاستقرار والعدالة القيمة. عقب ذلك العهد، سينقلب إبليس من أغلاله وسيشن حرباً ضد العادلين. وفي نهاية الأمر سيُمنى إبليس بالهزيمة، وفي نهاية الألف الثامنة سيخلق العالم خلقاً جديداً ليبقى خالداً أبد الدهر(١).

٦- ولعل الألفية الهندية أكثر التصورات البدائية تماسكاً داخل منظومة الموروث الفلسفي الهندي في محصلته الاجتماعية البدائية العامة.

---

(١) دورة الدين اليهودي موفق محادين١٠٥.

فكتاب (آثار تايدا) يتحدث عن أربعة عصور اجتماعية كل عصر أقل من سابقه، وحياة الإنسان في ظل عصر أقل من سابقتها. ويطابق بينها وبين مقاييس الدورة الكونية التي تبدأ باليوجا، وهي أصغر وحدة قياس الدورة، ويسبقها العصر، ويعقبها فجر وغسق، يصلان العصور فيما بينها.

وتتألف الدورة الكونية الكاملة أو (الماهايوجا) من أربعة عصور أو يوجات ذات مدد زمنية متفاوتة، ويكون أطول العصور في بداية الدورة وأقصرها في ختام الدورة، ويلاحظ أن النقصان التدريجي لمدة كل عصر جديد يقابله على الصعيد الإنساني انخفاضاً في مدة الحياة، كما يرافقه انحطاط في الأخلاق وتراجع في الذكاء[١].

المسوغات والركائز الغربية للألفية المسيحية الصهيونية

رغم أن فكرة المجيء اليهودي ترتبط بالأسر البابلي، والتيه في سيناء، ودعوة الرب لشعبه، واتحاد المقدس من خلال إعادة بناء الهيكل، وقيام المسيح اليهودي من نسل داوود، فقد ظل هذا الوهم بين اليهود من حين لآخر نحو موقفهم من (سيمون كوسيبا) الذي قاد التمرد اليهودي في فلسطين ضد الرومان خلال الفترة بين عام (١٣٢- ١٣٥م) وحظي بتأييدهم ومباركتهم له كمسيح أرسله الرب لتخليص اليهود، واعتباره ابن النجم باركوخبا، وأن فكرة

(١) المصدر نفسه ١٠٥.

المجيء للألفية لم تحتل حيّزها الموروث اليهودي نفسه، إلا مؤخراً وبصورة مغايرة للفكرة اليهودية نفسها، إذ لم يعد المخلّص المنتظر ملكاً يهودياً من نسل داود، بل أصبحت إسرائيل بكاملها مقدمةً لانبعاث المسيح المسيحي، وليس المسيح اليهودي وذلك في إطار المناخات التي رافقت انفجار المسألة اليهودية في أوروبة الشرقية، وظهور الصهيونية مسوغاً أيديولوجياً سياسياً للحاجة السياسية الاقتصادية الغربية (الرأسمالية في المنطقة).

وفي الإصلاح الكنيسي البروستانتي لم يعد للكنيسة احتكار الكتاب المبني على التحليل المجازي الرمزي في تفسير النصوص التوراتية الخاصة باليهود التي تتبناه الكنيسة الكاثوليكية، بل إن دراسة الكتاب المقدس وتفسير نصوصه التوراتية بشكل ما فتح باب البدع في اللاهوت المسيحي، حيث رأت أن الشعب اليهودي شعب مميز، وليس من الصحيح أنهم قتلة المسيح وكفره وهراطقة. وتعززت النزعة اليهودية في البروستانتية بإعادة اكتشاف العهد القديم وترجمته إلى اللغات القومية الأوروبية، وتسويق معتقدات اليهود وقوانينهم وأرض الميعاد. وأصبحت قصص العهد القديم وشخصياته مألوفة كالخبز يرددها البروستانت عن ظهر قلب.

وبالتزوير التاريخي الذي ساد هذه المرحلة تسلل إلى العقل الأوروبي ما يسمى بالحق التاريخي لليهود في فلسطين، وعليه يعتمد تدريجياً التاريخ الشامل لفلسطين، واقتصر على القصص المتعلقة بالوجود اليهودي وحده.

ومع أن قضية نزول المسيح وملكه الألفي تثير مشكلات متعددة في الفكر المسيحي والصهيوني، إلا أن الصهيونية استطاعت تجاوز هذه الإشكاليات بتبسيط القضية، وربط نزول المسيح بقيام إسرائيل، ومجيء يهود التيه، وتدمير العالم الإسلامي بتدمير خصائص سكانه، والقضاء على الحركات الإسلامية. إذن إن مسيح الصهيونية - الصليبية هو مسيح عنصري قبلي، جدول أعماله هو إقامة إسرائيل الكبرى، والقضاء على الفلسطينيين وإبادتهم ونهب العالم العربي، والسيطرة على ثراوته، ثم القضاء على سكان الدلتا في مصر لتصبح مستعمرة إسرائيلية.

جندت الصهيونية والأصولية المسيحية العديد من الكتّاب والمبشرين وعلماء متحمسين للدعوة الألفية في الولايات المتحدة الأمريكية على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين ولا تزال مستمرة حتى الآن أمثال[١].

- هال لندسي صاحب كتاب (الكرة الأرضية المرموقة).

- وليم ميلر مؤسس الأدفنتست (السبتين) في القرن التاسع عشر.

- غريس هالسل صاحب كتاب (الفكر التوراتي والحرب النووية).

- مايك إيفانز صاحب محطة للبرامج الدينية.

---

(١) دورة الدين اليهودي ١٢٢.

- إلى جانب استضافة البرامج التلفزيونية للعديد من المبشرين أمثال.

- بات روبرتسون الذي يستضيف برنامجاً لمدة تسعين دقيقة يومياً، ويدعى نادي ٧٠٠ (نسبة إلى عدد المساهمين بعد) ويصل هذا البرنامج إلى أكثر ٦١ مليون عائلة، أي أكثر من ١٩٪ من الأمريكيين الذين يملكون أجهزة تلفزيونية، وهو يملك محطة تلفزيون (C.B.N) وله محطة تلفزيونية في جنوب لبنان تقوم بمهمة التبشير، إن عمليات روبرتسون تحقق عائدات سنوية تزيد عن ٢٠٠ مليون دولار.

- جيري فولويل: تصل دروسه التبشيرية الأسبوعية ٥,٦ مليون من المشاهدين.

- الائتلاف الأمريكي من أجل القيم التقليدية: وبرنامجها يقوم على تجييش ٤٥ مليون أصولي إلى المراكز الحكومية من خلال بنك المواهب التي تملكه.

- جمعية السفارة المسيحية الدولية في القدس التي ترى قيام إسرائيل وعاصمتها القدس ضرورياً لعودة المسيح.

المسيح اليهودي ونهاية العالم

إن صمود حزب الله (اليمين الإيفا نجيلي والجمهوري) عبر الربع الأخير من القرن العشرين ارتبط بصعود ظاهرة (اليهو- مسيحية

(Judes christianity). وقد وجدت (اليهو- مسيحية) أساسها في مقولة التراث اليهودي المسيحي، أي تماثل القيم اليهودية المسيحية، التي ترجمت في النهاية إلى توافق القيم الإسرائيلية الأمريكية.

وثمة أوجه تماثل بين اليهودية والمسيحية أجدرها بالملاحظة، أنهما تشتركان في الكتاب المقدس، ولذلك تسميان ديانتي الكتاب المقدس، كما تتشاركان في الوصايا العشرة. ويعتقد المسيحيون الأمريكيون أن يسوع ولد يهودياً، بل إنه (المسيح) أحد أنبياء اليهود الكثيرين، فالبروستانتية وإن كانت مثلث ثورة من جهة إلغائها وصاية الكنيسة الكاثوليكية وتأكيدها على أن الفرد هو الوصي على عقله وروحه والمسؤول عن نفسه، وعن خلاصة الشخصي دينياً، إلا أنها (البروستانيتة) من جهة أخرى جذرت التراث اليهودي المسيحي، إذ أصبحت التوراة جزءاً من الإيمان البروستانتي[١].

وهكذا فإن التراث اليهودي للمسيحية الأمريكية كما يقول بول فندلي: جعل الكثير من المسيحيين الأمريكيين يقرون بأن إنشاء دولة إسرائيل ١٩٤٨ جاء تحصيل حاصل للثقافة الصهيونية المسيطرة.

---

(١) المسيح اليهودي ونهاية العالم ١٣٣.

نقد الألفية اليهودية

يحاول الصهاينة ربط الرؤى التوراتية بالأحداث المعاصرة لهم تفسيراً يستند إلى أسطورة خلق الكون البطولية والموغله في القدم، حتى يجعلوا تلك الأحداث برهاناً للنبوءات وأهميتها الدينية في عقيدة الأفراد، مثلما قال موشي دايان في حرب الأيام السبعة بأنها إلهام في مفاجأة العدو ضربة من بعيد بقوله: «إنه اتبع خطة داوود مع جالوت».

كما أن الرئيس ريجان قال في حديثه يوم اجتياح إسرائيل لبنان ١٩٨٢ «إن معركة هرمجدّون بدأت علاماتها ليظهر المسيح» وهناك من الأمثلة الكثير حتى الآن، وربما يبتدعون تنبؤات أخرى في المستقبل. ومن الردود على هذه الشطحات الكاذبة بفرض مايلي.

بينما يقول القديس أوغسطين: «لا أحد يستطيع معرفة اللحظة التي يقرر الله فيها وضع حد للتاريخ، فالمدينة الأبدية الوحيدة هي مدينة الله، والمسيح لم يمت من أجل خطايانا إلا مرة واحدة، فالموت ليس حدثاً قابلاً للتكرار.

* مجيء المسيح يعني نهاية الناموس (الشريعة) وبداية النعمة، أي نهاية اليهود وبداية المسيحية. (حتّي ١٠).

* الناموس بموسى أعطي، والنعمة والحق بيسوع المسيح صارا.

* المسيح ملكٌ روحيٌ، ومملكته هي مملكة الله. وليس ملكاً دنيوياً مملكته مملكة داود.

* إن الهيكل الموعود هو هيكل الناس، وليس هيكل سليمان، إنه حيث تريد الصهيونية تحويل المسيح إلى يهودي (ملك اليهود). إن الألفية تتحدث عن نفي المشروع الإسرائيلي برمته، حيث ينتهي التاريخ الهيغلي المسيحي بعيداً عن أسوار أريحا وخارج الذاكرة المكانية.

* إن الغائية الألفية كما في الهيغلية كما في فكرة نهاية التاريخ، فكرة ذوبان لا تستدعي نوح إلا لتنفيه على البر من جديد في رحلة الخطيئة. ولا تستدعي إسرائيل إلا لتنفيها[١].

أما الشق الآخر الذي تدّعيه الصهيونية بتأييد إسرائيل والرأسمالية فقد أوضحها كارل ماركس بقوله: «إن اليهودية لا تبلغ ذروتها إلا مع اكتمال المجتمع البرجوازي للنبوءات التوراتية، وإن الدولة اليهودية ستظل تلعب دوراً مركزياً في مخطط السماء والأرض».

وجاء انتصار إسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال القدس ليمثل عند المسيحيين الأمريكيين تأكيداً لنبوءات التوراة وقرب مجيء المسيح.

---

(١) دورة الدين اليهودي ١١٤.

بل إن الأمريكيين باعتبارهم الشعب المختار الجديد استعادوا حكايات وبطولات التوراة في أدوار معاصرة في أمريكا (أرض الميعاد الجديدة)[١].

ومع صعود الإحياء الإيفانجيلي في السبعينيات ووصول الرئيس كارتر الذي أعلن أنه «مسيحي ولد ثانية» إلى البيت الأبيض.

أعلن زعيم منظمة الأغلبية الأخلاقية جيري فالويل «إن مخلصنا كان يهودياً» وعقد أول مؤتمر سنوي للمنظمة في إسرائيل. كما أعلن الرئيس كارتر نفسه عن إدانته لمن يتهم اليهود بقتل المسيح بـ (اللاسامية)، وأعرب عن علاقة التماثل بين أمريكا وإسرائيل في حديث ألقاه أمام الكنيست الإسرائيلي في آذار/ مارس ١٩٧٩، وزاد كارتر على ذلك بأنه أعلن في بيانه الانتخابي في العام نفسه أن تأمين إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءات التوراتية. وأصبح تأمين إسرائيل قضية رئيسية للوعاظ الإيفانجيليين في محطاتهم وبرامجهم «الكنائس التلفزيونية» واعتبر جيري فالويل أن أهمية الأمريكيين في نظر الرب مرتبطة بتنفيذ أمريكا لإرادته في الأرض، أي دعم إسرائيل. وأنتج الواعظ التلفزيوني مايك إيفانز برنامجاً تحت عنوان (إسرائيل مفتاح بقاء أمريكا). واشتهرت بات روبرتسون بترويجه في نادي (السبع مئة) تأمين إسرائيل، وتهويد القدس من أجل الإعداد للمجيئ الثاني للمسيح وإن كانت ترى تحويل اليهود إلى المسيحية قبل عودة المسيح.

---

(١) المصدر نفسه ١٠٩.

وفي كتابها (النبوءة والسياسة) تقول الباحثة الأمريكية (جريس هالسل): «إن اليمين المسيحي كان مستعداً بل راغباً بكل قوة في إشعال حرب نووية من أجل إسرائيل تحقيقاً لنبوءة التوراة». وفي عام ١٩٨٢ وخلال الغزو الإسرائيلي للبنان، ظهر القس روبرتسون في نادي السبع مئة يبشر بمعركة هرمجدّون بين إسرائيل والعرب الذين يظهر بينهم المسيح الدجال. وبعد الغزو العراقي للكويت في آب ١٩٩٠، روج اليمين المسيحي سيناريو أن صدام حسين هو المسيح الدجال، الذي سيدعمه الروس في الحرب ضد إسرائيل بما يمهد لمعركة هرمجدون بين قوى الشر (المسيح الدجال والعرب والروس) وقوى الخير (أمريكا وإسرائيل) لينتهي العالم، ويعود المسيح. ولما انتهت حرب الخليج عام ١٩٩١ من دون قيامة هرمجدون أشعلت اليهومسيحية الأمريكية حرباً مزدوجة ضد الرئيس بوش. إذ إنّ الرئيس بوش دعا إلى إقامة نظام عالمي جديد، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وحرب الخليج، فاعتبر اليهومسيحية هذه الدعوة لإقامة حكومة عالمية واحدة لها جيش عالمي بقيادة الأمم المتحدة، تضم قوى الشر والكفر في مواجهة أبناء الرب تمهيداً للهجوم على إسرائيل. كما اعتبرت اليهومسيحية أن دعوته لمؤتمر مدريد من أجل السلام في الشرق الأوسط، وإرغام إسرائيل على حضور المؤتمر بتجميد ضمانات القروض الأمريكية لها هي دعوة الهدف منها إجبار إسرائيل على التخلي عن الأراضي التي وعد بها الرب إبراهيم. وكانت نتيجة حرب اليهومسيحية ضد بوش الأب خسارته الانتخابات ١٩٩٢ وبرغم أن فترة رئاسته

(الوحيدة) شهدت سقوط الاتحاد السوفييتي وانتصار أمريكا في حرب الخليج وتتويج أمريكا كقوة عظمى وحيدة دون منافس.

لقد ظهرت أصوات معارضة لليهود- مسيحية بين زعماء الحزب الجمهوري. ففي ١٩٩٢ شهد هذا العالم حرباً ثقافية حول (الدين الأمريكي) بالمؤتمر القومي للجمهوريين في هيوستن تكساس-إذ ظهر المرشح الجمهوري باتريك بوكنان والواعظ التلفزيوني بات روبرتسون وسط الآلاف من الملصقات والصحيفات التي تقول: إنها الحرب الثقافية، وافتتح المرشح الرئاسي بوكنان المؤتمر بصيحة تنذر من الحرب الدينية المقبلة التي ستقسم الولايات المتحدة الامريكية من الداخل قائلاً: «إنها حرب حول روح أمريكا» وامتدت الدعوة حين أعلن حاكم ولاية مسيسبي الجمهوري كيرك فورديس خلال أحد المؤتمرات «إن أمريكا أمة مسيحية» فطالت قذائف الحزب الجمهوري وفورديس. ودفع الحزب حاكم كارولينا الجنوبية الجمهوري كارول كاميل ليرد على فورديس. مؤكداً على أهمية التراث اليهومسيحي[(١)].

واضطر الحزب الجمهوري - فيما بعد أن يُصدر تصحيحاً لتصريح فورديس. بل إن فورديس نفسه اعتذر بأن تصريحه أسيئ فهمه، وبأنه مؤمن بأن التقاليد الأمريكية الدينية والأخلاقية هي تقاليد يهومسيحية. ولم يجرؤ أحد من الحزب الجمهوري بعد

---

(١) المسيح اليهودي ١٣٢.

فورديس أن ينسى وضع كلمة يهو قبل كلمة مسيحية. عند ذكر التقاليد الأمريكية الأخلاقية والدينية، وقد علق البروفسور التلمودي يعقوب نوسبر على واقعة فورديس في جريدة نيوزويك ٧ ديسمبر ١٩٩٢ بقوله: «إن فورديس يمكن أن يكون قد جانبه الصواب من الناحية السياسية. أما من الناحية اللاهوتية فليس هناك شيء اسمه (يهومسيحية) فهي أسطورة علمانية. ولكن تلك الأسطورة العلمانية التي استندت إلى سند ديني وتاريخي. تحولت إلى حركة سياسية مع صعود اليمين المسيحي خلال الربع الأخير من القرن العشرين، وامتدت لتشق طريقها ليس فقط بين البروستانت، وإنما داخل الكاثوليكية الأمريكية أيضاً».

مثلت واشنطن الفاتيكان أورشليم[١]

كانت الكنيسة الكاثوليكية قبل عصر الإصلاح الديني، تأخذ بالتفسير اللاهوتي المجازي وليس بالتفسير الحرفي للتوراة. فالفقرات الواردة في التوراة والتي تشير إلى عودة اليهود إلى الأراضي المقدسة، كانت الكنيسة ترى أنها لا تنطبق على اليهود طبقاً للعقيدة الكاثوليكية الرسمية لكونهم قد اقترفوا إثماً فطردهم الله من فلسطين، إلى منفاهم في بابل. وعندما أنكروا أن يسوع هو المسيح المنتظر نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهى وجود ما يسمى (الأمة اليهودية) إلى الأبد.

---

(١) المصدر نفسه ١٤٢.

ووفقاً للعقيدة الكاثوليكية حسب فكر القديس أوغسطين في القرن الخامس الميلادي فإنها مثلت العقيدة المسيحية الكاثوليكية حتى القرن السادس عشر، وعلى أساسها كانت فترة العصور الوسطى تميل إلى الفصل بين اليهود المعاصرين والعبرانيين القدامى، واعتبرت فلسطين الوطن المقدس الذي أورثه المسيح لأتباعه المسيحيين[١]، وكانت القدس هي مدينة العهد الجديد المقدسة، وليست صهيون اليهودية. وظل الأمر كذلك حتى عام ٥٩٠م حين أصبح عرش البابا جريجوري مركز السلطة المسيحية، وأصبحت روما المدينة المقدسة، ولم تعد القدس محور الاهتمام المسيحي إلا مع احتلال المسلمين لها. وكانت الحملات الصليبية لاستردادها من الكفرة سواء كانوا يهوداً أم مسلمين. وزاد العداء المسيحي لليهود إلى أشده إبان الحملات الصليبية، حتى إن المؤرخة باربرا توخمان في كتابها (الكتاب المقدس والسيف) والمؤرخ فردريك هير في كتابه (عالم العصور الوسطى) يشيران إلى أن المحاربين الصليبيين المسيحيين هم أول من بدأ المذابح اليهودية في طريقهم إلى فلسطين. وبعد استرداد الكاثوليك للأندلس في نهاية القرن الخامس عشر جرى طرد اليهود مع المسلمين كما أسلفنا، وأقام الإسبان محاكم التفتيش لليهود المستثمرين وراء اعتناق المسيحية «يهود المارانو»[٢].

(١) المصدر اليهودي ١٤٤

(٢) المصدر نفسه ١٤٤.

وبعد حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر في أوروبة تولدت نظرة جديدة عن الماضي والحاضر اليهودي فقد وصفت هذه الحركة بأنها بعث (عبري أو يهودي) حيث تنكرت حركة الإصلاح هذه للاعتقاد الكاثوليكي حول اليهود، ورجعت الفكرة أن اليهود أمة مختارة مفضلة، وأصبح المرجع الأعلى للعقيدة البروستانتية التوراة (العهد القديم). كان لوثريؤمن بأن نبوءة التوراة حول إنقاذ إسرائيل كأمة ستتحقق، وكان يلوم الكاثوليكية (والبابا) لتحريفها المسيحية وصدها بذلك اليهود عن اعتناقها. إذ كان لوثر هدفه النهائي هو تحويل اليهود إلى المسيحية، ولكنهم بدلاً من أن يرتدوا إلى المسيحية كانوا يجمعون الأنصار لتهويد المسيحيين. ولذلك نجد لوثر ينقلب عليهم ويعبر عن كرهه لهم في كتابه «ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم». الذي وضعه عام ١٥٤٤م، وطالب فيه بطردهم من ألمانية(١).

* * *

(١) المصدر نفسه ١٤٥.

الفصل الثامن

الماسونية - الصهيونية

الماسونية (نشأة ملك إسرائيل) كتب المؤلف الدكتور محمد علي الزعبي دراسة وافية عن الماسونية. وتوصل إلى توصية موجزة يقول فيها «على ملوك ورؤساء وزعماء العالم وذوي المناصب العالية تجنب الانخراط بالماسونية لجهلهم بأهدافها وخططها الشيطانية بالفساد، والعمل على قلعها من جذورها، وقتل روحها المناضلة في إسرائيل». ويمكن إيجاز ما كتبه المؤلف بمايلي:

١- **تمهيد**: في خضم المنافسات بين المجتمعات وظهور الجمعيات، كانت القوة الخفية التي أسسها إسرائيل ٤٣م، هدفها مناهضة المسيحية، حيث عرضها بثوب جديد دعاه الماسونية ١٧١٧م. شعارها هو (الحرية، والإخاء والإنسانية، والتعاون وخدمة الفضيلة).

٢- **تعريفها**: «جمهور عظيم من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة، لا يعرفها إلا القليل منهم».

والغاية هي رفع إسرائيل في سماء أرض كنعان.

أقسامها ثلاثة:

أ- ابتدائية رمزية: لا يعرفون الأهداف (عميان صغار).

ب- متوسطة أو ملوكية: يعرفون بعض الأهداف التي تنشط المصلحة الخاصة (عميان كبار).

جـ- كونية أو مدرسة عالمية: تضم نخبة من حكماء صهيون وراءهم سر الماسونية، وهؤلاء يتصرفون بالمحافل الأولى تصرفاً يبقى لليهود وحدهم ولمصالحهم.

٣- **الرسل بمنطق إسرائيل**: طلاب زعامة إذ إن الدين اليهودي وحده هو الباقي والخالد، وغير الأديان جمعيات اتخذ مؤسسوها الدعوة إلى الله وحده وسيلة للزعامة ومنفذاً للرئاسة.

٤- **التلمود**: يناهض جميع الأديان عند اليهود بمنطلق ووسيلة تفرضها الأزمنة، ويستحيل على الله بمنطق إسرائيل أن ينزل وحياً إلا بين ظهراني شعبه المختار، والمقيم في ما يدعونه جبال اليهودية. وبهذا المنطق الملتوي قابلوا المسيح؛ لأن الناصرة ليست من تلك الجبال السعيدة.

لكن المسيحية انتشرت وتوافد الوثنيون على المسيحية وبشكل خاص بعد موت المسيح فقام أخيراً (أحيرام بيود ومؤاب لافي) اليهوديان اللذان لا يقلان عن هيرودتس كرهاً للمسيح وتلاميذه ودينه وحرّضا على إبادة أتباعه[١].

---

(١) الماسونية ونشأة ملك إسرائيل د. محمد علي الزعبي ١٧.

وقد تلقى هذا الملك اقتراح أحيرام بتأسيس جمعية تأخذ على عاتقها الضرب على أيدي تلاميذ المسيح وأتباعهم قتلاً وتدميراً حفاظاً لصهيونيتهم، وإحباطاً لدعوتهم وبالاتفاق مع قوات مؤاب على اختيار من يرونهم مناسبين لمشاطرتهم هذه المهمة وتم الاتفاق على دعوة ستة كانت اجتماعاتهم تدعى جلسات.

الأولى: انعقدت في ٢٤حزيران سنة ٤٣م: حضر الجلسة الملك والستة المنتخبون حيث أشار عليهم عن أهداف الجمعية، وكشف عن مؤامراته السرية التي زرعها في قلب التعاليم المسيحية، والتي نفذت بيد الفريسيين والصديقين.

الثانية: انعقدت في ٢٥حزيران سنة ٤٣م أي بعد يوم: وأهم نشاطاتها كانت:

توزيع المسؤولية مع مراعاة المقدرة والاختصاص، ودعا الرئيس التكتم الشديد حتى تبقى الأسرار محفوظة في قلوب المؤسسين فقط، وهم تسعة كل واحد باستطاعته إذا تعرض لمكروه أن يختار شاباً قوياً يقضي على من يكشف السر[١].

نشر الكاتب مؤلف كتاب الماسونية فضح اللعبة(وولتون هته) (ترجمة حمدي الصاحب): والخاصة بالماسونية يستعرض فيه الطقوس والقوانين والإشارات، ثم الانتساب للجمعية والدرجات التي يمر بها العضو... إلخ.

---

(١) الماسونية ونشأة ملك إسرائيل ١٨.

فيقول الكاتب: «ليس مهماً إعطاء المعلومات لغير الماسوني، بل لعله أيضاً يهدي الماسوني المسيحي سواء السبيل، ويجعله يعيد النظر في موقفه. لعله يسأل نفسه منذ البداية، هل مباح ومشروع أخلاقياً أن يلزم نفسه سلفاً عن طريق أداء قسم على الإنجيل بالمحافظة على السرية والإخلاص والأمانة لمنظمة معينة تدعو إلى عقيدة وأخلاق لم يكشف له عن شيء منها سابقاً، ولم تشرح له أهدافها مسبقاً؟ هذا هو حجر العثرة الأولى التي يواجهها الماسوني المسيحي الذي هو على تمام الاطلاع والمعرفة باللاهوت الأخلاقي والقيم الدينية»[١].

حاولت الصهيونية التدخل في ثقافات الديانات السماوية الأخرى المسيحية ممثلة بالعهد الجديد والإسلام ممثلاً بالقرآن الكريم، فأقدمت على تغيير الوصايا الموجهة ضد المسيحية، وخففت من الحملة العشوائية التي أتى بها التلمود من عداء، وذلك بسبب دخول الغرب على خط الفكر الصهيوني مع حلول القرن التاسع عشر. إذ كان الضغط قوياً عليهم وحذفت قلة من المقاطع الهجومية الضارية من جميع النسخ المطبوعة في أوروبة. أما المقاطع الأخرى مثل غيري -اليهودي غريب (غوي إيتو يهودي، نوخري) التي تظهر في كل المخطوطات. وكذلك جميع النسخ المطبوعة في البلدان الإسلامية استبدلت بمصطلحات مثل وثني، همجي وحتى كنعاني أو سامري، وهي مصطلحات يمكن تبريرها أمام الآخرين،

---

(١) فضح الماسونية، وولتون هنه ٣٠.

لكن القارئ اليهودي يعرف أنها مصطلحات مطلقة للتعبيرات القديمة.

ومع تصاعد الحملة أصبح الدفاع أكثر إحكاماً مما أسفر أحياناً عن نتائج ذات تأثيرات مأساوية دائمة، ففي فترات معينة أصبحت رقابة روسية القيصرية أكثر شدة، ومع اكتشاف التعبيرات المطلقة ومعرفة ما تعنيه في الواقع ثم منعها لذلك عوضتها المراجع الحاخامية بتعبيرات مثل عربي أو مسلم (بالعبرية بشماعيلي) وأحياناً مصري، لأنها أدركت أن السلطات القيصرية لن تفترض على هذا النوع من الإساءة[١].

وتحاول اليوم الإدارة الأمريكية بالتنسيق مع مريدها الأول الصهيونية التلاعب بأفكار العرب والمسلمين مثلما غسلت أدمغة الغرب بشكل عام والشعب الأمريكي بشكل خاص عن طريق التدخل بتغيير المناهج الدراسية، كما فعلت مع عرب فلسطين بعد عام ١٩٤٨ إذ غيرت المناهج المتعلقة بتاريخ العرب والمسلمين، واستبدلتها بالتاريخ العبري كما حذفت من القرآن الكريم جميع الأيات التي تكشف كيدهم وكفرهم، وقد استغلت الولايات المتحدة حادثة ١١أيلول ٢٠٠١ لتضع كل طاقاتها في محاربة المسلمين بحجة أنهم إرهابيون أصوليون، وينسون أنفسهم في نشر الفوضى والرعب في أنحاء العالم وشعوبها، لتحقيق نبوءات التوراة القديمة- الحديثة.

(١) الماسونية ونشأة ملك إسرائيل ٢٠.

والمتتبع للأحداث في أوروبة والعالم، يرى أن الصهيونية وزعماءها كان لهم اليد الطولى والمحرض الأساسي لتلك الأحداث الدامية التي أرهقت الدول الأوروبية زمناً طويلاً.

وبغية إيضاح ذلك لنعد إلى عام (١٨٦٢) ونبحث عن الحوادث التي وقعت في أوروبة في ذلك العام والأعوام التي تلت حتى قيام الحرب الكونية الأولى[١].

من المسلم به أن القرن التاسع عشر كان لهذه السيطرة اليهودية المالية والسياسية على كافة الدول الأوروبية، إذ كان اليهود فيه مسيطرين على فرنسة وإنكلترا. كما كانت أمورهم في كل من ألمانية والنمسة وروسية تسير على أحسن حال. وهذه السيطرة دفعت بهم إلى المجاهرة بأحلامهم القديمة، وبدأ كتابهم أمثال دزرائيلي وجوزيف سلفادور وموسى هس Moise Hess مؤلف كتاب (روما والقدس) يقومون بدعاية واسعة لنشر الفكرة أو البدعة الصهيونية في أنحاء أوروبة، وقد لاقت دعايتهم هذه التشجيع من قبل مشاهير كتاب الغرب أمثال كنري دونان وجورج إليوت، وانتشرت الفكرة بسرعة وعمت الأقطار الأوربية دون أن يحاول أحد مناهضتها، مما أدى إلى جعلها المحور الذي يلتف حوله اليهود في كل بلد، وأن يبنوا عليه آمالهم الواسعة. وبدأت

(١) حكومة العالم الخفية ٣٥.

أحلام الدوق تاكسون ساباتاي سيفي (sabbati seve) تتجسد لهم من جديد، ولكنهم بوغتوا بأحداث جرت لهم في عامي ١٨٨٠-١٨٨١في جنوب روسية حيث قتل عدد منهم فهالهم الأمر، وانبرى أحد زعمائهم المدعو ليليان بلوم ودعا كافة اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين، وأعقب نداء بلوم نداء آخر أطلقه عام ١٨٨٢ الزعيم اليهودي ليون بنسكر geon pinskr ودعا فيه اليهود أيضاً إلى الهجرة، وفي إثر ذلك تكونت في خاركوف جمعية بيلو belu التي دعت إلى إقامة مستعمرات زراعية يهودية في فلسطين، وفي أوديسا تشكلت جمعية عشاق صهيون لتمويل المستعمرات المزمع تكوينها.

وهكذا بدأت الصهيونية تنتشر بسرعة وبكل حرية، وفي عام ١٨٨٤ تناولت المحافل الصهيونية، وأقامت مؤتمرها الأول في مدينة كاتوفيس البولونية، وانبثقت عنه مبادئ جمعية عمومية يهودية برئاسة ليون بنسكر وعضوية ليليان بلوم وروتشيلد ومونتيفوري siemonmonlife ورئيس الإتحاد الإسرائيلي العام ورئيس جمعية عشاق صهيون، وهذه الجمعية هي التي أقامت سبع عشرة مستعمرة يهودية في فلسطين ١٨٧٠ و١٨٩٦ وكان غرضها هو تهجير اليهود تدريجياً إلى فلسطين بزعم أنها وطنهم الأول. لكن السلطان العثماني عبد الحميد تنبه للأمر فأصدر أمره بإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنع امتلاكهم للأراضي فيها، فلم

يكن أمام اليهود إلا الصبر مؤقتاً حتى تحين الفرص وتهيئة الظروف رغم نشاطات الزعيم هرتزل ومساعيه لترضية السلطان. وبعد مؤتمر بال الأول ١٨٩٧وبعده بسنة انعقد المؤتمر الثاني حيث تناسى زعماء الصهيونية خلافاتهم المذهبية، وأعلنوا تحالفهم العام لتحقيق سياسة هرتزل في إيجاد فلسطين وطناً قومياً لهم، ووضعوا تحت تصرفه الأموال اللازمة لإنجاح مساعيه وفي غضون عام واحد انضم إلى الصهيونية مئة ألف عضو من أثرياء اليهود أمثال البارون هرش روتشيلد، هذا عدا أقطاب الماسونية الذين انضمّوا إليهم أمثال الدوق فريدريك الكبير الذي توسط لهرتزل ١٩٠١ لملاقاة السلطان عبد الحميد، ومرة أخرى ١٩٠٢ لدى الصدر الأعظم، حيث لم تسفر الوساطات عن شيء[١] أيقن اليهود أن لامناص لهم إلا التخلص من الكنيسة الأرثوذكسية والقيصرية في روسية ومن ثم سحق تركية إن هم أرادوا التوصل لتحقيق حلمهم، إذ كانوا يعلمون بعد أن أخضعوا الكنيسة الغربية لإرادتهم فإن الكنيسة الشرقية سوف تعترض طريقهم، وستكون القيصرية خلفها، وأن تركية مادامت باقيةً على قوتها لن تمكنهم من احتلال فلسطين.

وبما أن البيئة التركية لم تعد صالحة لتفي بدعوتهم التي اعتمدت

(١) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير مروان الماضي ٢٠٨.

للقضاء على الكنيسة الشرقية، قرروا اتباع منهج خاص بها، وهي نشر المبادئ الماسونية، والتعصب الطوراني لخلق خلاف بين مختلف شعوبها، وإشعال نيران الثورات في المناطق الأوروبية الخاضعة لنفوذها ومن ثم زجها في حرب مع الدول المناصرة لهم لسحقها نهائياً، وتحقيق أهدافهم على أنقاضها، أما في روسية وتركية فكان لهم ما أرادوا في البلاد القيصرية عن طريق نشر مبادئ لا توافق البيئة الروسية. بينما في تركية ركزوا جهودهم على مناوأة الملكية عن طريق خلق حزب تركية الفتاة الذي كانوا يمولونه وجندوا له الأنصار من الطلاب الأتراك الذين يدرسون في المعاهد الأوروبية، ثم زرعوا بذور التعصب القومي في نفوسهم واحتقار الشعوب غير التركية في الدولة العثمانية مما أدى إلى خلاف عميق الأثر بين الأتراك والشعوب الإسلامية التي كانوا يحكمونها، ومن الناحية الثانية أوجدوا في سالونيك حزب السيونو كومينست. وقد تمكن هذا الحزب فيما بعد من إشعال نيران الفتن في كلدونية وسواها من مدن البلقان، هذه الفتن هدت قوى السلطة العثمانية، ولكن السلطان العثماني مع كل هذا ظل على إصراره في عدم منح اليهود أي امتياز في فلسطين. وهنا لم يكن أمام الصهيونية من مخرج سوى العمل السريع لخلق ظروف الحرب. ولما كانت قواعدهم وقوتهم متمركزة في البلاد الغربية. فقد بادروا إلى تهيئة الجو فيها قبل سواها.

- وفي هذا بالذات تم لهم النصر في فرنسة، إذ تسلم رئاسة الجمهورية السيد (لوبية loubet) الجمهوري، وعهدت وزارة

الخارجية لدكاس الماسوني، ووزارة الحرب إلى الجنرال كاليفيه اليهودي (galifee).

- عملت الصهيونية على كسر الخلاف القديم بين الزعامات البريطانية والفرنسية وحدثت معجزة المعاهدة بين إنكلترا وفرنسة ١٩٠٤ ومنحت فرنسة بموجبها احتلال المغرب، ولما احتجت ألمانية على هذا الاعتداء، وقفت الدولتان في وجهها.

- وجاءت المعجزة الثانية ١٩٠٨ بتحالف القيصر إدوارد السابع رغم معارضة الأكثرية الساحقة من أعضاء الدوما لهذا التحالف، ولكن إصرار الكونت دوايت زوج الراقصة اليهودية وصديق روزفلت واليهود أرجح الكفة، وتم التوقيع على التحالف الثلاثي[١].

- والمفاجئة الثالثة كانت اندلاع الثورة ضد السلطان عبد الحميد من سالونيك قاعدة اليهود القوية، بزعامة الجنرال محمود شوكت الذي غرر به كل من اليهودي المتر سالم وقره صو الدوغا جاويد. وبهذا سيطرت الصهيونية على تركية أيضاً، وبعثوا أنصارهم إلى باريس لخطب ودها، بينما كانوا بالوقت نفسه يتفاوضون مع الألمان باسم تركية لينتقموا لها مستغلين الظروف التي سيودي بها إلى المصير الذي أقروه لها.

---

(١) المفسدون في الأرض ٥٧.

- والمفاجأة الرابعة: كانت إقدام فرانسوا جوزيف على مغامرة احتلال البوسنة والهرسك والتحرش بالصرب، رغم كل ما كان يعرفه عن خطورة هذا العمل.

وهذه المغامرة أيضاً كانت من نسج الأيدي الصهيونية القذرة التي كان كل همها إشعال نار الحرب مهما كان الثمن. وإن الأثر الصهيوني هنا وإن لم يكن واضحاً تماماً غير أن الظروف الخاصة لحياة فرانسوا. قد خصه بالاتهام من طرف خفي، إذ إن المذكور كان يعاشر الملوك والنبلاء والأثرياء من اليهود الذين كانت تعج بهم فيينا آنذاك.

وهذا ما حصل للأحداث قبيل الحرب الكونية الأولى، فقد استغلت الصهيونية بعد أن استتب الأمر لليهود في فرنسة بعد كارثة (دريفوس) وأينعت ثمار مستنبطاتهم في الربوع الروسية بعد ثورة ١٩٠٥ وسحق تركية، وتدمير الكنيسة الأرثوذكسية مع أنصارها وإذلال الألمان الذين كانوا يشكلون خطراً عليهم بتزاحمهم في بدعة العرق أو الجنس المتفوق، وخرافة الشعب المختار، وقد سارع إدوارد السابع عميد الماسونية ووزير خارجيته اليهودي بلفور بناء على طلب السيرمو نتيفور مع لوبه الجمهوري ودلاسة الماسوني وكاليفيه اليهودي والذين حركهم روتشيلد (الذي تعترف المصادر الفرنسية بأنه كان يقبض على زمام كافة الأمور السياسية في فرنسة)(١).

---

(١) حكومة العالم الخفية ٥٦.

تم التفاهم السريع بين الطرفين الأنكلو فرنسي، وقام التحالف الذي انضمت إليه روسية فيما بعد تحت تأثير الكونت وايت من الصهيونية والسفير الفرنسي اليهودي موريس بوليولوغ. وبعد أن تم لهم تشكيل الجبهة الغربية، أطلقوا العنان لصحافتهم التي بدأت بالتمهيد للحرب والترويج لها، فكانت تذيع أن ألمانية وحليفتها النمسة تريدان السيطرة على العالم، وفي ألمانية والنمسة كانت تروج لفكرة الحرب لألمانية وخنقها في قوقعتها. وفي روسية تشيع أن الألمان يعملون للسيطرة على المناطق السلافية، وتدلل على ذلك إقدام النمسة باحتلال البوسنة والهرسك، وفي تركية تزعم أن الروس والإنكليز اتفقوا على احتلال المضائق والممتلكات العثمانية الأخرى، وفي البلاد العربية عمد أنصارهم إلى الدس والوقيعة وشيعوا الأحزاب مثل حزب تركية الفتاة على فرض قانون التتريك على شعوبها. مثلما نزعوا إلى إذاعة أخبار عن محاولة العرب الانقضاض على الحكم العثماني البغيض. وشجعت الصهيونية المصارف والبنوك بتمويل كل دولة تدخل في الحرب حتى إن ألمانية وقعت في الفخ الهدام بفضل الصداقة التي كانت تربط اليهودي الثري بارفوس بالمستشار الألماني (bethmann hallweg) بيثمان هاليفيك. ولم تبخل هذه البنوك عن تلبية بعض مطالبهم مقابل الحصول على قروض[١].

---

(١) حكومة العالم الخفية ٦٦.

وهكذا هيأ اليهود العالم بأسره لخوض المعركة، ولما أيقنوا أن الوقت قد حان كلفوا عميلهم اليهودي برنزيب باغتيال الأرشيدوق فرانسوا، واندلعت الحرب التي عملوا بها. وظلت شرورها جاثمة على صدر البشرية مدة أربعة أعوام عصيبة. ولما انحسر الغبار من ساحات المعارك، تبين للعالم أجمع أن الطرفين المتصارعين خرجا منها بأعظم الخسائر ولم يستفد منها سوى اليهود أنفسهم، إذ قويت شوكتهم في جميع أنحاء العالم وانتزعوا من أتباعهم الوعد المشؤوم على يد وزيرهم بلفور الذي تعالى قصداً عن الخطر الذي أنذره له شخصياً وزير خارجية هولندا. هذا هو الإنذار الذي طلب منه فيه بوقف الحرب ليواجه العالم خطر الصهيونية الذي بدأ بتهديم الشعوب - ولكن بلفور تجاهل الأمر، لأنه كان خير من يعلم أسرار المؤامرة الصهيونية، وكان مشتركاً فيها قولاً وفعلاً، ولذا قدم الملايين من أبناء الشعوب قرابين لتحقيق مآربهم وخدمة مصالحهم[1].

ومن الأدلة التي دفعت الصهيونية إلى افتعال الحرب الأولى ومشاركة الحكومة البريطانية لهم هي تلك القصة التي روتها مجلة المواطن البريطانية the patriet وجاء فيها «إن أحد الكهنة أسرَّ لمديرها ١٨٩٨ : قال له: «إننا نحن اليهود سنحتل قريباً فلسطين، ونجعلها وطناً قومياً لنا. ولما سأل الكاهن الإنكليزي عن سبب

(١) تاريخ العرب الحديث، عبد الكريم الكيالي ٧٣.

تفاؤله هذا وعن العوامل التي يعتمد عليها لتحقيق روايته تلك، أجاب اليهودي: أنتم تتخيلون أن الملوك والجيوش هي التي تفتعل الحروب، ولكن الواقع غير ذلك إذ إن الأموال والصحافة هي التي تشعل نيران الحروب. ولما كنا نحن اليهود نملك المصارف والصحافة فسوف نوعز إليها في الوقت المناسب لتخلق الأسباب الهادفة للحرب، إذا استدعى الأمر لإشعال عدة حروب عالمية، وسنعمل على إطالة الحروب حتى نتأكد أن الطرفين قد هلكا، ولم يعد بإمكانهما معارضتنا. وعندما تضع الحرب أوزارها ويفرض الصلح مثلما نكون قد فرضنا الحرب، فيضطر كل من الطرفين إلى الاستجابة لرغبتنا، لأن المغلوب سيترتب عليه دفع التعويضات الحربية المترتبة عليه، بينما سيحاول الغالب الحصول على تلك التعويضات بأسرع ما يمكن. وبما أننا سنكون الطرف القادر وحده على مد المغلوب بالمال لكي يحصل الغالب عليه فسيضطر كلاهما لإرضائنا عند ذلك سنفرض عليهما شروطنا وفي مقدمتها احتلال فلسطين، وأمام الأمر الواقع سيتنازل لنا العالم عنها وبهذا تحقق هذا الهدف» وما أكثر ما سواه[١].

* * *

(١) حكومة العالم الخفية ١٦٣.

الفصل التاسع

تسييس الدين

إن هناك من يجعل من العبودية مصدراً للسعادة، لكن الغالبية العظمى من حالات العبودية كانت مأساوية لا محل لها من الرحمة أو الشعور الإنساني[1].

إن ما يجعل مؤسسة العبودية في أمريكا أمراً مذهلاً لمن يدرس التاريخ الفكري الأمريكي هو أنها تتنافى وتتناقض مع كل المبادئ والقيم التي نادى بها القادة السياسيون والدينيون والمفكرون الأمريكيون منذ تأسيس المستعمرات الأوروبية الأولى وحتى الآن، وأكثر هذه التناقضات عمقاً هو أن مؤسسة العبودية استمرت وازدهرت كنظام معترف به قانونياً وأخلاقياً لمدة ثلاثة قرون. وكان نظام الرق جزءاً لا يتجزأ من الحياة الأمريكية حتى حين كان الأمريكيون يخوضون معركة الاستقلال والحرية، ويصدرون وثائق الدستور، وإعلان حقوق الإنسان في آواخر القرن الثامن عشر.

ورغم جميع التصريحات والوعود عن مفاهيم الحرية والمساواة

---

(١) من أجل صهيون ١٥١.

والديمقراطية ارتكب المجتمع الأبيض في أمريكا خيانة كبرى ضد العبيد، حين لم يمنحهم الحرية والمساواة التي كفلها لهم الدستور وإعلان الاستقلال صراحة لجميع المواطنين.

تعرض الزنوج منذ وصولهم إلى أرض العبودية لعملية منتظمة مستمرة تهدف إلى تجريدهم من هويتهم الثقافية، وفرض ثقافة أسيادهم البيض عليهم. لقد تم ذلك بأساليب وطرق عديدة منها تفريق أفراد الأسرة الواحدة وذلك ببيعهم إلى جهات مختلفة وحرمان العبيد من ممارسة طقوسهم وتقاليدهم الدينية والاجتماعية بإجبارهم على اعتناق الدين المسيحي. وأدت هذه الأساليب إلى وقوع الزنوج في حالة ضياع ثقافي جعلهم عرضة لتأثير الثقافة المحيطة بهم. وقد وصف باركسدل وكينامون بقولهما: «في ظل العبودية جرى هدم أشكال النظام الاجتماعي الإفريقي بما في ذلك حياتهم العائلية ومعتقداتهم الدينية ولغاتهم وحتى فنونهم مما جعل العبد وقد فقد هويته الثقافية الإفريقية، غير قادر على تبني الهوية الثقافية الأمريكية البيضاء بشكل كامل. وقد أصبح العبد الأسود رجلاً معلقاً بين ثقافتين لا يستطيع ممارسة أي منهما بصورة كافية[١]».

أتاح الفراغ الثقافي حماس معتقدات المجتمع الأبيض لدخول المجتمع الأسود من بوابة عريضة، بل إن البعض قبلها واقتبس منها

---

(١) من أجل صهيون ١٥٥.

سلوكه اليومي، وكان التراث اليهودي - المسيحي العمود الفقري لهذه الثقافة. إذ كان أفضل رمز لمفاهيم الخلاص والحرية والرحمة موضوع وصول الشعب المختار إلى أرض الميعاد، كما وجدوه في النصوص المقدسة، فالهرب من ظلم فرعون واستبداده هو رمز للثورة على نظام العبودية، ولم يكن تعلق[١] المجتمع الإفريقي بهذه الرموز الدينية أمراً عشوائياً مفروضاً عليهم، بل إنهم وجدوها مناسبة لوضعهم في أمريكا، وأصبحت جزءاً من خطابهم الديني الاجتماعي. ومهما يكن من أمر، فإن العبيد الذين فرضت عليهم ثقافة المجتمع الأبيض لم يكتفوا بالتأقلم مع هذه الثقافة فحسب، بل استطاعوا أن يكيفوا بعض مظاهر ومواضيع هذه الثقافة لظروفهم وحاجاتهم مثلما فعلوا بالغناء والموسيقا والرقص[٢].

وكانت الأغاني الدينية أيام الاستعباد وبعدها جزءاً من الحياة اليومية للزنوج في أمريكا، وبالتالي أصبحت من مكونات تفكيرهم وثقافتهم. كما كانت لما يقول وسيله «يعزي بها الزنوج بعضهم بعضاً على أوضاعهم المأساوية، وكانوا يلجؤون إليها كصيغة من صيغ التواصل الإنسانية البدائية وهي الرقص والغناء والكلام».

لقد وجد مجتمع الإفريقيين في قصة تحدي موسى لفرعون بأمر من ربه قصة مناسبة شبيهة بمطالبهم بالحرية للشعب المستعبد

(١) المصدر نفسه ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه ١٥٩.

فرعون مصر يستعبد الإسرائيليين، ويسومهم سوء العذاب والأمريكيون البيض يستعبدون الإفريقيين، موسى يطالب حرية شعبه وقاده العبيد يطالبون بالمساواة والحرية[١].

مما لاشك فيه أن التجربة الإفريقية الأمريكية هي تجربة فريدة لمجتمع مضطهد استطاع ولو بصورة رمزية تحويل منزل العبودية إلى أرض الميعاد، فالأفارقة عمدوا بشكل انتقائي تدريجي وتراكمي إلى تبني ديانة أسيادهم ومضطهديهم وتحويل هذه الديانة إلى علاج لحياتهم النفسية.

إن مارتن لوثر كنغ: الزعيم الأسود أمضى حياته كلها يدافع عن حرية العبيد ومساواتهم وتحرير الرق، وفي كتاباته وخطبه نرى الموروث الثقافي اليهودي في السلوك الأمريكي يقول «سوف يعلم الجنوب حين يجلس أبناء المحرومين على موائد الطعام مع إخوانهم البيض. أنهم كانوا يدافعون عن أفضل ما في الحكم الأمريكي ومن أكثر قيم إرثنا اليهودي - المسيحي قداسة»[٢].

س١- ما الذي يحرض سلوك الأمريكيين ووجدانهم؟

في الحقيقة أن الأمريكيين الأوائل اعتقدوا اعتقاداً راسخاً بأن الله اصطفى وخلق أمة بكاملها لكي يغرس منها بذوراً منتقاة في القضاء الأمريكي، لكن هدف الخالق كان أبعد من تمكينهم من

---

(١) المصدر نفسه ١٦٥.

(٢) من أجل صهيون ١٧٠.

الهرب من المعاناة في إنكلترا. وهذا المفكر أستاذ التاريخ في جامعة نيويورك «فيليب هوي» يقول: «رأت أمريكا نفسها نموذجاً ينبغي للعالم أن يحذو حذوهم» وفكرة (أمريكا النموذج) تعود إلى القرن السابع عشر حين هاجرت مجموعات كبيرة من الطهوريين من مقاطعة (east enclia) إلى الجزء الشرقي من العالم الجديد، المعروف باسم: new englaand ففي عام ١٦٣٠ خطب جون وينثروب في جماعته الطهوريين، فصور لهم مستوطنهم بأنها (مدينة على الجبل) إذ إنهم غادروا ما اعتبروه مجتمعاً فاسداً لكي ينشئوا مجتمعاً مثالياً يجعله أقرب إلى الله وإلى مقاصده وقد اعتقدوا أيضاً أنه سيكون قدوة الإصلاح بقية أجزاء العالم المسيحي. وقد استغل المحافظون هذه الأفكار ليقدموا الأسطورة الإسرائيلية على أنها النموذج الأمثل للمجتمع الفاضل، لذلك قالوا: «إنه لا يوجد في تاريخ البشرية من قبل جيل استطاع أن ينفض عنه غبار بابل مثل الجيل المسيحي الأول الذي استوطن أمريكا»[١].

إن المؤرخ الفرنسي أندريه سيغفرد: بعد دراسة مستفيضة للدين في أمريكا وتطوره في القرن العشرين أكد أننا «إذا أردنا أن نفهم الجذور الحقيقية للمعتقدات الدينية الأمريكية: علينا العودة إلى المذهب الطهوري الإنكليزي في القرن السابع عشر» وقد عبر عن هذه الفكرة نفسها الكاتب الألماني فيليب شاف في تحليله للحياة

---

(١) المصدر نفسه ١٧٢.

الدينية في أمريكا في القرن التاسع عشر حيث قال: «إن البروتستانتية الطهورية تشكل الجذع الأساسي للكنيسة الأمريكية الشمالية».

إن الدستور الأمريكي وتعديلاته يمنع اعتماد الدولة ديناً معيناً، وهو أيضاً يمنع تداخل صلاحيات وممارسات الكنيسة والدولة، ولعل هذه النصوص في الدستور جعلت الكثير من طلاب التاريخ الأمريكي يعتقدون أن أمريكا هي أمة علمانية بحتة. كما أن تعدد المذاهب والكنائس في أمريكا إضافة إلى وجود أعداد كبيرة من الأمريكيين غير مسيحيين إلى جانب الملحدين واللادنيويين وغيرهم يجعل من الصعب التحدث لا عن دين أمريكي بالتحديد، لذلك اتفق كثير من المؤرخين والمفكرين الأمريكيين بإيجاد قدر مشترك من التناسق بين المذاهب تحت اسم (الدين المدني) ويبقى مفهوم (الله) في موقع مركزي في هذا الدين الشعبي مهما اختلفت المعتقدات الشخصية للأفراد. لكن هناك الجميع يسلمون بهذا المفهوم، حتى إن رؤساء الجمهورية الأمريكين منذ واشنطن وحتى بوش الابن حرصوا أن تشمل خطبهم وتصريحاتهم على هذا المفهوم. تحدث جورج بوش الابن في خطابه مساء ١١ أيلول ٢٠٠١ فقال: «وأنا أصلي إلى قوة إلهية فوق قوتنا أن تكشف هوية هؤلاء الأشرار وأردد كلمات المزمار ٢٣ (في وادي ظلام الموت لا أخشى أي شر لأنك معي)[١].

---

(١) من أجل صهيون ١٧٣.

لقد بقيت العلاقة بين الدين والسياسة في أمريكا على مر الزمن علاقة طيبة، بل هي في بعض الأحيان علاقة تحالف وتعاون، خاصة منذ فترة رئاسة رونالد ريغان حتى الآن.

إذ أصبح مؤسسة ناشطة متطرفة تدعي الأخلاقيات السياسية والروحية عوضاً عن (أن تكون متأصلة فقهية أو روحانية عادلة). وكان من أسس هذا الدين المدني نماذج كتابية إسرائيلية مثل رموز الخروج، والشعب المختار، وأرض الميعاد، والقدس الجديدة، وملوك إسرائيل، وغيرها من الرموز الألفية المتعلقة بآخر الزمان.إذ إنّ من الأمثلة التي أطلقها رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية الكثير، واستشهدوا بالمصطلحات العبرية في سياساتهم مشروع الرئيس كندي (التخوم الجديدة) وجونسون (المجتمع العظيم) وريغان (معركة هرمجدون) ثم أخيراً أقوال الرئيس بوش الحالي بأن (القدر- أو التاريخ) يمنحنا فرصة أخرى للدفاع عن الحرية والديمقراطية في العالم كله[1].

وهناك أمثلة وما أكثرها في تطويع الدين للسياسة، فقد أصبحت قضية الحرية الأمريكية هي قضية الله والاستبداد الإنكليزي هو قضية الشيطان والمسيح الدجال، وكما أصبح الاستقلال والسلام شرطين من شروط نزول مملكة المسيح الألفية.

---

(١) المصدر نفسه ١٩١.

قبل نصف قرن لم يكن لرجال الدين والكنائس المسيحية دور بارز في الشؤون السياسية، وكان مجالهم محدوداً جداً، ومما يدل على ذلك موقف جون كندي عندما كان يسعى للحصول على دعم الناخبين له للوصول إلى منصة الرئاسة ١٩٦٠ إذ ألقى خطاباً في مجموعة رجال الدين البروستانت في مدينة هيوستن فقال: «إنني أؤمن بأمريكا يكون فيها الفصل بين الدولة والكنيسة فصلاً تاماً بحيث لا يملي رجل دين كاثوليكي على رئيس الجمهورية تصرفاته وألا يقول راعي كنيسة بروستانتي لأتباعه كيف يدلون بأصواتهم الانتخابية» وقد تغير الحال في السبعينيات والثمانينيات حتى اليوم. إذ نجد المجموعات والتنظيمات الدينية لا تتردد جهاراً برفع معتقداتها الدينية وممارساتها العلنية. إذ أصبح لها وجود قوي ومستمر في توحيد وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والتلفاز إضافة إلى ظهورها الكبير في الحياة الاجتماعية، وفي القرارات السياسية الداخلية منها والخارجية[1].

وأصبح للدين نتيجة لذلك قوة سياسية يخطب ودها كثير من الساعين إلى المناصب السياسية. ففي الحملة الانتخابية ١٩٨٤ كان رونالد ريغان معروفاً بتطرفه الديني وتحالفه مع اليمين الجديد من الإيفا نجيليين وغيرهم، وقد بات المرشحون للرئاسة يخطبون ود رجال الدين ويظهرون الورع والإيمان، ويحرصون على حضور

---

(١) من أجل صهيون ٢٠٧.

المحافل والنشاطات الدينية للتأثير، ولا يزال القس جيري فالويل منذ السبعينيات حتى الآن يعمل ويبذل جهوده في مجال السياسة، إذ كان واحداً من الأشخاص القياديين الذين تحدثوا في جلسة افتتاح المؤتمر القومي للحزب الجمهوري في الحملة الانتخابية الثالثة ١٩٨٤ هذا الزعيم الديني الذي لا يفتأ يصف نفسه بالصهيوني المسيحي - فقد دعم ريغان وبوش الأب وبوش الابن بكل قوته ووصفهم (بوسائل الله لإعادة بناء أمريكا)[١].

لقد انتقلت عدوى الدين إلى الحزب الديمقراطي، وبينما كان الحزب يدعو إلى فصل الدين عن الدولة، وينتقد استغلال ريغان للدين في حملاته الانتخابية، فقد اضطر الحزب أخيراً إلى استغلال المشاعر الدينية حيث ظهر في أنشطة مؤتمر المعمادين الجنوبي الوطني وفي مؤتمر (بناي بريث) اليهودية المتطرفة.

وقد تسابق الحزبان في استغلال المشاعر الدينية في صفوف كنائس السود بصورة خاصة، إذ إن المجتمع الأسود كان يصوت إلى جانب الحزب الديمقراطي بصورة تقليدية، وكانت الكنائس الخاصة بالبيض والسود تتحول إلى مراكز لتسجيل الناخبين الذين ينتمون لليمين المسيحي.

وفي الوقت نفسه بدأت المنافسة تشتد بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي في اجتذاب الناخبين لأعضاء الكونغرس، وأصبحت

---

(١) المصدر نفسه ٢٠٩.

المحافل اليهودية مراكز هامة للمرشحين في عقد الندوات واصطياد المناسبات في تقديم الوعود بدعم إسرائيل وأمنها. وفي هذا المجال يمكن عرض نماذج من أقوال بعض السياسيين الأمريكان وسلوكياتهم فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي[١].

مواقف رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية تجاه أزمة الشرق الأوسط

علق الرئيس بيل كلينتون على الأحداث في يوغسلافية بتصريح قال فيه: «إن الشعب اليوغسلافي البطل يريد أن يستعيد حريته باستعادة وطنه». وفي تلك الفترة كانت شبكة cnn تنقل أخبار العنف الإرهابي الذي يقوم به الفلسطينيون «يقتلون الإسرائيليين المدنيين الأبرياء». وبقيت الشبكات الإعلامية تعرض المشاهد الدموية المثيرة لكي تحرض الناس على محاربة الإرهاب، بينما كان الجيش الإسرائيلي المحتل حينذاك ينفذ عملياته الوحشية ضد شعب فلسطين يهدم المنازل، ويجرف الأراضي، ويقلع الأشجار، ويدمر البنى التحتية لمنجزات هذا الشعب في أرضه، وذلك أمام أنظار أصحابها. بينما تجاهلت تلك الشبكات الإعلامية عرض مثل هذه الانتهاكات. ولم ينطق الرئيس كلينتون بأي كلمة تناصر حق الشعب الفلسطيني في استقلاله واستعادة حريته.

---

(١) من أجل صهيون ٢٠٩

وقد تمخض الرئيس كلنتون ووزيرة خارجيته في تلك الفترة بالذات وصرحا يطلبان من الشعب المظلوم (وقف الأعمال الإرهابية) إيقافاً تاماً كشرط أساسي للمفاوضات مع الحكومة الإسرائيلية التي لم تكن تؤمن بسلام عادل حتى اليوم.

ومع أن فوز كلينتون كان نصراً لليسار السياسي، ولكن هذا لا يعني أنه أقل تمسكاً بالمعتقدات الدينية واستغلال الشعور الديني لدى عامة الشعب الأمريكي، إذ إنه كان يتعمد دخول الكنيسة يوم الأحد ويصرح مراراً أنه ينتمي إلى الأصولية المسيحية الأمريكية، كما ظل كلينتون وفياً لمعتقداته حتى بعد انتهاء ولايته، ولم يعد له طموح في منصب. فقد قاد حملة تبرعات لصالح إسرائيل في كندا بتاريخ ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٣ فجمع نتيجة الحفل ٣٥٠,٠٠٠ دولار، وفي خطابه آنذاك قال: «إنه مستعد لحمل السلاح والوقوف في الخندق الأمامي للدفاع عن إسرائيل إذا ما تعرضت للخطر» هذا حماس رجل كان في الماضي قد رفض الالتحاق بالجيش الأمريكي عندما دعي للخدمة العسكرية الفيتنامية بحجة عدم اقتناعه بعدالة تلك الحرب. لقد تخلى كلينتون عن واجبه الوطني ويلبي أطماع إسرائيل وعنصريتها في المنطقة[١].

- كما كان الرئيس جورج بوش الأب، على علاقة طيبة جداً مع بيلي غراهام رئيس مؤتمر المعماديين الجنوبي، وأكثر رعاة

(١) من أجل صهيون ٢١٠.

الكنائس تحمساً لليهود. وسبق لجورج بوش هذا أن ظهر في برنامج تلفازي أعده معهد (أمريكان أنتربرايز) بمناسبة الذكرى الثانية للحرب ضد العراق الأولى: إذ إنه دعا أحد أصدقائه من رجال الدين الأصوليين عشية بدء الحرب، وطلب منه النصح، فبارك القس تلك الحرب. وقد شاهد الجمهور الأمريكي الرئيس بوش يقاوم دموعه وهو يروي هذه القصة، قصة روتها ابنة السفير الكويتي التي أدعت أن جنود صدام أخذوا الأطفال المولودين من المشفى ورموهم في الشوارع، وقد تبين بعد ذلك أن الشركة التلفازية قبضت عشرة ملايين لبث هذه المسرحية.

- وكذلك الرئيس كارتر (جيمس كارتر) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق. فهو معمادي جنوبي. ويذكر كارتر دوماً أنه مسيحي مولود من جديد. وفي حملته الانتخابية عام ١٩٧٦ قال: «إن تأسيس دولة إسرائيل هو تحقيق للنبوة المقدسة، وفي خطاب آخر أمام الكنيست الإسرائيلي ١٩٧٩ وصف العلاقة الفريدة بين أميركا وإسرائيل بأنها في ضمير الأمة الأمريكية وأخلاقها ومعتقداتها إضافة إلى أن الشعبين يشتركان بالتوراة». ومع أن الناس بالعالم أجمع يقرون ويشهدون نزعة كارتر الإنسانية وأخلاقه المسالمة وحماسه الديني وانتقاده الشديد للعنف الذي يمارسه الاحتلال الإسرائيلي والقوانين الأمريكية الجديدة ضد الإرهاب دون البحث في أسباب الإرهاب ودوافعه وإيجاد الحلول الضرورية لإيقافه.

- أما رونالد ريغان: المسيحي اليميني المتطرف، فإن معركة

هرمجدون شغلت عقله وتفكيره. وحين كان رئيساً للجمهورية ١٩٨٢ حدث الاجتياح البربري الإسرائيلي للبنان، وقد سأله أحد المراسلين عن رأيه فيما يحدث هناك فأجاب بكل بساطة: «ربما كانت هذه بوادر لمعركة هرمجدّون). لقد كان ريغان من الداعمين بحماسة لمبادئ اليهودية المسيحية وبشكل علني مثل إقامة الصلاة في المدارس الحكومية خلافاً لأحكام الدستور ومبادئ فصل الدين عن الدولة[١].

- أما ليندون جونسون، فقد نشأ وترعرع في كنف عمته المتحمسة لإسرائيل وشعبها المختار، لذلك طلبت من سام الشقيق المحبوب إلى ليندن تقول في رسالة: «أريد منك أن تخبر ليندن أمراً آخر عني، قل له أن يدعم اليهود دوماً، وألا يتصرف ضدهم أبداً، فهم شعب الله المختار كما تعلم. إن الكتاب المقدس نفسه يقول ذلك، وإياك أن يتطرق إليك الشك في ذلك أبداً»[٢].

- أما الرئيس هاري ترومان فهو المتقدم على جميع الرؤساء بخلق إسرائيل والاعتراف بها بعد ساعتين من إعلان الدولة، كما مارس الضغوط المختلفة على دول العالم للتصويت إلى جانب الصهيونية في مشروع التقسيم الذي أقره مجلس الأمن في ٢٩/١١/١٩٤٧ ثم العمل على انضمام إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة.

---

(١) الدين والسياسة في الولايات المتحدة ١٣٩.

(٢) من أجل صهيون ٢١١.

وفي عام ١٩٩٧ زار نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (آل غور) إسرائيل، وكان هدف الزيارة كما قال «جئت أحتفل معكم بتحقيق نبوءة عمرها ثلاثة آلاف عام، وحين سأله أحد المراسلين العرب عن رأيه في معاناة الشعب الفلسطيني واللاجئين الذين يزيد عددهم عن أربعة ملايين ومآسيهم في الخمسين سنة الماضية: أجابه ببساطة: أنصح العرب ألا ينشغلوا بالالتفات إلى الماضي وأن يتطلعوا إلى المستقبل».

وفي الثالث من آذار (مايس) ٢٠٠٠ وضمن حملته الانتخابية لمنصب رئيس الجمهورية. خطب آل غور في الاجتماع السنوي للجنة العمل السياسي الأمريكية الإسرائيلية (إيباك) حيث قال[١]: «إن ابن غوريون كان من أنبياء عصرنا الحديث ينتمي إلى جيل يشعر أن من مسؤولياته تحقيق حلم قرون طويلة، بتأسيس وطن قومي لليهود وما زلنا نحاول تحقيق الحلم النبوئي».

وفي الاحتفال بذكرى مرور خمسين سنة لاستعادة القدس، زار رئيس مجلس الكونغرس نيوغنفريش (new Grimgvish) إسرائيل بقصد مشاركة إسرائيل باستعادة مدينة القدس (مدينة الملك العظيم) أكد على إصرار المشرعين الأمريكيين الذين يمثلهم على دعم إسرائيل وعلى بقاء القدس الموحدة الأبدية لها، وهنا نرى استهتار المشرّعين الأمريكيين بكل قرارات الشرعية الدولية

(١) المصدر نفسه ٢١٣.

والقانون الدولي الذي يدين الاحتلال الإسرائيلي للقدس الشرقية وضمها إلى أراضيها. إذ يرى أعضاء الإدارة الأمريكية أن قوة المعتقد الديني تسموا على سلطة القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة[١].

- وفي الوقت الحاضر نرى إدارات الحزبين الجمهوري والديمقراطي يتسابقان ويتباريان لإرضاء الصهيونية وإسرائيل عن طريق توظيف البرامج التلفازية والشبكات الإذاعية والتقنيات المتطورة من صحف وإنترنت في الدفاع عن إسرائيل وتحقير العرب والمسلمين حتى إن جورج بوش الابن الحالي وصف شارون برجل سلام وعرفات بالإرهابي، هذا كله في لحظة المذابح التي كان يقوم بها الجيش الإسرائيلي في مخيم جنين، حيث قتل المئات من سكان المخيم، وهدمت البيوت على مسمع ومرآى من العالم[٢].

لقد تعلم بوش الابن من القس بيلي غراهام أن عليه أن يعيش بانتظار المجيء الثاني كما أن صداقة بوش مع الدكتور طوني إيفانزهي التي شكلت تفكيره السياسي وسلوكه بانتظار نهاية الزمان. وإيفانز هذا هو راعي كنيسة كبيرة في دالاس ومؤسس حركة (حراس العهد) وهو الذي علم بوش كيف يجب عليه أن ينظر إلى العالم من وجهة نظر الهيئة، وحراس العهد يؤمنون بعقيدة

---

(١) من أجل صهيون ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه ٢٣١.

نهاية الزمان، وبأن الوسيلة الوحيدة لإنقاذ العالم هي أن يستولي عليه شعب الله.

لقد أدرك الصحافي (بوب وود ورد) حين علق على أفكار الرئيس بوش الابن وتصريحاته فيقول: «إن بوش يصور مهمته ومهمة وطنه في إطار خطة الله للكون» وفي مناسبة أخرى بعد هجمات ١١/ ٩/ ٢٠٠١ يقول بوش: «سوف نصدر الموت والعنف إلى جميع أنحاء المعمورة» ويعلق بوب بقوله: «هل تنسجم هذه الأقوال مع مهام رئيس جمهورية تدعي بأنها ستنشر النور والديمقراطية والحرية في ربوع الأرض؟ أم أنها النتيجة الطبيعية لثقافة (حراس العهد) والأصول الدينية لتربية رئيس الجمهورية؟».

- لقد خالفت الإدارة الأمريكية الحالية في رأي (هيل) آراء الكثير من القادة العسكريين الأمريكيين، واستخفت بالملايين من الأمريكيين وغيرهم الذين يعارضون الحرب ضد العراق والاستخفاف بالمواثيق والقوانين الدولية، وتفرد في صنع وتنفيذ القرار. إن سياسة بوش العاتية والظالمة حيال الشرق الأوسط تدل على أنه مصمم عن وعي أو غير وعي على تنفيذ خطة الله، ويعتبر نفسه مكلفاً بمهمة من الله، ويتابع الصحفي هيل ويقول: «إنّ الحالة الراهنة في أمريكا وسيطرة عناصر مارقة تتمتع بالمصداقية والقوة السياسية مثل الفئة التي تحكم الآن .. وأن (التراث اليهودي - المسيحي الإسلامي تراث واحد) تزج به عناصر مارقة متطرفة إلى الهاوية وتزجنا نحن معه».

- وكتب السيد جاكسون لير في مقالة حديثة في صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ١١/ ٣/ ٢٠٠٣ بعنوان كيف انقلبت الحرب إلى حملة صليبية. قال لير: «عندما كان بوش حاكم ولاية تكساس، صرح باعتقاده أن الله أراد منه أن يرشح نفسه لمنصب رئيس الجمهورية».

وقد أصبح هذا الاعتقاد بأنه ينفذ إرادة الله. وبعد أحداث أيلول صرح مراراً أنه يقود حرباً عالمية ضد الشر ومنابعه في سياق الإعداد لحرب العراق بقوله: «لو أدركنا الأساليب والمقاصد الإلهية لكنا نثق بها».

- إن اليمين المتطرف المسيحي في الولايات المتحدة الأمريكية بمعظم فئاته يسود في الأوساط البروستانتية بصورة خاصة. ويمكن تلخيص المبادئ الأساسية التي يؤمن بها اليميني المسيحي بمايلي:

١- عصمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث.

٢- كل حرف كتبه مؤلفو الكتاب المقدس بجميع أجزائه وأسفاره هو وحي من الله، أو الروح القدس الذي حل فيهم.

٣- القراءة الحرفية للكتاب المقدس ودقة النبوءات المقدسة بكل تفاصيلها.

٤- تحقيق جميع النبوءات على الأرض.

٥- حتمية الصراع بين قوى الخير (جيش المسيح) وقوى الشر (جيش الشيطان) وانتصار الخير في معركة (هرمجدّون)[١].

ليس من الغريب أن نجد جميع دعاة النبوءات وحرفية الكتاب المقدس من زعماء اليمين المسيحي يربطون النبوءات ربطاً مباشراً بيهود اليوم وبدولة إسرائيل، ثم يطبقون هذه النبوءات وخطة الله بأكملها على الأحداث المعاصرة التي تتعلق بإسرائيل بالدرجة الأولى، ويضع الحرفيون القدريون العربَ والمسلمين في صف الشيطان، لأنهم يكرهون اليهود، إذ يعتبر هؤلاء المتعصبون بأن اليهود يتمتعون فعلاً بعلاقة خاصة مع الله نتيجة العهد الذي أعطاه الرب لإبراهيم. ورغم أن المسيح قال في إنجيل يوحنا (١٤ - ٦) «لا أحد يجيئ إلى الأب إلا بواسطتي» فإن هؤلاء الدعاة يقولون: إن اليهود مستثنون من هذه القاعدة دون جميع الأمم الأخرى، إذ إنهم لا يحتاجون إلى هداية. وإلى قبول المسيح مخلصاً، بل سيدخلون مملكة الله بفضل علاقتهم بإبراهيم وداوود وموسى. لذلك يجمع الكثير من المفكرين والأدباء لأن لقب (الصهيونيون - المسيحيون) يطلق على الذين يدعمون دون قيد أو شرط (عودة اليهود) إلى أرض الميعاد، وقد راجت هذه الأفكار وتوسعت وانتشرت في صفوف المسيحيين اليمينين منذ السبعينيات من القرن العشرين[٢].

---

(١) من أجل صهيون ٢٣٢.

(٢) من أجل صهيون ٢٤٠.

وفي مقالة مطولة عن الصداقة الغربية التي تربط اليمين المسيحي الأمريكي بإسرائيل: يقول الدكتور (تيموثي ويبر): «إنه لم يكن هناك حدود لدعم المنظمات والجمعيات الألفية القدرية والإيفانجيلية لدولة إسرائيل سواء كانت هذه المنظمات تتدخل في الشؤون السياسية أم لا، فإنها مقتنعة بالعقيدة القائلة (بمشيئة الله). وهكذا فإن الدعم اللامحدود لإسرائيل وقضاياها لم تكن موضع نقاش». ويضيف الدكتور ويبر أستاذ تاريخ الكنيسة وعميد جامعة دينية في الينوي: «إن العلاقات الوثيقة بين الإيفانجيلين وإسرائيل هامة جداً، إذ إنها أثرت في تشكيل الرأي العام الأمريكي وسياسة أمريكا الخارجية». وقد بلغ حماس الإيفانجيلين في دعم إسرائيل درجة جعلت أحد أفراد اليهود المدعوين إلى مؤتمر بواشنطن بقوله: «أشعر أحياناً أن هنالك أصدقاء لإسرائيل بين صفوف الأصوليين الإيفانجيلين أكثر مما يوجد في صفوف اليهود»[١].

وإذا كان اليمين المسيحي المتصهين بشكل منقطع النظير في دعم إسرائيل والدفاع عنها مهما كانت الدوافع، فإن هذا اليمين يكن العداء الراسخ والعنيف ضد الإسلام. ويواصل هجماته المحمومة على الإسلام والمسلمين، انطلاقاً من رواسب الحروب الصليبية إلى الحملات الاستكشافية واستيطان العالم الجديد، ثم الحملات التبشيرية في العالم الإسلامي ودعم إسرائيل اللامحدود، وخلال هذه النشاطات المفتعلة كان الإسلام هدفاً للهجمات الشنيعة،

(١) الدين والسياسة ١٥٤.

وكان القائمون بهذه الأنشطة يصرحون أن هدفهم هو القضاء على الإسلام، وليس هذا بأمر غريب أو غير متوقع، ولا هو نتيجة أحداث آنية أو أهواء شخصية. إن هذا العداء مغروس في مركز العقيدة القدرية التدبرية التي يؤمن بها جماعة اليمين المسيحي المتصهين ويعملون بها.

❊ ❊ ❊

الفصل العاشر

الثقافة البروستانتية - اليهودية

كيف واجه اليهود انبثاق الديانة المسيحية؟

كانت المسيحية رد فعل إيجابي للواقع السيئ الذي وصلته الإنسانية في العهد الروماني، وكان اليهود ينفثون سمومهم في التآمر والدس وإثارة الفوضى والحروب المستمرة في أثناء ذلك مع الرومان، فانطلق هذا الدين لينير السبيل أمام البشرية، ولدعوة هذه الفئة الضالة التي حجبها تفكيرها الحاقد عن رؤية الحقيقة، فاندفعت بعناد وتعنت تناهض الدعوة هذه، وهي دعوة السيد المسيح السمحة.

راح السيد المسيح يدعوهم إلى الصراط المستقيم، والتجاوب مع رسالته الإلهية التي ترشدهم إلى الهداية والمحبة والخلاص، وتقضي على بذور الفساد المتأصلة في نفوسهم، ومع ذلك ظلوا أشد عداء لهذا الرسول الجديد الذي راح يطوف مدنهم وقراهم هادياً ومبشراً ونذيراً.

كان أسيادهم الرومان ينظرون بقلق وخوف إلى هذه الحركة

الجديدة، فاتخذوا منهم أداة لقمعها، لاعتقادهم أن اليهود أهل للتصدي لكل حركة إنسانية شريفة، وسلطوا الكتبة الفريسيين من كهنة المعابد اليهودية للإيقاع بالسيد المسيح، وهل يستغرب ذلك والمسيحية بحد ذاتها حركة الفقراء ضد الأغنياء وحركة المستغلين ضد الصيارفة والغشاشين والمرابين من اليهود؟

وهاهو السيد المسيح إزاء ذلك العناد والكفر والمواقف غير الأخلاقية يصرخ في وجوه بني إسرائيل فيقول: «إن الغشاشين والزّواني يسبقونكم إلى ملكوت الله، وإن ملكوت الله ينزع منكم "أناجيل (متى ٢٠-٢١) ومرقص ولوقا. «ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراؤون. اليهود لأنكم تشبهون قبوراً مبيَّضة تظهر من الخارج جميلة، وهي من الداخل مملوءة عظامَ أمواتٍ، وكلَّ نجاسة وهذا أنتم أيضاً من الخارج تظهرون للناس أبراراً ومن الداخل مشحونون رياء دائماً» (الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى).

يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، ويخاطبهم هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً[١].

ولكم ندد السيد المسيح بارستقراطية هذه الفئة المستغلة من الطائفة اليهودية المتحكمة منذ فجر التاريخ بعامة اليهود، إنها طائفة الفريسيين التجار الذي يبيعون بضائعهم في طريق الهيكل،

---

(١) الصهيونية العالمية وخطرها الكبير، المحامي سليمان حاتم ٣٠

كما قلب موائد الصيارفة والمرابين وهو يقول: «لا تجعلوا بيت أبي تجارة».

«لا تعبدوا ربَّين الله والمال».

لقد صدقت نبوءة السيد المسيح منذ أن قام تيتوس الروماني باحتلال القدس، إذ فتك باليهود، وأقام مجزرة، وحرق القسم الأكبر من المدينة، وهدم الهيكل، وتشتت بقايا الأقلية اليهودية، فهجروا فلسطين إلى شتى بقاع العالم منذ عام ٧٠م وقد بقي سكان فلسطين من الكنعانيين والنبطيين والآموريين والآراميين وكلهم عرب ساميون في وطنهم.

أما الممارسات اليهودية ضد دعوة المسيح، عليه السلام، يمكن إيجازها بما يلي: كان القطاع اليهودي وجهازه الديني من الكتبة الفريسيين أداة منفذة بيد الوالي الروماني بيلاطس الذي كان يحكم آنذاك باسم الاستعمار الروماني، فاستغلهم كثيراً، وأوكل إليهم مهمة مقاومة دعوة المسيح، فكانوا شرَّ وكلاء وعملاء، وكان جوابهم على كلام الوالي بيلاطس عندما قال لهم: «أنا بريء من دم هذا البار»

قالوا: «اقتله- دمه علينا وعلى أولادنا»

وصلب السيد ضحية الإجرام اليهودي المتعصب.

أخذ الطابع الانتقامي من المسيحية، وتوالت الضربات تنهال على تلامذة السيد المسيح وحوارييه وأتباعه، يجلدونهم ويذبحونهم

ويقذفون بهم في ظلمات السجون، فقتلوا القديس إسطفان، وقطعوا رأس القسيس يعقوب الراشد، وصرعوا مارسمعان أسقف أورشليم ١١٧م والنبي يحيى، وبلغت ضحاياهم عشرات الألوف. وقد تفنن مسيحهم الكذاب باركو باباس بالتنكيل بمعتنقي رسالة يحيى، وذبح كل من لا يكفر به.

يقول القديس بوسيتينوس: "إن اليهود يلعنون المصلوب، ويهزؤون من جراحه، ويشتمونه كما يعلمهم رؤساء دينهم بعد كل صلاة، ويرددون على السيد المسيح أقبح النمائم والأخبار[1].

لقد صدق السيد المسيح حين أعلن لتلاميذه: «إنه ستأتي ساعة يظن فيه كل من يقتلهم إنه يقرّب قرباناً إلى الله». (يوحنا ص١٨ - عدد ٢٠).

كان التجار اليهود الأثرياء وكبار الإقطاع يتنقلون منذ البدء في كل مكان للسيطرة على الأسواق التجارية العالمية والتحكم بعامة الشعوب والفقراء منهم تحديداً، وكانوا أينما حلوا يغرسون بذور البرجوازية التي تثير النزاعات الاستعمارية الجشعة والطمع.

وهذا كارل ماركس يقول: «اليهودي مثلاً الذي لا يحسب له حساب في فيينا هو الذي يقود بقوته المالية مصير النمسة كلها. واليهودي الذي قد يكون محروماً من حقوقه في ألمانية، هو الذي يقرر مصير أوربة». لم يستخدم كارل ماركس لفظة الصهيونية، لأن

(١) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير ٢٠٢

هذا المصطلح لم يظهر آنذاك، ولكن اليهودية هي الأصل والأساس، ومن طبيعة تركيبها المادي والتاريخي والفلسفي تنبثق نزعة الصهيونية[١].

ممارسة سلطات الاحتلال الإسرائيلية في اضطهاد المسيحيين في فلسطين

١- لا يزال الصهاينة يعدّون المسيحيين الذين يعيشون في فلسطين مرتدين، وقد اضطر بعض الكاثوليك إلى ممارسة شعائرهم الدينية سراً خوفاً من أن يوصموا بالخيانة. كما اضطرت ١٥٠٠ عائلة من عائلات الزواج المختلط إلى الهجرة من فلسطين المحتلة هرباً من الاضطهاد. ذلك لأن أبناء الزواج المختلط بين اليهود والمسيحيين كانوا موضع احتقار.

٢- الضغط المتواصل على رجال الطوائف المسيحية الكبيرة لإجبارهم على التنازل عن أراضيهم وعقاراتهم في مدينة القدس سواء بالبيع المباشر أو بالإيجارات الطويلة الأمد.

٣- تعرضت كنيسة القيامة للسرقة حيث اختفى تاج السيدة العذراء في آواخر عام ١٩٦٧ من قبل الإرهابيين والأصوليين الصهاينة، كما أتلفوا الشموع وحطموا قناديل الزيت فوق القبر المقدس في ٢٤/ ٣/ ١٩٧٠.

---

(١) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير ٢٠١

٤- تعرضت أربعة مراكز مسيحية للحريق في مدينة القدس بتاريخ ١١/ ٢/ ١٩٧٤ وانفجرت قنبلة في دير الروس في عين كارم منطقة القدس بتاريخ ١٢/ ٢/ ١٩٧٤.

٥- هدم ثلاث كنائس في القنيطرة، وسرقة الأيقونات والثريات واللوحات الدينية من هذه الكنائس.

٦- نبش المقابر وتدنيس حرمتها وبشكل خاص المقابر المسيحية، حيث سرقوا محتوياتها، في مدينة القنيطرة وغيرها، ومنذ عشرة أيام قامت السلطة الفلسطينية بتجريف مقبرة في اجزم قضاء حيفا المحتلة منذ عام ١٩٤٨[١].

كيف كان اليهود في ظل حكم المسلمين؟

يقول غوستاف لوبون: فلما دخل العرب المسلمون بلاد الشام ومنها فلسطين. كانت الحكومة الرومانية قد حكمت المنطقة سبع مئة عام. وعند مجيء الإسلام أبان العرب المسلمون تسامحاً مع كل المدن لذا رضي السكان مختارين، وانتهت بهم الحال إلى أن كثيراً منهم دخلوا في دين الفاتحين وتعلموا لغتهم[٢].

لقد تنفس اليهود الصعداء إبان الفتح الإسلامي، وتمتعوا بكامل حقوقهم، ومارسوا طقوسهم الدينية بحرية مطلقة، وسمح لهم بتعاطي أنواع الصناعة والحرف والاشتغال بالتجارة.

---

(١) أزمة فلسطين ٢٠٢

(٢) المصدر نفسه ٢٠٣

يقول المؤرخ اليهودي غريتس: «إن الوضع اليهودي القانوني والمدني خلال القرون الوسطى تحت الحكم الإسلامي العربي كان خيراً من وضعهم في أوروبة المسيحية في القرن التاسع عشر».

ويؤكد الدكتور إسرائيل ولنغتون في مقدمة كتاب (تاريخ اليهود في بلاد العرب):

«كان اليهود في أغلب المدن العراقية يخرجون لاستقبال جيوش المسلمين بالحفاوة والإكرام، لأنهم كانوا يؤثرونهم على غيرهم، إذ يرون فيهم قوماً يؤمنون بإله موسى وإبراهيم، ولقد زادت هذه الروابط متانة مع الزمن حتى دخل اليهود في جيوش المسلمين ليقاتلوا معهم في أقاليم الأندلس. وينبغي ألا يغيب عن البال أن الخسارة القليلة التي لحقت بيهود الحجاز لا تقاس بالفوائد الكبرى التي اكتسبها اليهود من ظهور الإسلام. فقد أنقذ الفاتحون العرب آلافاً من اليهود كانوا منتشرين في أقاليم الدولة الرومانية، وكانوا يقاسون ألواناً من العذاب»[١].

يقول الدكتور إيراشيرنوس أستاذ في تاريخ الأدباء بجامعة كولورادو ويدرس اللاهوت العبري، وهو يهودي: إن العلاقة بين العرب واليهود عبر القرون كانت متمازجة، لكن عندما دخل العرب المسلمون رحب بهم اليهود لتحريرهم من الإدارة الرومانية البغيضة، وخلال العصور الوسطى كان غالبية اليهود كانوا

(١) أزمة فلسطين ٢٠٤

يتكلمون ويكتبون باللغة العربية، وتمتعوا بتسامح لامثيل له، ولم تبدأ المشاكل الحقيقية بالظهور إلا بعد صدور وعد بلفور.

لقد لعب الرحالة والمبشرون دوراً بارزاً في إذكاء وتحريض الأنفس المسيحية في تمجيد وتقديس الرؤيا الغيبية اليهودية (التوراة- التلمودية) وأشهر المبشرين كان باركلي[١].

المتحمس والغيور على مصالح اليهود وإيمانه المطلق بشعب الله الذي هو أفضل العروق يزين جبين البشرية عبر تاريخها ويقول: "إن اليهود يتحدثون لغات عديدة، وهم معتادون على تقاليد وبيئات متنوعة وأقاليم عديدة، لذلك فإذا اهتدوا إلى المسيحية سوف يكون لهم دور عظيم في حقل التبشير في العالم كله»[٢].

وهناك رسالة (ماريون هارلند) في كتابها (تحت راية الشرق) ١٨٩٨ إذ تكرس المؤلفة فصلين كاملين في شرح وضع اليهود، بلغة تعبر عن الثقافة الكامنة في ذاكرتها الدينية، وفي الفصل الذي تعطيه المؤلفة عنوان (شعبك القديم اليهود). إذ تقول تحت هذا العنوان: «سمعت الصلوات والدعاء لهم كل يوم من سني طفولتي وصباي. وكانت تعابير رجل الدين من منبر الكنيس وهو يدعو لهم هي نفس التعابير التي رددناها طيلة حياتنا: (ندعوك أيها الرب أن تنزل رحمتك على شعبك القديم اليهود، وأن تدخلهم في ملتك الأبدية".

---

(١) المصدر نفسه ١٢١

(٢) المصدر نفسه ١٢١

وفي نقاشها مع الحاخام حول نبوءة إعادة انتشار مملكة الله في القدس، أكد لها الحاخام أنه عندما يأتي المسيح المخلص فسيحكم العالم كله، وليس مكاناً واحداً فقط. ومع أن رجل الدين اليهودي هذا يوافق على وجود آيات تشير إلى اقتراب الساعة، فهو يصر بأن المجيء سوف تسبقه معركة هرمجدون، فظهور يأجوج ومأجوج وهزيمتها، وسيلي ذلك معارك دموية في وادي القرار(١).

وفي مقابلة أخرى للرحالة هارلند مع رجل دين يهودي آخر تعلم منه هارلند أن يأجوج ومأجوج ربما يكونان رمزين لروسية، وأن جميع الأمم سوف تشارك في معركة هرمجدّون وسوف ينتصر الخير بقيادة إله إسرائيل على الشر. ثم يجتمع مجلس لكل الأمم ويقرر إعادة فلسطين لأصحابها اليهود.

وعندما تسأل السيدة الأمريكية إذا كانت فلسطين ستتسع لكل اليهود في العالم يبتسم الحاخام ويقول لها: لعلك نسيت أن اليهود سيحتلون الأرض من الفرات إلى النيل حسب النبوءات. وقد أثار هذا الحديث حماس هارلند وسعادتها وتشد على يد الحاخام قائلة: «أنت بروستانتي بحق» ويجيب الحاخام بسخرية واضحة «كلانا نعمل في خدمة إله إسرائيل»(٢).

لقد بدأ المفكرون والرحالة والمبشرون بتطوير نشاطاتهم سياسياً

(١) من أجل صهيون ١٢٢

(٢) المصدر نفسه ١٢٢

مشفوعاً بالفكر الديني، ولكم كانوا ينشدون إعادة إعمار صهيون، ويؤمنون بالتحالفات الدولية، والجهود المشتركة للأمم الغربية تحقيقاً لهذا الهدف. فقد رأت الرحالة الأمريكية سارة هايت أن الأوضاع الراهنة فرصة هامة أمام الدول الغربية، ورأت هايت شبهاً كبيراً بين حكم الفراعنة بمصر، وحكم محمد علي (فرعون مصر) في تسلطه على شعبه، ومحمد علي في رأي الرحالة هذه وزوجها ريتشاردهايت يتصف بظمأ لا يروى للغزو والاحتلال، وينذر الزوجان هايت العالم الغربي بأن محمد علي سوف يحاول السيطرة على العالم الإسلامي كله، ويهود العالم المسيحي[١].

يستغرب هايت أن انكلترا لم تبادر إلى احتلال مستعمرات الأتراك الأوروبية وبقية أجزاء الامبراطورية العثمانية. وترى هايت أنه لم يستند في تحليله للأوضاع الراهنة ورؤياه للمستقبل على اعتبارات سياسية محضة. بل نجد في أثناء اقتراحاته علامات قوية لرؤيا صهيون والنبوءات الكتابية فتحلل مخططه لمنطقة الشرق العربي حيث يوزع هايت الغنائم حتى يرضي أطماع الدول الغربية، إذ تحصل فرنسة على دول شمال أفريقية من المغرب إلى حدود مصر مع الحق لها بغزو الداخل الإفريقي حين تشاء وإلى جانب ذلك تحصل فرنسة على سورية حتى الفرات شرقاً وجبال طوروس شمالاً، أما إنكلترا فتحصل على مصر مع الحق بالدخول إلى رأس

---

(١) من أجل صهيون ١٢٨

الرجاء الصالح وعلى آسية الوسطى مع حق الامتداد حتى بخارى بعد ذلك يصل هايت إلى محور مخططه فيقترح إلحاق عرق أسمى في الأراضي التي وهبها الله لإسرائيل حيث تعود لصبايا اليهود لهم أقصى الغرب فتروين بمياه الأردن وردة شارون المخملية ثم يصبح باستطاعة أحفاد إسماعيل زيارة السوق القاهرة ودمشق ودون أن يرفع السيف في وجه أحد(١).

كانت هذه النبوءات تقع في صلب الفكر الجيوبوليتكي في نظرة الغرب إلى الشرق العربي ومستقبل الإنسانية. ولاشك في أحد مصادر هذه الأفكار الهامة هو الإرث اليهودي المسيحي في الثقافة الغربية، حيث يشترك في هذا الإرث رجال ونساء ينتمون إلى شرائح متنوعة في المجتمع الأمريكي.

وهذا وليم لينتش مثلاً وهو ضابط بحري وقائد حملة استكشاف علمية إلى البحر الميت ونهر الأردن بتمويل ودعم من وزير البحرية الأمريكية. لكن لينتش وفريقه من العلماء لم يترددوا بالإضافة إلى ملاحظاتهم العلمية في عرض ملاحظات واقتراحات المستقبل لمنطقة تردد أصداء أسفار الكتاب المقدس، بل وتوظف نصوصاً منه لإثبات مصداقية هذه الملاحظات والاقتراحات، فيأخذ لينتش منذ سفر أشعيا نبوءة إعمار الصحراء وإعادة اليهود إلى القدس وإلى جبل صهيون، وجعل المنطقة ممراً تجارياً دولياً بين الشرق والغرب. لقد عمد هذا الرجل (لينتش) تقديم تقرير خاصٍ لوزير

---

(١) المصدر نفسه ١٢٩

البحرية الأميركي يتضمن تجربته وآراءه، وقد تبناها العديد من المبشرين الأمريكيين، وعملوا على طباعة التقرير وتوزيعه[(١)].

إن من يقرأ أقوال المنظرين الوطنيين يرى التلاحم التام بين مملكة الله الأمريكية المقدسة، وقيم الديمقراطية، والنظام الأمريكي السياسي.

وقد لخص هذه الفكرة المؤرخ الديني ريتشاردنيبور بقوله: "إن تأسيس مملكة المسيح رافقتها بصورة طبيعية عملية إضفاء صبغة الوطنية على هذه المملكة. إن الفكرة القديمة القائلة بأن المسيحيين الأمريكيين هم شعب مختار أرسل في مهمة خاصة تم تحويلها إلى فكرة أمة مختارة تتمتع بتفضيل إلهي بدأ منذ الاستيطان وازداد الأمريكيون قناعة به كلما تقدم القرن التاسع عشر، فالمسيحية والديمقراطية والمبادئ الأمريكية واللغة والثقافة الأنجلوساكسونية، وتطور الصناعة والعلوم والمؤسسات، كانت كلها مختلطة ومرتبكة في قناعة الأمريكيين المغرقة في صلاحهم التام، من هذا ما اعتبره بالضبط الأمريكيون مملكة العرق الأنجلوساكسوني التي كان لها أن تنشر النور إلى جميع الأمميين بواسطة مصابيح صنعت في أمريكا.

من هذه الدراسات التاريخية لأمريكا الحديثة والمعاصرة نرى استمرار الخلط بين المسيحية الأمريكية وإصرار الأمريكان من

---

(١) المصدر نفسه ١٣٠

صانعي القرارات السياسية إلى الوعاظ اليمينيين على دور أمريكا في نشر أفكارها في العالم كله، حتى ولو كان ذلك توظيف المدافع والصواريخ[١].

❋ ❋ ❋

(١) من أجل صهيون ١٤٨

الفصل الحادي عشر

مصير إسرائيل

مع نهاية القرن الثامن عشر أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودي يشكل جانباً مهماً من اللاهوت البروستانتي الأمريكي، حيث احتلت معتقدات المسيح المنتظر والعصر الألفي مكاناً بارزاً (ريجنيا، ١٨٤).

وقد نشأ عن هذه المعتقدات ميل مسيحي قوي للاعتقاد بأن المسيح المنتظر يجب أن ينتظر عودة الدولة اليهودية. وقد ساهم الكتاب الذي ألفه وليام بلاكستون (عيسى قادم) في عام ١٨٧٨م في الترويج لفكرة البعث اليهودي في فلسطين، لتحقيق الخلاص بين أوساط الشعب الأمريكي.

وقال النائب الأمريكي توماس جي لين: «لكي يبني اليهود مملكة الله يجب ألا يشتتوا بين الأمم الأخرى (ريجيتا ٢٢١) ولهذا عارض الأمريكيون أي تحديد للهجرة اليهودية إلى فلسطين، كانت الصهيونية في تلك المرحلة قد ضاعفت نشاطاتها، ونجحت إلى مدى بعيد في كسب الأوساط اليهودية، ومارست كل الأساليب لخدمة أهدافها ومصالحها، إذ كانت ترضي الأذواق والمصالح الغربية

أيضاً، وقد تطورت الصهيونية في الغرب خلال القرون الأربعة الماضية إذ يعزى للصهيونية كل المواقف والسياسات الغربية المؤيدة لإسرائيل من خلال التفاهم والقناعة بالمفاهيم التالية[١].

١- المفهوم التوراتي ويعني ذلك «أن إسرائيل الحديثة تصبح امتداداً لإسرائيل التوراتية».

٢- مسألة التماثل الذاتي مقارنة بين استيطان البيض للولايات المتحدة الأمريكية واستيطان الصهاينة لفلسطين، وهذه الصورة المغروسة في رؤوس الأمريكيين عبر عنها الرئيس كارتر في خطاب ألقاه في الكنيست الإسرائيلي ١٩٧٩ بقوله: «لقد أقام الرواد في كلا الشعبين من دول شتى إسرائيل والولايات المتحدة فشعبي كذلك أمة مهاجرين ولاجئين.. إننا نتقاسم معاً ميراث التوراة»[٢].

وقد تشابهت المفاهيم والأهداف مع الغرب إذ إن إسرائيل تروج لها بالتشابه في المسائل التي يقاتل من أجلها الغربيون والصهاينة (الحرية - الديموقراطية ومحاربة الإسلام بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ووقوف الصهاينة ضد العرب والمسلمين دفاعاً عن مصالح الغرب. ومع أن إسرائيل كانت سبباً في إخراج بريطانية من المنطقة العربية فإنها ستكون سبباً بما ترتكبه من جرائم واستهتار بالدم البشري، والقيم الإنسانية، وتحديها للشرعية الدولية، وتحريضها للإدارة الأمريكية في إشعال حرب كونية ثالثة قادمة لا

---

(١) مصير إسرائيل في النبوءات، محمد عرب ٩٨

(٢) المصدر نفسه ٩٩

تبقي ولا تذر للوصول إلى نبوءات توراتية أسطورية في إقامة المملكة السعيدة ضمن الألفية المتوقعة في خيالاتهم.

لقد برز زعماء ومفكرون أمريكان تخوفوا من فساد الصهيونية ومراميها. وقد ألقى الرئيس الأمريكي بنجامين فرانكلين خطاباً عام ١٧٨٩ عن وضع دستور الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود.

أيها السادة في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي، وأفسدوا التجارة فيها. إذا لم يطرد هؤلاء من البلاد فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مئة عام إلى حد يقدرون معه على أن يحكموا شعبنا ويدمروه، ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا، وضحينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الفردية. ولن تمضي مئتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا العمل في الحقول لإطعام اليهود، على حين يظل اليهود في البيوتات المالية يفركون بأيديهم مغتبطين: وإنني أحذركم أيها السادة إن لم تبعدوا اليهود نهائياً، فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم. إن اليهود لن يتخذوا مثلنا العليا، ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال، فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقط، إن اليهود خطر على هذه البلاد إذا سمح لهم بحرية الدخول، إنهم سينقضون على مؤسساتنا، وعلى ذلك لابد من أن يبعدوا بنص الدستور (الجزائي ص٤٥٦)[١].

---

(١) مصير إسرائيل ١٢١

لقد تحققت توقعات فرانكلين هذه الأيام في غفلة من الشعب الأمريكي، واستولت الصهيونية بقيادة منظمة إيباك على مقاليد الحكم في الإدارة الأمريكية (الكونغرس بفرعيه والبنتاغون بما فيه من المنظرين والقياديين، بالإضافة إلى المخابرات المركزية الأمريكية (C.T.A).

الفكر الديني الأرثوذكسي المعارض للصهيونية

ينطلق الأرثوذكس المعارضون للصهيونية (الحريديم) في رفضهم للصهيونية من عدة أمور يمكن إجمالها فيمايلي:

- إن الحركة الصهيونية حولت فكرة الشعب اليهودي ذات المفهوم الديني، أي كجماعة دينية تستمد هويتها عن طريق التقيد بتعاليم الشريعة (الهالاخاه) في كل أمور الحياة العامة والخاصة إلى فكرة لا تقديس للتوراة ولا شعائرها، وترى (الشعب اليهودي) كغيره من الشعوب الأخرى، فالرب في نظرهم اصطفاهم وجعلهم شعبه المختار لكي يقوموا على خدمة البشر جميعهم. "من هنا كان على اليهودي أن يلتزم بـ ٦١٣ فريضة ولهذا فهي حركة قومية علمانية تستغل المفاهيم الدينية والتوراتية في صياغة أفكارها وأهدافها كما تصور (الحريديم)[١].

- إن الحركة الصهيونية استبدلت الخلاص الدنيوي البشري

(١) الدين والسياسة ٢٣٥

بالخلاص الإلهي، وذلك بدعوتها اليهود إلى العودة إلى (الأرض المقدسة) دون انتظار (المسيح) الأمر الذي يعد خروجاً عن الإرادة الإلهية وتعاليم التوراة، أما النظرة الأرثوذكسية المتشددة فترى أن مصير (الشعب المختار) لا يحدده إلا خالقه، وذلك تبعاً لمقدار التمسك بتعاليم (الهالاخاه) وما الشتات إلا قضاء من (يهوه) وعقاب، ولن يتم الخلاص إلا بإرسال الخالق (المسيح المخلص) ويستشهد هؤلاء بما جاء في الكتاب المقدس: «هكذا قال الرب مجاناً باعوكم وبلا فطنة تفكون» (أشعيا ٢٥ : ٣) وكذا «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود» (زكريا ٤ : ٦) كما أن وصايا التوراة[١] «لا تحاول أن تستعجل نهاية الأيام ولا تثر على الشعوب التي تحكمك».

- إن الحركة الصهيونية تعتمد على الإرادة الحسنة للأمم الأخرى (الأممية) فهذه الأمم هي التي تسمح لليهود (بالعودة) والاستيطان في أرضهم، وذلك عن طريق مراحل مختلفة (وعد بلفور والتقسيم والدولة) وهذا كله لا يتلاءم مع طبيعة الشعب اليهودي، ولا مع الوعد الإلهي له بتملك (أرض الميعاد).

- إن المتدينين الأرثوذكس يرون أن علاقة اليهودي بـ (أرض الميعاد) هي علاقة روحية وعاطفية، وأن نفي اليهود منها هي من الأوامر الربانية التي لا يمكن مخالفتها، وعلى اليهودي أن يستمر في

---

(١) المصدر نفسه ٢٧٦

صلواته حتى يستجيب له (يهوه) ويأمر بعودته مع (المسيح) ومن هنا يرفض هؤلاء الدعوة الصهيونية وادعائها بأنها تحمي أمن اليهود وتنقذهم من الشتات[١].

- إن الحركة الصهيونية حركة معادية للسامية، لأنها تخلق لليهودي مشكلة ازدواج الولاء وتعمل على دعم الاتهامات المعادية للسامية. ولأنها تزدهر بازدهار معاداة السامية فهي تعمل على الترويج لها عن طريق العمل على تقويض وضع اليهود أينما وجدوا حتى تدفعهم إلى الهجرة.

- إن الحركة الصهيونية جعلت من اللغة العبرية لغة الحديث والتخاطب اليومية والرسمية لليهود، وذلك برغم أنها لغة دينية مقدسة يحرم استعمالها إلا في الشؤون الدينية[٢].

لذلك رفض (الحريديم) الدولة التي أقامتها الحركة الصهيونية، لأنها دولة علمانية تقوم على هوية وثقافة علمانية، وتتجاهل هوية اليهود وقيمهم وتعاليمهم الدينية. وبدهي أن هذه المعارضة للدولة لا ترتد إلى علمانية الدولة وقوانينها ومؤسساتها، إنما إلى طبيعة نشأتها وخروجها على الإرادة الإلهية والتعاليم التوراتية. ومن هنا فأنصار هذا الرأي يرون أنهم في منفى، وأن سبب هذا النفى هو

---

(١) دوامة الدين والدولة في إسرائيل / عزمي بشارة / مجلة الدراسات الفلسطينية ٢٩٠

(٢) بعض كلاسيكيات الرفض اليهودي للصهيونية، هدى حجازي، ١٤٧

وجود الدولة ذاتها، ولهذا لا يسعى هؤلاء إلى مراعاة الدولة ومؤسساتها للتعاليم الدينية، بل ينفصلون عن المجتمع سياسياً أو اجتماعياً ومن ممثلي هذا الرأي جماعة ناطوري كارثا وجماعة ساطمر الحسيديه.

- (إن الحريديم) يعارضون الحداثة فكراً وثقافة، ويقبلونها مادياً وتكنولوجياً، وهذا يعني أنهم يرفضون القيم والثقافة غير اليهودية، ويرون فيها تهديداً لوحدة[١] المجتمع الحريدي الدينية والثقافية والاجتماعية، إنهم على استعداد لقبول الحداثة من أدوات ووسائل ويرفضون استخدام الإذاعة المرئية، لأنها مفسدة، ويقبلون توظيف المرأة في مجالات معينة (كالتمريض والتعليم) حتى يتمكن الزوج من قراءة التوراة.

حرب دينية

إن ما يسمى باقتصاد السوق ليس سوقاً تبرز فيه الحاجات على السوق، وتهدف فيه المبادرة الفردية لإشباع هذه الحاجات، ومن شأن ذلك أن يرد السوق إلى وظائفه الضرورية والسليمة. إن اقتصاد السوق بشكله الراهن، اقتصاد تكون فيه السوق هي الناظم الوحيد للعلاقات الاجتماعية، وفيه يُشترى كل شيء ويُباع بما فيه الإنسان وجهده.

إن مثل هذا الاقتصاد يستند إلى تطور الإنسان مقصوراً على

(١) الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث، نصير مروة، ١٨٥

بعدين وحيدين (الإنسان منتجاً ومستهلكاً) وفي مرحلة الرأسمالية الصاعدة أعطاه هوبز التعريف المقتضب «الإنسان ذئب للإنسان» والمسألة التي ستكون وحدها هي الحاسمة مسألة وحدة العالم وغايات الإنسان الأخيرة. لا يمكن بطروحات رجال الاقتصاد والسياسة الذين يقبلون جميعاً بمسلمة هوبز مصدر جميع أنواع العنف على مستوى الأفراد وعلى مستوى الأمم[١].

هذه المشكلات الاقتصادية والسياسية تستند في نهاية الأمر إلى مشكلة الغائية أي إلى مشكلة دينية. فالحكام أخذوا مباركة رجال الدين، ولأن كلاً منهما أفرز منذ قرون قدرة (لاهوت السيطرة) فقدرة الله كقوة خارجية عليا تخلق الإنسان والعالم والملوك الذين يديرون شؤون الناس دفعة واحدة وإلى الأبد، كل سلطة قد رتبها الله، ومن يقاوم السلطان فإنما يعاند ترتيب الله[٢].

هذا ما كتبه بولس القديس بعد بضعة سنوات من موت يسوع المسيح الذي كانت حياته كلها اتهاماً للنظام القائم.

الأصولية: إن الأصولية مرض جميع الأديان، والأصولية هي إدعاء الأصولي أنه يمتلك الحقيقة المطلقة، وأنه يمتلك من ثم لا الحق فحسب بل والواجب أيضاً في فرض تلك الحقيقة على الجميع ولو بالحديد و بالنار.

---

(١) المسيحية الأصولية في أمريكا ٢١٠

(٢) نحو حرب دينية جدل العصر ٣١

الأصولية الأولى هي النزعة الاستعمارية الغربية، لقد تذرعت أول الأمر لكي تبرر غزوانها وفتوحاتها بما قدرت أنه امتيازها (كشعب مختار) والتوسع الشامل لدينها الذي كانت تعدّه فوق جميع الأديان، وبعد تراجع الكنيسة ظلت تعدّ نفسها مركزاً للعالم، والخالقة الوحيدة للقيم. إن سادة الفوضى الحاليين يريدون بتلك التعبئة الإسلامية الهائلة، أن يفرضوا على الجماهير فكرة وكأنها بدهية البدهيات، وهي تفجر الاتحاد السوفييتي وانهيار الماركسية، لكي يوهموها أن المخرج الوحيد هو العودة إلى الغاب[١].

أما ما هو واضح للعيان، فهو أن إعادة الرأسمالية إلى روسية حصل مع الاتحاد السوفييتي الكبير في رسالتها للخلاص، بتأسيس مملكة الحقيقة والعدل والسلام بين الشعوب، إننا نعتبر أنفسنا أمة واحدة، بل مجموعة دينية، ولهذا لا نتوقع عودة إلى فلسطين، ولإعادة أي من القوانين الخاصة بالدولة الصهيونية.

٨- وكان الخصم الأكبر في إنكلترا (هرمان إدلر) قد أعلن أن مثل ذلك عام ١٨٧٨ قال: «لم يشكل اليهود مجتمعاً سياسياً منذ الغزو الروماني لفلسطين، وإننا نحن اليهود ننتمي إلى البلاد التي نعيش فيها، فنحن إنكليز في إنكلترا أو فرنسيون في فرنسة وألمان في ألمانية، ولنا معتقدات دينية خاصة بنا بطبيعة الحال، ولكننا لا نختلف في ذلك عن المواطنين الذين يمارسون ديانة أخرى، فنحن

---

(١) المصدر نفسه ٣١

نسهم وإياهم في ازدهار الوطن الذي احتضننا، ولنا مثل ما لسائر المواطنين من الحقوق وعلينا ما عليهم من الواجبات».

لقد عرف كثير من اليهود أسرار اللعبة الصهيونية فأدانوها منذ بداية ظهورها حتى الأحزاب الرئيسية من حزبي العمل والليكود التي انتحلت الظواهر العلمية مثلهم كمثل العلمانيين إخفاء دورهم الديني؟ أليست المنافسة بين هذه الأحزاب قائمة على أساس تهويد الأراضي العربية. وهل هناك خلاف بين هذه الأحزاب حول مسألة (دين الدولة اليهودية) وهل هدفها هو (إسرائيل الكبرى) أكثر من توسيع حدود الدولة اليهودية للسيطرة على أقاليم وأراضٍ عربية جديدة[١].

* * *

(١) نحو حرب دينية جدل العصر ٣٥

الفصل الثاني عشر
لاهوت الإرهاب والهيمنة الأمريكية

إن الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، (الطهوريين) الشعب المختار منذ قرون الذي يقرأ كتاباً واحداً هو التوراة. كان يعتبر نفسه (شعباً مختاراً) إن لم يكن (يهوه) هو الذي اختاره، فعلى الأقل اختاره الإله المسيحي. فلماذا لا تكون هذه الأرض أرضاً موعودة، ولا يكونون أيضاً النور المرشد لشعوب أخرى باعتبارهم الشعب المختار، لكن الأرض الموعودة لِمَ قفراً؟

الفكرة الأساسية هي أن الله يساعد الشعب المختار، ونجاحه لا يدل على أنه عادل في نظر الله، وإنما أيضاً على الوسائل المستخدمة للحصول على هذه النجاحات باعتبارها مسوغة.

وكما أن العهد القديم منح الأمريكيين الاستعارة التي تلائم الأمريكيين الأوائل في علاقاتهم مع السكان المحليين، فإن هؤلاء (الطهوريين) منحوا بدورهم الإسرائيليين في علاقاتهم مع الفلسطينيين تلك الاستعارة، وهكذا بدا طبيعياً تشكيل جبهة ضد الإسلام.

إن الاعتقاد الراسخ بأنهم الشعب المختار قد استبطنهم بحيث أن

هذا الاعتقاد بأن الولايات المتحدة الأمريكية أمة أقرب إلى الله من أية أمة أخرى، يعبر عنه في الشعار المطبوع على الدولار (نحن نثق بالله).

وليكن الأقرب إلى الله هو أيضاً ممثل الله على الأرض، مع مميزات الله الثلاث الكبرى: المعرفة الكلية، القدرة الكلية، والإحسان، وهذا يعني بشكل محسوس إشراقاً إيليكترونياً في العالم على من يعتقد أنهم حملة الشر. ومن حق الولايات المتحدة وحدها أن تعلم من الذي يدخل هذه الفئة. وليس هناك محكمة استئناف لأن الولايات المتحدة تحتكر هذا الحكم. وهكذا تمارس سلطة ثقافية، سلطة اقتصادية، وسلطة عسكرية بقيادة وزراء الدفاع والمخابرات المركزية.

- مملكة الشر تستحق إذن أن تقصف حتى تعود إلى العصر الحجري وهو واجب.

- أية ديانة يمكن أن تكون أعلى درجة من هذه اليهودية - المسيحية؟

- وأية أيديولوجية يمكن أن تكون أعلى ليبرالية من ليبرالية المحافظة في شكلها الرأسمالي؟

- وما من مؤسسة متجاوزة للقومية يمكن أن تكون فوق الولايات المتحدة وهذا صحيح بالنسبة إلى الأمم المتحدة، إلا إذا

كانت هذه المؤسسة وسيلة كي تمارس الولايات[١] تأثيرها الخيّر في العالم بأسره. وفي تسلسل الأمم تحتل الولايات المتحدة القمة يحيط بها ما يكون مركز العالم.

الحلفاء الذين يخففون على الأقل ٢ إلى ٣ مميزات:

١- اقتصاد السوق الحرة

٢- الإيمان بالله اليهودي المسيح

٣- الانتخابات الحرة

في القطب الآخر من العالم، الواقع بين الخير والشر تتكون مملكة الشر من البلدان التي ليس لها اقتصاد السوق الحرة، ولا الإيمان اليهودي المسيحي، ولا ديمقراطية النموذج الأمريكي بين الولايات المتحدة وبين إله عهد (التحالف) مع الله، وأمم أخرى بينها وبين الولايات المتحدة تحالف يحدده خضوع المحيط للمركز في العولمة خضوع الأمم الغربية للولايات وخضوع الولايات المتحدة لله. هذا هو اللاهوت الكامن تحت سياسة الولايات المتحدة العالمية.

يتبارى المرشحون للانتخابات في الولايات المتحدة الأمريكية في معاداة الإرهاب، وتعطي الحكومات الأمريكية جل اهتمامها ونشاطاتها للقضاء على الإرهاب واستئصال جذوره استئصالاً

---

(١) معهد النزاعات الشاملة والتعاون / مقالة/ جوهان غالتنغ.

إجمالياً منهجياً، لكنه مُبسط جداً ومثير عن عمد. (سيكون الإرهاب أحد التهويدات الأكثر دلالة، والموجه ضد أمتنا خلال القرن الواحد والعشرين).

هذا ما قاله الرئيس كلنتون عشية الاجتماع الذي يكرسه له في ٣٠ تموز عام ١٩٩٦ وزراء الخارجية والداخلية في (الغات). وهذا الموضوع يشرح دورياً في تقرير تنشره وزراء الخارجية والذي يقدم حساباً بالنشاطات الارهابية في العالم وتحدد السياسة الأمريكية بهذا الصدد.

وهناك ثلاث نقاط أساسية تبرز في التقرير.

الإرهابيون ليسوا شيئاً سوى أنهم مجرمون، وبالتالي لا ينبغي أن يعقد معهم أي اتفاق من أي نوع.

وينبغي أن يلاحقوا حتى يتم الحصول على إدانتهم الأشد قسوة.

ويجب أن يثار الضغط البالغ والدائم على الدول التي تتعهد الإرهاب وتسلحه، وتقدم له المعونة، وتدعمه بتدابير سياسية ودبلوماسية واقتصادية فعالة ريثما تلجأ إلى وسائل أخرى عند الاقتداء.

في ٢٨ حزيران ١٩٩٦ أراد الرئيس كلنتون أن يجعل من مسألة الإرهاب الموضوع الرئيسي لقمة (السبعة) كما كان الأمر في شرم الشيخ. ومن جديد عارضته فرنسة تحاشياً للتقليل من قيمة الموضوعات المقررة في جدول أعمال القمة، أو تنحيتها. وهذه المرة

تغلبت واشنطن على باريس، ففي أعقاب العشاء الذي جمع الرؤساء، تبنى السبعة بالإجماع تصريحاً حول الإرهاب، إذ لا شيء في هذا التصريح غير عادي، سوى أن الوثيقة التي أدانت الإرهاب باعتباره (التحدي الأكبر لمجموعة مجتمعاتنا ودولنا) هاجمت بخاصة عملية ٢٥/ حزيران/ ١٩٩٦ على الحامية الأمريكية في (قاعدة الخبر) السعودية، ووصفتها بأنها عمل بربري لا مسوغ له، وعبرت عن التضامن العام للموقعين من الولايات المتحدة والسعودية، وبذلك عبر السبعة بصراحة عن موقفهم المؤيد للترتيبات العسكرية في الشرق الأوسط وعلى نحو أكثر تحديداً في الخليج. وهذه الترتيبات كما نعلم، تحاربها بشراسة جميع القوى الاجتماعية والسياسية في المنطقة باعتبارها منافية لاستقلال بلادهم. وهنا انكشفت أيضاً هذه الحلقة عن المقاصد الاستراتيجية التي تغطيها الحملة (المقاومة للإرهاب) هذه الحملة التي تبناها البيت الأبيض، وعن قدرة البيت الأبيض على كسب دعم شركائه[١].

إن الحملة المعادية للإرهاب التي تشنها الولايات المتحدة تشير غالباً إلى العدو الرئيسي (الإسلام) الراديكالي، ثم الثوري الذي ترى مصدره ومثاله في إيران، هذا الاقحام لإيران حصراً لا يتوافق مع تباين الأعمال الإرهابية ذاتها: فلا شيء إيراني في عملية ١٩ نيسان ١٩٩٥ في أوكلاهوما ستي، التي قامت بها مجموعة من أقصى اليمين الأمريكي، وكذلك عملية ٩ تشرين أول ١٩٩٥ على قطار

(١) الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، روجيه غارودي ٢٠١

(ميامي لوس أنجلوس) التي ادعتها مجموعة تدعى (أبناء الغستابو)، وعملية ٣ نيسان عام ١٩٩٦ التي قام بها دكتور في الرياضيات كان يلجأ إلى استخدام الطرود المفخخة، أو قضية (فريمان) الذين قاوموا الشرطة ثمانين يوماً في مزرعتهم مونتانا، هذا كله سيان عند أمريكا، والمهم هو نوع من التيار الإسلامي الملهم للإرهاب والفاعل له[١].

فمن الناحية الزمنية والمزاجية للمصلحة الأمريكية فقد وضعت هذه الأخيرة أقدامها في الشرق الأوسط عن طريق العربية السعودية، حيث أصبحت مصالحها البترولية راجحة بين الحربين العالميتين، وحمت أمريكا دكتاتورية الرئيس جعفر النميري في السودان، والذي كان أول من أراد تطبيق الشريعة الإسلامية. واختارت شريكاً لها نظام ضياء الحق في الباكستان دون أن ننسى أنها ألهمت ونظمت وسلحت المنظمات التي عارضت النظام الذي يدعمه الاتحاد السوفييتي في أفغانستان إذ قدم إلى أفغانستان حوالي خمسة عشر ألف رجل جاؤوا من نحو عشرة بلدان ليقاتلوا السوفييت وحكومة الأفغان آنذاك حتى طردوهم خارج أفغانستان وهؤلاء هم أنفسهم صاروا العدو اللدود لأمريكا في المنطقة، وأصبحوا عند ذلك يدعون بالإرهابيين ومحور الشر، إن هذه المجموعات القتالية من الذين تدربوا واشتد عودهم، وتطبعوا

(١) المصدر نفسه ٢٠٢ - ٢٠٤

بالأيديولوجية ذاتها، كونوا في نهاية الأمر عدة تنظيمات ترمي إلى العمل على مسارح أخرى للعمليات، وحافظت فيما بينها على علاقات وثيقة من الاتحاد.

فاغتيل السادات وبعض رجالات الدولة المصرية على يد زمرة من هذه المنظمات، ثم انتقلوا إلى السودان ثم الجزائر، وأدغال البوسنة[١].

إن السياسة الأمريكية إزاء الظواهر الإرهابية ضاعفت عداء العرب والمسلمين لسلوكها الشائن وبشكل خاص بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ حيث ازدادت النقمة على العرب والمسلمين واستراتيجية أمريكا السياسية والعسكرية في تدمير النظام الإيراني أو على الأقل إضعافه مستغلة حرب صدام مع إيران، وكيف كانت أمريكا والغرب بشكل عام يقفون مع صدام سياسياً و عسكرياً، ولم ينطق أحد منهم بكلمة ينتقد فيها الحكم الدكتاتوري في بغداد، وكان القصد كله إضعاف الدولتين الجارتين، وكان لهما ذلك، وأخيراً تبدد الحلم وتجهم الواقع، وسقطت بغداد بعد حصار للعراق دام أكثر من اثني عشر عاماً تعرض الشعب للجوع والمرض والفقر والجهل، وتعطلت نهضة العراق، ولقي أكثر من نصف مليون إنسان حتفهم، نصفهم من الأطفال، نتيجة هذا الوضع الذي أقرته الأمم المتحدة بتوصيات البنتاغون والبيض الأبيض

(١) الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ٢٠٤

بواشنطن، كما استطاعت الولايات المتحدة وبريطانية شن الحرب الأخيرة على العراق، وتجاوز النقد الدولي في احتلال العراق وبلجوئهما إلى الأمم المتحدة لإنقاذ سمعتهما، وزجّ الأخيرة في هذا المستنقع المأساوي الذي دمر بلداً مستقلاً عضواً بارزاً في هيئة الأمم المتحدة[(١)].

إن مكافحة الإرهاب على المستوى العالمي يشكل أحد محاور السياسة الخارجية لرئيس الولايات المتحدة، وسوف يتذرَّع بها كلما شعرت الدبلوماسية الأمريكية بالحاجة إليها، ولا مانع من افتعالها، إذ إن أصابع الاتهام لا تبرئ المخابرات المركزية CIA من أحداث ١١/ أيلول/ ٢٠٠١.

مفهوم الارهاب

لقد طغى مفهوم الإرهاب وانتشر هذا المصطلح بين الناس، وملأ الدنيا وشغل البشر واختلط الحابل بالنابل، ولم يعد أحد يعرف مدلولات هذا المصطلح ودوافعه ونتائجه. وقد حاولت الأمم المتحدة دراسة الموضوع بجدية لتعريف الإرهاب وكشف مراميه وعواقبه وسبل معالجته، ولا تزال سورية جادة في محاربة الإرهاب بعد أن تقتنع بالتعريفات الموضوعية البعيدة عن الانحياز والتطرف.

---

(١) المصدر نفسه ٢٠٣

ويرى السيد (مايكل هوارد) أستاذ علم الصراع وما يتصل به من استعمالات العنف، أنّ لديه اجتهاداً في وصف الإرهاب يختلف عن النداء الذي يتردد بين وقت وآخر في بعض العواصم العربية. واقتراح مؤتمر عالمي على مستوى القمة لبحث قضية الإرهاب، كما يختلف عما يتردد في عواصم عربية أخرى، بما يعني أنه لا يصح أن يوصف بالإرهاب نضال الفلسطينيين من أجل استعادة حقوقهم وحريتهم في وطنهم.

ثم إن أي وصف للإرهاب لا يجب حصره في قضية فلسطين أو اقتصاره عليها أو تمييزها به، وإلا أصبح ما يسمونه بالإرهاب حكراً على قضايا العرب وحدهم.

إن ما يذهب مايكل إليه هو أبعد وأعمق، والأهم فيه أن الرجل يطرح ما عنده مستنداً إلى (علم) ثم إنه يقول ما يراه واعياً بالتوقيت السياسي الذي يتكلم في إطاره مدركاً محاذيره، ثم إن الرجل لم يتحدث به فقط في مجلس خاص، وإنما في اجتماع مغلق في كلية الدفاع العليا التابعة لهيئة أركان الحرب البريطانية في لندن. ومن ثم فإن رأيه لا يستحق الاحترام فقط لأنه يصدر عن خبير، وإنما استحقاقه للاحترام يتأتى أيضاً من أن العلم قادر على احترام نفسه والترفع على هدى السياسة.

يقول هوارد عن حادثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١: «إنه قرأ تعليقاً عن حوادث اقتحام العمارات بالطائرات جاء فيه وصف العمل بأنه كان (جباناً) ولو أن التعليق وصف الفاعل بالمجنون لكان الوصف

إيجابياً، أما التضحية بأغلى ما يمكن عند المرء تجاه كرامته تجلها وتقدرها جميع الشرائع[١].

والإرهاب لم ينشأ الآن مع نشاط الفلسطينيين أو الإيرلنديين (وما أكثر الأمثلة)، وإنما منذ زمن طويل، ثم أصبح ظاهرة سياسية بشكل واضح في القرن الماضي، حين أصبح نوعاً من أنواع الثورة، لجأت إليه الشعوب المغلوبة والجماعات المقهورة، كانت الحرب مستحيلة عليها بسبب ضعف وسائلها. وكانت الثورة غير ممكنة لها بسبب جبروت حكامها، والنتيجة أن هذه الشعوب والجماعات أقدمت على أعمال يأس لم تجد أمامها غيرها. وقد لجات إليها قابلة دفع ثمنها حياة منفذيها في كل المرات. وكذلك فإن الروس مارسوا الإرهاب ضد الدولة القيصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والأرمن مارسوا الإرهاب ضد الدولة العثمانية بعد ذلك، والمصريون والإيرلنديون والهنود مارسوا الإرهاب ضد الإمبراطورية البريطانية في النصف الأول من القرن العشرين. وعناصر الأنصار في أوروبة مارسوا الإرهاب ضد الاحتلال النازي في الحرب الكونية الثانية، واليهود مارسوا الإرهاب ضد الإنكليز في فلسطين، والفلسطينيون مارسوا الإرهاب ضد إسرائيل.

---

(١) مفهوم الإرهاب / السير ما يكل هوارد / نشرة أنترنيت السفير.

إنه المتاح أمامهم للتعبير عن مطالب اجتماعية أو سياسية أو وطنية. ومهما كانت تكاليفها عليهم وعلى غيرهم. إنما الموضوع هو أن نحاول فهم ما يريده هؤلاء الناس بأفعالهم ومعرفة الدوافع لهذه التضحيات غير المتكافئة.

* * *

الفصل الثالث عشر

الولايات المتحدة الأمريكية تخفي أطماعها الإمبريالية تحت جلد النبوءات الدينية

كان جورج واشنطن يحلم بأمريكا مستقلة متحدة، وكان إبراهام لنكولن يقاتل من أجل أمريكا بريئة من مقولة الرق والعبودية، وكان مونرو ينادي بمشروعه: «إن أمريكا للأمريكيين»، ويحذر من التدخل الأمريكي في شؤون الغير، وجاءت المبادئ الأربعة عشر على لسان نلسون لتدخل في الدستور، وكان هذا يمارس عكس هذه المبادئ عندما أيد الصهيونية في فلسطين. غير أن هذا المشهد الأمريكي سرعان ما تبدل وتغير، وذلك لاعتبارات كثيرة وتأثيرات عديدة وأسبابٍ لا حصر لها، وفي مقدمتها طبيعة النظام الرأسمالي(١).

خرجت الولايات المتحدة من جلدها القديم لتقوم بزحفها، المعاصر إلى كل مكان في المعمورة. إذ اندفعت أولاً إلى العالم القديم المتخم بالأوجاع والهموم، فأوروبة محطمة منهكة القوى نتيجة

(١) مجلة الميثاق / صفوان قدسي ١٦

الحروب والدمار الذي لحق بدولها جميعها في حربين كونيتين أكلتا الأخضر واليابس، إلى جانب سائر البلاد الآسيوية والإفريقية القابعة تحت ظل الاستعمار الأوروبي الذي أرهق كيانها ومزق بنيانها وجزأ أراضيها وتحكم في شعوبها.

واندفعت الولايات المتحدة إلى جميع أركان الدنيا بمزيج من الثراء الفاحش والسذاجة وضيق الأفق، والشهية المفرطة من عدم الدراية، فأصبح رجل الأعمال الأمريكي الذي نجح في إدارة مصانعه وانتهاز الفرص والأحداث ليسوّق منتجاته .

لقد سارع الرأسمال الأمريكي نحو أوروبة مستغلاً توظيف الأيدي الفنية الخبيرة والرخيصة في المصانع التي أنشأها في كل الدول الأوروبية، وبشكل خاص ألمانية النازية، حيث كانت شركة روكفلر قد ابتاعت شركة أوبل ثم تبعتها شركتا جنرال موتورز وIBM حتى باتت هذه الشركات وغيرها وما أكثرها، تزود الجيوش الأوروبية بكل ما تحتاجه من معدات وسلاح، وقد استطاعت هذه الشركات تزويد الجيش النازي بـ٨٠٪ من معداته واستطاعت جنرال موتورز إنتاج أول محرك طائرات نفاث ١٩٤٣. ولما سأل أحدهم روكفلر عن كيفية تزويد الجيش الألماني بالأسلحة ضد بلده وحلفائه، كان جوابه: إن إنتاجه مباح لمن يدفع الثمن، وهذه تجارة، علماً أن المال لدي يحول فوراً إلى الولايات المتحدة، وهذا العمل في صالح بلادي.

هذا هو منطق رأس المال الذي لا يحرم ولا يحلل، يدوس على كل القيم والمبادئ الإنسانية والأخلاق الحميدة المرغوب بها. وقد أكمل المشوار هذا توظيف الأفلام، وقيام هوليود بإنتاج كل ما يخدم رأس المال، وهذا وذلك بغسل أدمغة المواطنين، وتشويه الضمائر وإفساد الأخلاق، والمهم عندهم سلب الأموال بشتى الطرق، لإرضاء السيد ملك المال، ولو جاء هذا على جماجم الضعاف ودماء الأطفال العبيطة.

في ربيع عام ٢٠٠١ فرغت الولايات المتحدة الأمريكية من بلورة خططها، وهي على وشك أن تعرضها للتنفيذ على اتساع القارات، من ضمنها الشرق الأوسط.

إن الإمبراطوريات القديمة مهما كان خلافنا معها لديها حكمة التجربة وتوازنها، بينما الإمبراطوريات الحديثة لديها غرور القوة إلى جانب وحشية الإعلام وطغيان الغنى.

إن العمل الأمريكي له فوق أهدافه الإقليمية هدف استراتيجي كافٍ هو التأكيد لكل الأطراف في العالم أن الولايات المتحدة تأخذ دورها المهيمن الذي تفرّدت به بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي. وأنها إذا كانت (القوة الأكبر) في القرن العشرين فإنها مصممة على أن تكون القوة الأوحد في القرن الحادي والعشرين، وهي رسالة موجهة إلى الجميع: الأصدقاء قبل الأعداء (إذا كان هناك أعداء على مستوى الدول) وقد لحق بذلك الرأي اعتقاد أن الولايات المتحدة تقوم في ذات الوقت بتأكيد

وتطوير وامتحان نظرية الحرب الجديدة (الحرب غير المتوازنة) ضد أنواع التهديدات التي تواجهها، وهو الإرهاب. ومع أن هذه الحرب الجديدة لا تحتاج إلى السلاح وحده وإنما تحتاج إلى أسلحة أخرى بجواره، وأهمها نظام مخابرات هائل في الداخل والخارج، تشارك فيه أطراف وقوى عالمية. إلا أن هذا النظام العالمي للمخابرات يصعب بناؤه إلا بضغوط على الجميع، ولا بد أن تكون الضغوط مبررة حتى إذا تم إنشاء النظام ونجح في امتحانه أصبحت البيئة المستغلة خارج إدارة أية دولة بعينها.

وقد صرح أحد الخبراء الأوروبيين بقوله: «إن كل رئيس أمريكي يحتاج إلى حرب ليثبت فيها للكل وللتاريخ أنه زعيم حقيقي على المستوى الخالد»[١].

وهكذا نرى أن جورج بوش الحالي يحلم بأن يكون جورج واشنطن عائداً إلى الحياة، كما كان بلير يأمل أن يظهر وكأنه تشرشل القرن الحادي والعشرين.

منظمة (إيباك)

أصبحت (اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة) إيباك مرادفاً للسلطة الباغية المرعبة، إذ تتردد منشوراتها الدعائية. وهذه كلمة المديح التي نشرتها عنها نيويورك تايمز حيث قالت: «إنها

---

(١) الإمبراطورية الأمريكية / محمد حسين هيكل ٤٤

أقوى التجمعات ذات المصلحة المشتركة في السياسة الخارجية، وأحسنها إدارة، وأكثرها نفوذاً في واشنطن».

وقال النائب بول بت مكلوسكي بصراحة أكثر: «إن إيباك ترهب الكونغرس والبنتاغون[١]، و وجود إيباك في واشنطن ما هو إلا جزء بارز يظهر للعيان من اللوبي الذي يعتمد نفوذه إلى حد بعيد على المؤسسة التي بناها صهاينة أمريكا على مستوى الوطن كله، وتعمل بواسطة أكثر من ٢٠٠ تجمع وطني. ومن الناحية الفعلية فإن تجمعات اللوبي هي امتداد للحكومة الإسرائيلية. وقد اتضح ذلك عام ١٩٨١ عندما وزعت إيباك على أعضاء الكونغرس بياناً رسمياً تدافع فيه عن قيام إسرائيل بقصف المفاعل النووي العراقي قبل ساعة من إصدار رئيس الوزراء البيان نفسه».

من المؤكد أن إسرائيل تتحمّل المسؤولية الكبرى عن مشكلات الولايات المتحدة الأمريكية في لبنان، فقد ساهمت بالخفاء وعلى نحو فعال في تدبير وجود البحرية في بيروت وذلك بموافقتها على سحب الجنود الأمريكان بعد تعرضهم لهجوم انتحاري ذهب ضحيته أكثر من ٢٠٠ جندي أمريكي، بشرط أن يحل محلهم قوة متعددة الجنسيات. ولم يكن رونالد ريغان راغباً في سحب القوات رغم أن الكونغرس استعان بتشريع (السلطات الحربية) إذ اعترض ريغان على القيود التي يفرضها التشريع، وعليه في حال موافقته أن

(١) من يجرؤ على الكلام / بول فندي ٤٦

يسحب قواته خلال ٩٠ يوماً أو أن يحمل الكونغرس على قبول التمديد. ولما علم إصرار الكونغرس على رأيه استعان ريغان برئيس لجنة إيباك المذكورة، وكسب الرهان على الكونغرس، وتم تمديد بقاء القوات الأمريكية في لبنان ١٨ ثمانية عشر شهراً، حاولت إيباك جعل نشاطها هذا سراً حتى لا يتعرض موقفها للخطر بين المواطنين الأمريكيين. لكن ريغان الذي غمرته الفرحة، اتصل بداين شخصياً ليشكره. وقد قدم مايكل غايل الذي كان يشرف آنذاك على العلاقات بين البيت الأبيض والجالية اليهودية تسجيلاً لهذا الحديث الهاتفي إلى إيباك مقترحاً عليها نشره لكن إيباك رفضت ذلك مفضلة الإبقاء عليه مكتوماً[١].

وبقيت إيباك تشرف على المساعدات الأمريكية للخارج. وفي مطلع الستينيات لم تتجاوز المساعدات الأمريكية لإسرائيل ١٠٠ مليون دولار. وبعد غزو لبنان ارتفعت المساعدات إلى ٥١٠ ملايين دولار، ثم بحلول عام ١٩٨٤ وفي عهد ريغان وصلت المساعدات إلى ما يزيد عن بليوني دولار سنوياً، وتضاعف المبلغ هذه الأيام، وهذه المساعدات لا تحتاج إلى سداد وكانت المصادقة بأغلبية ١١٢ صوتاً، وقد عين توماس وابن رئيس إيباك رئيساً للجنة المساعدات الخارجية في الكونغرس قوامها ٤٢ شخصية بارزة بينهم ٢٧ من أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب[٢].

(١) من يجرؤ على الكلام ٤٦

(٢) المصدر نفسه ٥٢

علق السناتور جيمس أبو رزق رئيس اللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز العنصري بقوله: «إن هذا التعيين كما لو أننا عينا رئيس شركة لوكهيد في مجلس وزراء الدفاع التي تقرر نوع وعدد الطائرات التي على سلاحنا الجوي شراؤه».

مجالات الصراع بين عرب فلسطين والصهيونية

الصراع في العادة لا يجري بين نقيضين داخل مجتمع واحد، بل بين مجتمعين لكل منهما وحدته الخاصة، فالوعي الطبقي يتنحى أمام الوعي الاستيطاني، والتناقض الأساسي هنا هو تناقض خارجي حيث علاقة الجماعة الاستيطانية بالشعب الفلسطيني ليست علاقة سيطرة واستغلال لطبقة منه، بل علاقة إخضاع للشعب الفلسطيني كله، والصراع على الأرض لا يجري من أجل استخدامها وسيلة إنتاج أو سلعة تخضع لحق التملك البرجوازي، بل وطناً لإقامة مجتمع اصطناعي خاص ومنفصل.

١- في المجال السياسي - تكوين اللاتسوية

ليس من قبيل المصادفة والنبوءة نجاح المشروع الصهيوني في وظيفته الإمبريالية الخارجية أكثر من نجاحه في شروطه الداخلية.

وهو كذلك بسبب تكوينه الخارجي الوظيفي العدواني كحالة من الحالات الجغرافية والسياسة للصراع الدولي الإقليمي، تكوين لا تسوية، ليس في بعده التقليدي الثابت بل وفي بعده الجديد، كما عكسته التطورات الدولية والإقليمية الأخيرة، ويعود البعد الأول

إلى أزمة التكامل بين تهويد الأرض وتهويد الشعب، وبين رقعة الاستيطان ورقعة الهيمنة.

إن التخلي عن تهويد الأرض لصالح تهويد الشعب (النقاء العرقي) كما يطالب المعراخ أو كما يطالب الليكود مسألة مستحيلة في الفكر الصهيونية، ولا يستطيع أي حزب صهيوني أن يجيب عليها، كما أن الجمع بينهما صعب جداً في ظل صمود شعب فلسطيني على أرضه من جهة، وفي ظل تزايد موجات المهاجرين اليهود من جهة ثانية، وما تطلقه تعارضات القوى الصهيونية الرئيسية حول فكرة المسارين المقترحين لعملية التسوية.

أما البعد الثاني: فيتصل بالتطورات الدولية والإقليمية، حيث من المهم بمكان ملاحظة أنه إذا كانت إسرائيل قد فقدت جانباً من أهميتها الخارجية الأمنية في ضوء انهيار الاتحاد السوفييتي والحضور الأمريكي المباشر في الشرق الأوسط والخليج، فإن مدعاة إسرائيل تسعى لتحقيق هدفين مترابطين شديدي الصلة بحاجة إسرائيل إلى عملية طويلة لعموم المنطقة وإعادة تركيبها وفق التكييف الإسرائيلي المنشود أمريكيا، وهما:

الأول: حاجة إسرائيل إلى تعويض ما فقدته خارجياً من خلال المزيد من الخطوات في الداخل، على طريق استكمال الكيان لشروطه الخاصة بما في ذلك رفع قدراته الذاتية[1].

---

(١) الإمبراطورية الأمريكية / هيكل، الأهرام، إنترنيت.

الثاني: حاجة إسرائيل إلى إعادة إنتاج نفسها عبر مثل هذه الخطوات كمركز إقليمي للهيمنة السياسية والاقتصادية على كل المنطقة.

إن مجمل ما سبق هو الذي يجعل من إسرائيل كما بقية الأطراف المأزومة الأخرى مستعدة للتعاطي مع مناخات التسوية كمناخات فك للأطراف العربية، وليس كعملية تركيب لتسوية شاملة، فالتعاطي مع مناخات الفك فقط هو الذي يساعد إسرائيل على تكييف نفسها مع الوضع الدولي الجديد. وعلى امتصاص أزمتها بأقل الخسائر الممكنة وتصدير خطرها إلى الأردن، ثم خلالها تحول المعضلة الديمقراطية الفلسطينية تدريجياً من أزمة إسرائيلية إلى أزمة أردنية.

٢- في المجال الأيديولوجيا الكولونيالية

عندما يوصف الفكر الصهيوني بأنه فكر انعزالي انتهازي مركب على علاقة عدائية موضوعية بالمحيط، فلأن الأيديولوجيا الوحيدة التي تلائم الجيتو الإسرائيلي الجديد في الشرق هي أيديولوجيا العهد القديم، تماماً كما كان الجيتو اليهودي القديم داخل أوروبة الإقطاعية يعبر عن عدائيته للمحيط من خلال الإصلاح الديني الذي أعاد الاعتبار للعهد القديم كأيديولوجيا للمال.

يقول إسرائيل شاحاك: «يعيش المواطن في إسرائيل داخل شبكة من الرموز والأساطير التي نسجها الصهاينة بين التراث الديني اليهودي وأعطوها مضموناً قومياً».

١- فعلم بلاده أبيض وأزرق اللون (الطاليت) (شال الصلاة اليهودي) تتوسطه نجمة داوود وهو رمز قبالي، ويتحدث نشيده القومي عن (عودة) إلى وطنه تذكر المرء بالعودة في العصر الماشيحاني.

٢- اسم الدولة (إسرائيل) واسم الأرض (أرتس إسرائيل) وهي كلها تسميات دينية قومية في الوقت ذاته، والبرلمان الذي يجتمع فيه ممثلو الشعب اليهودي في إسرائيل سموه (الكنيست) أو مكان الاجتماع، وهو اسم يذكر المرء بالمعبد اليهودي الذي يطلق عليه (بيه هاكنيست).

٣- بالاستناد إلى سفر التثنية ينتمي قانون الزواج الإسرائيلي إلى قوانين وتقاليد القرون الوسطى، فلا يحق لليهود أن يتزوجوا من غير اليهود ولا يعترف بالزيجات المدنية التي تتم خارج إسرائيل.

٤- يعتبر قانون الجنسية الإسرائيلي الذي أقر عام ١٩٥٢ كل يهودي يدخل إسرائيل مواطناً إسرائيلياً، فيما يترتب على العربي الذي يقيم في فلسطين منذ عشرات السنين أن يثبت ذلك.

٥- إن أكثر أراضي إسرائيل هي إما ملك للصندوق الوطني اليهودي أو خاضعة لإرادته[١].

ولهذه الأيديولوجيا التوراتية العدوانية التي تنطوي على المفارقة

---

(١) الإمبراطورية الأمريكية. هيكل / الأهرام.

في وظيفتها العدوانية الرأسمالية، مسوغاتها الفكرية التي تحتاجها إسرائيل خلال إنتاج شروط وظيفتها الداخلية والخارجية على حد سواء.

فمن جهة الشروط الداخلية، عندما يتحدث بول فندي عن أن إسرائيل دولة علمانية، بل دولة طائفية تعامل المسلمين والمسيحيين داخلها مواطنين من الدرجة الثانية، بالإضافة إلى القانون القضائي للمحاكم الحاخامية المعمول به منذ عام ١٩٥٣ إذ يخضع كل المقيمين لسلطة تلك المحاكم في مجال العلاقات الأهلية الاجتماعية، فليس ذلك لأن إسرائيل دولة اليهود الدينية، بل لأن ذلك من ضروراتها كدولة الغرب السياسية - البوليسية إزاء المنطقة.

- إن الاندماج هو الحل الحقيقي للمسألة اليهودية حيث ليس لليهودي أي حل خاص خارج الحل العالمي الذي ينفي الوظيفة الخاصة، ولا يستدعي أي شكل من أشكال الجيتو القديم التجاري الحرفي أو الجديد العسكري. ولا ينبع ذلك من موقف خاص من اليهود، بل من الموقف الخاص الذي احتله اليهود في التاريخ، حتى أصبح من الصعب التناقض بين الإله العالمي والإله اليهودي إلا بذوبان الثاني بالأول، كما يقول سبينوزا- إن التنظيم الاجتماعي الذي يلغي الشروط للمتاجرة يجعل وجود اليهودي مستحيلاً، ومع قول إبراهام ليون: «إن تحرير اليهود إنما يتم من خلال القضاء على النظام الرأسمالي العالمي».

- إن قيام الدولة اليهودية عقد المسألة اليهودية ولم يحلها،

وحولها من قضية لا سامية غربية ضد اليهود إلى قضية لا سامية يهودية ضد العرب، حتى أن كثيرين اعتبروا قرار هيئة الأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ لسنة ١٩٧٥ الذي اعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العرقية مماثلاً لحكم محكمة نورمبرغ الدولية بالنسبة إلى النازية. ولم تصبح إسرائيل طريقاً للسلام ولا نهاية للتاريخ في المنطقة. بل طريقاً للحرب وصليباً جديداً لليهود أنفسهم[١].

الإعلام الصهيوني وأثره في سياسة المحافظين الجدد

في صيف عام ١٩٨٣ حدث أن أذاع مايك إيفانس قسيس بدفورد في تكساس بالتلفزيون ولمدة ساعة كاملة برنامجاً خاصاً بعنوان: (إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء). ولقد استغل إيفانس البرنامج بوصف الدور الحاسم الذي تلعبه إسرائيل في مصير الولايات المتحدة السياسي- الروحي وقد أعطي البرنامج وقتاً مفتوحاً في محطات التلفزة يزيد عن ٢٥ ولاية إضافة إلى شبكة الإذاعة المسيحية، ولم تكن رسالة البرنامج روحية خالصة.

وترددت أصداء ربط إيفانس مصير أمريكا بإسرائيل في إعلان ملأ صفحة كاملة في عدد نيويورك تايمز بتاريخ ١٨/ ١/ ١٩٨٣، لحساب لجنة العمل السياسي الوطنية. وهي لجنة لجمع التبرعات لإسرائيل، وجاء في الإعلان (إن بقاء إسرائيل حيوي لبقائنا)

(١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية / غارودي / إنترنت.

(والإيمان بإسرائيل يعزز موقف أمريكا). وهناك العديد غير إيفانس متحمسون من المحافظين يوظفون الإعلام المسموع والمقروء لنصرة إسرائيل على الدوام.

إن برنامج جيري فالويل (ساعة عن أزمان الإنجيل) يذاع من ٣٩٢ محطة تلفزيونية ومن حوالي ٥٠٠ محطة إذاعية كل أسبوع. وقد قال مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل ١٩٧٧ وقائد عصابات شترن قبل عام ١٩٤٨: إن فالويل يمثل عشرين مليون مسيحي أمريكي.

لم تكتفِ البرمجة الإنجليلية الأمريكية ببرامج داخل الولايات المتحدة، فرسالتها المؤيدة لإسرائيل تذاع في الشرق الأوسط الآن عن طريق إذاعة (أمل) التي أسسها الصهاينة بعد غزوهم الأول لجنوب لبنان ١٩٧٨ إذ يقول (أوتيس): إن تسمية صوت الأمل هو محاولة «حمل كلمة الله إلى منطقة لم تعرف كلمة الله منذ عدة قرون».

وهناك منظمة المائدة المستديرة الدينية، ويرأسها دوروي مكاتير، وهو معروف بواشنطن بأنه خطيب وكاتب صحفي يدافع عن إسرائيل، ويستغل شعار منظمته الديني لدعم مواقفه السياسية مثل توثيق التعاون الاستراتيجي بين أمريكا وإسرائيل، وتقييد مبيعات الأسلحة الأمريكية للدول العربية، ثم التحريض لنقل السفارة الأمريكية إلى القدس. وفي ١٩٨٤ أصبح مكاتير مرشحاً عن تنيسي لمجلس الشيوخ[١].

(١) من يجرؤ على الكلام ٣٩٥

وهناك أيضاً (صلاة الفطور) استلهمت خطة مايك إيفانس، فأصدرت بياناً خاصاً لمباركة إسرائيل باسم ما يزيد عن خمسين مليون مسيحي يؤمنون بالتوراة في أمريكا وأهم ما ورد في البيان:

١- دعوة التعاون الاستراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة، حيث منحت إسرائيل التي أعطى الله شعبها البركة السماوية ببركاته الروحية.

٢- مختارات من الكتاب المقدس تؤكد حق اليهود في الأرض ونقل السفارة الأمريكية للقدس.

٣- نتيجة لهذا التعامل يقول جيري فالويل: «سيأتي يوم لا ينتخب فيه مرشح لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، ما لم يكن مؤيداً لإسرائيل».

تهديدات لكل من يعارض السياسة الاسرائيلية في الولايات المتحدة

إن الجهات المؤيدة لإسرائيل همها إخراس المنتقدين لليهود، وذلك في محاولاتها قمع كل انتقاد لإسرائيل، إذ تعتبر الحكومة الإسرائيلية وحدة اليهود في الولايات المتحدة هي بمثابة الخط الدفاعي الرئيسي لإسرائيل بعد الجيش الإسرائيلي، ويصورون اليهود الأمريكيين بأنهم يشعرون بالذنب لأنهم ينعمون بالأمن والمعيشة الرغدة في الولايات المتحدة بينما إخوانهم اليهود في إسرائيل يحرسون المتاريس ويدفعون الضرائب بدمائهم. لقد وصل

الأمر عند قادة إسرائيل تحدي العالم كله ما دامت الولايات المتحدة في صفهم، حتى أن وزير خارجية إسرائيل آباإيبان صرح بعد حرب ١٩٦٧ وانزعاج أكثر الدول في هيئة الأمم المتحدة من تصرفاتها، وقطع الكثير من الدول علاقاتها الدبلوماسية معها، «إن هذا الأمر لا يهم إسرائيل ما دامت تدعمنا الولايات المتحدة الأمريكية».

ونحن نرى هذه الأيام عنجهية إسرائيل وتحديها للعالم والأعراف الدولية وقرارات الأمم المتحدة في فلسطين والعراق ومناطق كثيرة في العالم[1].

إن انتقاد السياسة الإسرائيلية علناً شيء غير مقبول في نظر معظم اليهود، هاجسهم هو البقاء في الحكم أقوياء لبقاء اليهود أنفسهم.

لقد ظهر بين ٢٠٠ منظمة يهودية بالولايات المتحدة، منظمتان هما منظمة بريرا ومنظمة جدول اليهود الجليد، اللتان تحدتا السياسة المعلنة للحكومة الإسرائيلية. وكان رد المنظمات اليهودية الأخرى، أن أبعدت المنظمتين عن المجتمع الإسرائيلي المنظم. وقد أنشئت بريرا عام ١٩٧٣ ولم تعش سوى خمس سنوات، إذ كانت تدعو المؤسسات اليهودية إلى النقاش الجدي والمفتوح، واقترحت سلاماً شاملاً بين إسرائيل والدول العربية، وإلى إقامة وطن قومي للفلسطينيين يكون مستعداً للعيش إلى جنب إسرائيل، وفي عام

---

(١) من يجرؤ على الكلام ٤٠٠

١٩٧٧ عقد مؤتمر بريرا الوطني وتحدث في المؤتمر الجنرال الإسرائيلي المتقاعد ماتياها بيليد، الذي قاطعته المنظمات الصهيونية في أثناء جولاته في الولايات المتحدة لإلقاء المحاضرات، وقد نوه بقوله: «إن الضغط الذي يمارس على أولئك الذين يحملون آراء مخالفة هنا في أمريكا أعظم بكثير من الضغط الذي نتعرض له نحن في إسرائيل، بل يمكنني القول: إننا على الأرجح نتمتع في إسرائيل بحظ من التسامح أوفر من حظكم هنا، ضمن الطائفة اليهودية».

وكان الهجوم المعاكس على منظمة بريرا شديداً إذ تعرضت لانتقادات مريرة من جانب زعماء المؤسسات الصهيونية، كما تعرض بعض أعضائها لضغوط شديدة كي يستقيلوا من المنظمة أو من وظائفهم، كما صدرت تحذيرات لزعماء اليهود بأن يتجنبوا بريرا وإلا أثرت على حملاتهم الانتخابية وعلى أرزاقهم[١].

اللوبي الصهيوني يستغل الدين

يؤيد أمريكيون عديدون من محافظين وغيرهم إسرائيل بحجة القيم الثقافية والسياسية المشتركة، ورداً على عقدة (محرقة اليهود الجماعية) ويؤمن المحافظون بأن قيام إسرائيل ١٩٤٨ كان تحقيقاً لنبوءة توراتية، وبأن دولة إسرائيل ستستمر في لعب دور مركزي في القدر الإلهي. إن التركيز التام على أحاديث توراتية يحمل العديد من المسيحيين على النظر إلى الشرق الأوسط وكأنه صورة لما ورد في

(١) من يجرؤ على الكلام ٤٣١

التوراة، فإسرائيليو القرن العشرين هم إسرائيلو التوراة. والفلسطينيون هم فلسطينيو العهد القديم. وهكذا يربطون بين الأحداث عن غير وعي أو منطق في سلسلة تاريخية مفككة الحلقات. وهكذا نعيش أيضاً الغموض في التمييز بين المستوطنين اليهود في الضفة الغربية المحتلة والشعب العبري الذي غزا أرض كنعان بقيادة موسى ويشوع[1].

وما هو أمرٌّ من ذلك أن التصورات الجديدة التي تتحدى المعتقدات القديمة والتمييزات الراسخة تجاه الشرق الأوسط. يندّد بها اللوبي الصهيوني والكثيرون من حلفائه المسيحيين باعتبارها أفكاراً متطرفة معادية للسامية، أو حتى أنها معادية للمسيحية.

وبما أن عضوية الكنائس والمنظمات البروتستانتية المحافظة اتسعت خلال العقد الماضي فإن هذا الاتجاه (المسيحي - اليهودي) نحو الشرق الأوسط يجد من ينتصر له في منابر مختلفة متزايدة كالكنائس والإذاعات، حتى قاعات الكونغرس[2].

وقد أعلن السنتور آيدو روجر وجيسن في مؤتمر إيباك السنوي ١٩٨١ أن من أسباب تأييدهما الحيوي الذي لا يتغير لإسرائيل هو دينه المسيحي، وقال: «إن المسيحيين خاصة الإنجيليين هم من أفضل أصدقاء إسرائيل منذ ولادتها الجديدة» وآراؤهما هذه ليست

---

(١) المصدر نفسه ٣٩٢

(٢) من يجرؤ على الكلام ٣٩٢

فريدة من نوعها حتى بين أعضاء الكونغرس، غير أن تصريحاته في هذه المناسبة يكشف عما يكاد يكون تعبيراً عن اتخاذ بعض المسيحيين هوية إسرائيلية غامضة، وهم يعتقدون بأن قوة الولايات المتحدة ورخاءها هو بركة اعترافنا بحق إسرائيل في الأرض.

معارضة بعض زعماء اليهود والمسيحيين السياسة الصهيونية

وهناك (ناحوم غولدمان) وهو قمة الزعامة الصهيونية؛ إذ لعب دوراً أساسياً في خلق دولة إسرائيل، وذلك بتوفير المال والتدخل في الانتخابات الأمريكية، واستمرار خدمته التي تجاوزت نصف قرن في تأمين هجرة اليهود وشراء الأراضي ودفاعه عن القضية الصهيونية في عصبة الأمم وإقناعه لترومان بتقسيم فلسطين ١٩٤٧. وقد كتب يقول عن الهزيمة غير المتوقعة: «كانت صدمة وضربة رهيبة لكرامة العرب، وإحساساً منهم بالجرح العميق، إذ حولوا كل جهودهم لمداواة جراحهم النفسية بالنصر والانتقام».

كما تأكدت له سياسة الصهاينة القائمة على القوة والعنف والبتّ السريع في المشاكل العويصة، وفي أن صنع التاريخ بخلق الوقائع سهلٌ للغاية ومغرٍ للغاية ومرضٍ للغاية، حتى أصبح ذلك كله سياسة إسرائيل في نزاعها مع العالم العربي، وكان غولدمان هذا قد تفاوض مع كونراد أديناور مستشار ألمانية حول تعويضات اليهود، واستطاع أن يبتز من ألمانية أكثر من ٣٠ مليار دولار تعويضاً لإسرائيل ولأفراد اليهود.

ولما رأى غولدمان سياسات الحكومات الإسرائيلية المنحرفة، غيّر رأيه في اللوبي المؤيد لإسرائيل في الولايات المتحدة الأميركية وحمّلهم المسؤولية في فشل الولايات المتحدة من التوصل إلى حل شامل في الشرق الأوسط، وذلك إلى حد بعيد بسبب اعتبارات انتخابية، والخوف من اللوبي الموالي لإسرائيل والأصوات اليهودية فيقول: «إن اللوبي الصهيوني بالولايات المتحدة الأمريكية، يتحول الآن ببطء إلى عامل سلبي، فهو يشوه توقعات إسرائيل وحساباتها السياسية. وقد لا يطول بنا الزمن حتى نرى الرأي العام الأمريكي قد ملّ وضجر من طلبات إسرائيل وتطاول اليهود الأمريكيين»(١).

وفي عام ١٩٧٨، أي قبل سنتين من كتابة تقييمه المحرج للوبي الصهيوني الإسرائيلي، ذكرت مجلة النيوزويك: «إن غولدمان حثَّ المسؤولين في إدارة كارتر سراً على أن يقصموا ظهر اللوبي الإسرائيلي»، وأضافت قولها: «ناشد غولدمان الإدارة الأمريكية بحزم على الإدارة أن تقف بعنف وألا تتقاعس عن مجابهة المنظمات الصهيونية، كما فعلت الإدارات السابقة». وإذا لم يتم ذلك قال غولدمان: «فإن مشاريع الرئيس كارتر لتسوية الشرق الأوسط ستولد ميتة».

وهناك الكتاب والصحفيون اليهود يحاولون كشف التعصب الصهيوني الممثل في المنظمات الصهيونية، ومعالجة الأمور بشكل

---

(١) الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط ٧٠

موضوعي، لكن تكتل الجمعيات واللجان تصر على أن من ينتقد السياسية الإسرائيلية فهو لا سامٍ ينبغي تحطيمه.

ومن أبرز المعارضين للنبوءات التوراتية: دكتور ديوي بيغل من كلية ويسلي للاهوت ويرد على المسيحيين الإنجليين في تفسيراتهم الحتمية للتوراة مساعدة إسرائيل في كتابه (الوحي والنبوءة) الصادر ١٩٧٨ نورد منها مايلي:

١- إن كل جماعة مسيحية تدعي بأنها على حق، إلا أن بعض هذه الآراء لا يمكن أن تكون صحيحة، لأنها تناقض التفسيرات الأخرى التي يمكن التثبت منها.

٢- إن الأساس الذي يعتمده المسيحيون المؤيدون للصهيونية بناءً على الكتاب المقدس بشأن قيام إسرائيل الحديثة لا يصمد أمام التمحيص الدقيق، أو يمكن تلخيص استنتاجاته في نقطتين:

* إن نبوءة عودة شعب إسرائيل إلى فلسطين كانت قد تحققت في العودة من بابل كما جاء في التوراة، ولا علاقة بإسرائيل القرن العشرين بذلك.

* إن وعد الله إسرائيل (بالأرض) لم يكن دائماً مشروطاً، وقد خرقت إسرائيل أيام التوراة بتقصيرها في إطاعة وصايا الله، وهكذا تكون قد خسرت الوعد[1].

---

(١) من يجرؤ على الكلام ٤٠٧

وقد حصل خلاف بين اليهود الأمريكيين البروستانت والمحافظين اليهود، وظهر خلاف على أشده عند غزو إسرائيل للبنان.

وفي أيلول (سبتمبر) عام ١٩٨١ وجه الأسقف آرمسترونغ كتاباً إلى قساوسة الكنيسة الميثودية الموحدة في إنديانا ينتقد فيه انتقاداً لاذعاً (بشارة فالويل) وقال: «إن القول بأن إسرائيل شعب الله المختار» تعني أنهم عبيده، فلم تعد تعطي إسرائيل ترخيصاً باستغلال الآخرين، فليس عند الله أثير.

وتركز الكنائس الرئيسة أكثر فأكثر على ضرورة احترام الحقوق الإنسانية للاجئين الفلسطينية، فقد دعا المؤتمر الكاثوليكي للولايات المتحدة الكنيسة المشيخية المتحدة والكنيسة الميثودية المتحدة وغيرها إلى الاعتراف المتبادل بحق الإسرائيليين والفلسطينيين في تقرير المصير، وإلى مشاركة الفلسطينيين في مفاوضات السلام، وانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧، واعتبروا أن منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني.

وهنا سارعت رابطة بثناي بئرث لمكافحة الافتراء، التي لم تطرح آراءها علانية إلا من حيث التنديد بالبيان باعتباره (خطأ ساذجاً في تفهم القوة المتصارعة والقضايا المترتبة على الصراع العربي - الإسرائيلي. مما قد تكون له عواقب وخيمة)[١].

---

(١) من يجرؤ على الكلام ٤٠٩

كانت موعظة العميد (ساير) يغلب عليها القلق من الخطأ الذي حصل منذ الانتصار العسكري الإسرائيلي.

وبحلول عام ١٩٧٢ كانت القدس قد أصبحت تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة. ويرى العميد ساير أن مأساة البشر الأخلاقية تكررت بمعاملة إسرائيل للمدنيين العرب، ويقول: «إن الحلم قد تبدد (فالآن صار المظلومون ظالمين، العرب يبعدون، العرب يسجنون دون توجيه تهمة إليهم، العرب يحرمون من أن يرثوا أراضيهم وبيوتهم، ولا يسمح لأقربائهم بأن يقيموا في القدس. وليس لهم صوت ولا هناء في المدينة التي هي مع ذلك عاصمتهم الدينية». وتطرق إلى العواقب المعنوية لضم إسرائيل القدس إلى أراضيها واستشهد (العميد ساير) بالدكتور إسرائيل - شاهاك اليهودي الذي نجا من معسكر الاعتقال النازي في بلسن، والذي يعمل الآن أستاذاً في الجامعة العبرية، ويعارض السياسة الإسرائيلية - إذ وصف الضم بأنه (عمل لا أخلاقي ومجحف) - ودعا إلى الاعتراف بأن ما يجري حالياً من اضطهاد فئة لفئة أخرى سيسممنا جميعاً، ونحن اليهود قبل غيرنا. وقال ساير: «إن معاملة إسرائيل للعرب تعكس ذلك الصدع المميت في صدر الإنسان الذي يثبت دائماً عند ذكر الله، ثم يتحول في اللحظة التالية إلى تزوير إرادته»[١].

---

(١) جهاد شعب فلسطين / بسام العسلي ٨

ومن أقوال المعارضين للصهيونية نذكر مايلي على سبيل الإيجاز وما أكثرهم.

١- الحاخام الأمريكي (وايز) أكد هدفه عام ١٨٨٣ بقوله: «نحن مواطنو الولايات المتحدة المؤمنون بموسى والأنبياء نشكل جزءاً عضوياً من الأمة، وليست لنا مصالح دنيوية تختلف عن مصالح وآمال أولئك المؤمنين بالسيد المسيح وتلامذته».

٢- السيد اليهودي الإنكليزي (أدوين مونتاغو) الذي كان يشغل منصب وزير الدولة لشؤون الهند عندما قال: «لا يعادل القول بأن اليهودي الإنكليزي واليهودي المغربي ينتميان إلى أمة واحدة سوى بانتماء الإنكليزي المسيحي والفرنسي المسيحي إلى أمة واحدة.

وبهذا انتفت المقولة الصهيونية بأن اليهود في العالم أمة واحدة».

٣- الأستاذ اليهودي الأمريكي الشهير (موريس كوهن) إذ قال في محاضرة له[١]: «يستطيع اليهودي أن يتمتع بالحرية الشخصية والدينية والمساواة في ظل الأنظمة الديموقراطية، أما الصهيونية فإنها تحد من الحرية الشخصية لليهود أينما كانوا، وذلك حينما تحاول إقامة كيان قومي للشعب اليهودي، أو تمنح العضوية في هذا المكان. إن التناقض بين القومية الصهيونية والحرية الشخصية، هو تناقض قائم ولم يتغير منذ أيام (آحاد هاعام) وأن أكثر ما يخشاه

(١) الصهيونية العالمية وخطرها على البشرية / المحامي سليمان حاتم ١٥٨

الصهيونيون في الحقيقة هي الحرية. إنهم غير مطمئنين في قرارة أنفسهم إلى تفهم قدرة اليهودية العيش في جو منفتح مليء بالتسامح الكامل والحرية التامة».

٤- مسترتابلوت: وكيل وزارة الخارجية الأمريكية، أعلن في بيان موجه إلى المجلس الأمريكي اليهودي جاء فيه. «أن وزارة الخارجية لا تقر بروابط قانونية وسياسية تقوم على أساس الرابطة الدينية، وبالنتيجة فمن الواقع أن وزارة الخارجية لا تعتبر مفهوم الشعب اليهودي عن مفاهيم القاموس الدولي»[١].

٥- الدكتور (يهودا ليون ماغنس) وهو أحد أعضاء المجلس الأمريكي اليهودي، ومؤسس الجامعة العبرية في القدس. إذ أدرك خلال عمله في فلسطين حقيقة الحركة الصهيونية وأهدافها، فقدم استقالته في الجامعة وألقى خطاباً في ٢٩/ ١٠/ ١٩٤٧ قال فيه: «إن الصهيونية حركة غاشمة ولا سامية، تعمل ضد مصالح اليهود، إنها حركة غاشمة، لأنها تريد فرض سلطانها على كل اليهود، وتزعم أنها تتحدث باسمهم، وهي حركة لاسامية لأنها باعتبارها حركة قومية تستغل كل القوميات لصالح القومية اليهودية المتعصبة. وأن نشاطاتها هذه تثير الشعور القومي للمجتمعات التي تستغلها. فهي تعرض اليهود لردات فعل دفاعية وشرعية من جانب هذه المجتمعات، وبذلك فهي تعمل بالنهاية ضد مصالح اليهود»[٢].

---

(١) من يجرؤ على الكلام ٤١٤

(٢) من يجرؤ على الكلام ٤١٤

٦- الكاتب اليهودي (آشرز في غرينسبرغ) وهو من أشهر معارضي هرتزل: ومما جاء في مقالاته: «إن مثل هذه الدولة التي يسعى هرتزل لتكوينها ستكون دولة يهودية تنشر الموت والمهانة لشعبنا، وهي لن تحقق القدر الكافي من السلطة السياسية التي تجعلها جديرة بالاحترام وستبتعد عن القوة الروحية الداخلية للعقيدة اليهودية، وإن هذه الدولة ستنشر الكرة بين جيرانها الأقوياء، ولن تحافظ على وجودها إلا عن طريق التحايل السياسي الدبلوماسي وعن طريق التزلف للدول الكبرى. وسيكون عندئذ أمة صغيرة وتافهة وأسيرة للدول الكبرى»[1].

٧- عقد مؤتمر للحاخامين اليهود في مدينة بتسبرغ في ولاية بنسلفانيا الأمريكية عام ١٨٨٥ أعلن في نهاية البيان: «إننا نعلن أن جميع القوانين الموسوية الحاخامية كتنظيم الطعام والطهارة واللبس قد جاءت في عصور وتحت أفكار غريبة عن حالتنا العقلية والروحية الحالية كلياً، إن هذه القوانين لا تستطيع أن تترك في اليهود روحاً قدسية وإن التقيد بها في أيامنا هذه سيعرقل فن الصعود الروحي المعاصر. إننا نعترف في هذه الحقبة من الحضارة العالمية المستندة إلى الفعل بالتوجه لتحقيق أمل إسرائيل».

* * *

(١) المصدر نفسه ٤١٥

الفصل الرابع عشر

محاكمة لبعض المصطلحات والمفاهيم المسيحية اليهودية المزورة

س: يدَّعي اليهود والصهاينة أن تاريخهم في فلسطين يرجع إلى خمسة آلاف سنة، وأن العرب لم يدخلوها إلا بعد الفتح الإسلامي.

ج: أرجع بعض الباحثين تاريخ اليهود زمن الأكديين في العراق. في حين أن الأكديين كانوا قد ظهروا قبل عصر النبي موسى بأكثر من ألفين وخمس مئة سنة. إذ إن الأكديين نزحوا من شبه جزيرة العرب إلى شواطئ الفرات حوالي ٤٠٠٠ سنة ق.م بينما أتباع موسى ظهروا في أواخر القرن الثالث عشر ق.م أي بعد الأكديين بـ ٢٧٠٠ سنة، وقد ربط آخرون من المؤرخين بداية تاريخ اليهود بزمن إبراهيم الخليل في حين أنهم لم يظهروا إلا بعد إبراهيم بسبع مئة عام. وربط فريق ثالث تاريخ اليهود بزمن الهجرات السامية العربية إلى الهلال الخصيب، وإنما هذه الهجرات حدثت قبل وجودهم بنحو ألفي عام.

لقد وقع هؤلاء جميعاً في هذه الأخطاء بسبب إهمالهم ملاحظة التسلسل الزمني الذي تعمد كتبة التوراة إهماله ليسهل عليهم ربط

تاريخهم بعهود قديمة سبقت وجودهم، فأدخلوا التشويش على ذهن القارئ، بحيث أصبح تائهاً بين العصور، لا يدري أهو في عصر إبراهيم أم في عصر موسى ويوشع أم في عصر اليهود. ومن أهم مقاصد هذا البحث هو، شرح الفارق الذي يميز بين عصر إبراهيم وبين عصر موسى واليهود، باعتبارهما عصرين منفصلين لا صلة لواحد منهما بالأخر. وكذلك التميز بين عصر موسى من جهة وعصر اليهود من الجهة الأخرى. وكذلك التميز بين التوراة التي أنزلت على موسى في القرن الثالث عشر ق.م وبين التوراة التي كتبها اليهود في الأسر بعد ثماني مئة عام من عهد موسى، وبعد ألف وخمس مئة عام من عهد إبراهيم ونسبوها إلى موسى وإبراهيم زوراً وبهتاناً[1].

س: ما المقصود بشعب الله المختار (لا سامية الأنا)؟

ج: لقد جاءت المصادر التوراتية تؤكد مفهوم شعب الله المختار، وقد صدَّق هذه المقولة الأوروبيون والأمريكيون بشكل عام، ولم يعرف هؤلاء مصدر هذه التسمية ومخاطرها الأزلية وزيف من كتبها وذلك بالبراهين التالية:

في أسطورة «أتكي ونظام العالم» السومريون، اعتبر السومرين أنفسهم صنف الشعب المختار، كما اعتبر جلجامش ابن السماء وأنكيدو ابن الأرض. ويبدو أن كتبة التوراة تأثروا بالسومرية،

---

(١) العرب واليهود في التاريخ د. أحمد سوسة ٨٢

فأخذوا منها شعب الله المختار، واعتبر اليهود أبناء الله مقابل الآخرين فاليهود حسب معتقدهم شعب الله المختار، لأن الله أرادهم أمة معينة مميزة في التاريخ.

كما أن اليهود خارج الخطيئة حيث إنهم شعب الله، وحيث الخطيئة دنيوية فهم خارج معادلة الشق الآخر من معادلة الخطيئة - العقاب - الندم الفرويدية. فكما تطال الخطيئة كل البشر باستثناء اليهود، فإن العقاب والندم الدنيويين لا يطالان غير اليهود فقط، بل وإزاء اليهود أيضاً باعتبارهم وكلاء الله الذين حملوا رسالته إلى البشر فما انتصحوا «البشر» فأطبق عليهم الماء من كل الجهات، وهلكوا نتيجة تمردهم وعصيانهم لشعب الله: فرعون وجيشه قوم نوح، وبخاصة كنعان الذي تركز عليه الأيديولوجية الصهيونية كمركز للعرب.

ويلحظ هنا أن التوراة التي قلبت المعنى الرمزي لـ هابيل وقابيل وفق رؤيتها الخاصة، قلبت أيضاً المعنى الرمزي للماء من معنى مزدوج في الأساطير السومرية والبابلية والمصرية إلى متعين بصورة أحادية هي صورة العقاب فقط. فكل رؤية جدلية أخرى تنسف هذا الضرب من الأيديولوجية التي يوافقها فصل المثالي عن المادي بصورة ميكانيكية، واعتبار المثالي مقدساً خاصاً باليهود والمادي دنيوياً عاماً يتعلق بالآخرين. وكما لاحظ فرويد، فاليهود مثل الشخص السوداوي الذي يتجه نقده الذاتي لا نحو ذاته بل نحو

الموضوع المبغض الذي امتصه واستدمجه في ذاته. وإذا كانت الأولى لا سامية الأنا اليهودية، صورة هابيل المتحول، فإن الثانية يهودية لاسامية الآخر تقدم نفسها بدلالة الآخر «قابيل» بصورة مماثلة للتحريض القديم الذي أدخلته التوراة على المناظرة السومرية (إينتن الفلاح وإيخيش الراعي) حيث نكشف أن القراءة الصهيونية الراهنة عن موقع اليهود في عالم اليوم الإمبريالي، صورة للقراءة اليهودية القديمة كتعبير عن هذا الموقع في عالم الأمس العبودي - الإقطاعي[١].

إن اللاسامية في الحقيقة ما هي إلا اختراع البرجوازية الأوروبية لحرف الصراع الاجتماعي الداخلي. كما دلت عليه قضية (درايفوس) وليس موقفاً أيديوجياً أو بيولوجياً ضد اليهود، بل إن الجماعات الصهيونية اعتبرت اللاسامية شرطاً لانتعاشها وتوظيفها لتبرير مشروعاتها الخاصة، ومما يثير الدهشة أن نجد هذا المثال للاسامية مطابقاً لمقولات المنظر الصهيوني جاكوب كلاتزكين الذي قال:

«نحن بإيجاز أجانب بحكم الطبيعة. إننا شعب أجنبي غريب في وسطكم ونريد أن نبقى كذلك. فبيننا وبينكم هوة من الخلاف لا يمكن ردمها».

«على المرء أن يبحث ويدقق في الأقطار الغربية ليلاحظ

---

(١) الأساطير المؤسسة ٤٤

اللاسامية لعبت دوراً كبيراً في استمرارية اليهودية، وفي إثارة المشاعر والحركات التي أدت إلى إعادة مولد قوميتنا...» حقاً أعداؤنا فعلوا الكثير لتقوية اليهودية في أرض الشتات.

ولم يتردد ابن غوريون في القول: «باستعداده لتدبير مجموعات خاصة من الشباب اليهودي لإثارة حملات الكراهية ضد اليهود في البلدان التي غرق فيها اليهود في رضا آثم عن النفس».

وتؤكد الوثائق والقرارات التي رافقت نشأة وتطور الفكرة الصهيونية، كم كانت هذه الفكرة مدينة للنشاطات والتصورات اللاسامية المقصودة، وأنها أي الصهيونية نشأت بدعم اللاسامية وليس بالرغم منها.

أطلقت تسمية (سامية) على الشعوب التي زعم أنها انحدرت من صلب سام بن نوح الواردة في التوراة. ولم يسبق لأحد أن انفرد بها وتفنن في توظيفها وكان أول من أطلقها بهذا المصطلح العالم النمساوي (شلوتزر) عام ١٧٨١م. فشاع استعمالها منذ ذلك الحين، وأصبحت عند الباحثين علماً لهذه المجموعة من الشعوب، فطبقها المؤرخون العرب بنظرية الاقتباس والتقليد، وقد ذهب المعنيون بلغات الشرق الأدنى إلى أن، هناك وجه شبه بين البابلية الأشورية والأكدية والكنعانية والعبرية والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وأمثالها. فهي بذلك تؤلف وحدة مشتركة كانت تجمع شمل هذه الأقوام، وأطلق على الأقوام المنبثقة من هذه

الوحدة (الجنس السامي) وعلى اللغات التي تكلمت وتتكلم بها هذه الشعوب (اللغات السامية)(١).

س: ما أسطورة الوعد (للأرض الموعودة؟).

ج: قالت السيدة فرانسواز سميث بتحقيق دقيق حول أسطورة الوعد في كتابها (الأساطير اللامشروعة): إن قراءة النصوص المقدسة للشرق الأوسط تكشف لنا عن أن كل الشعوب تلقت فيها وعوداً سببه آلهتها، تسمح لها فيها بسكنى الأرض بدءاً من بلاد النهرين حتى مصر.

- ففي مصر وعلى مسلة الكرنك التي أقامها تحتمس الثالث ١٤٨٠ - ١٤٧٥ ق.م نجد الإله يصرح: «إني أمنحك بقرار هذه الأرض بالطول والعرض، إني جئت وأعطيك الحق في سحق أراضي الغرب».

- في القصيدة البابلية لعملية الخلق، نجد أن الإله مردوخ يثبت لكل واحد حصته من الأرض.

- الحثيون ينشدون لارينا الإلهة الشمسية قائلين: «إنك تسهرين على طمأنينة السموات والأرض وتضعين الحدود للبلاد» وإن لم يتلق العبريون مثل هذا الوعد فعندئذ يكونون استثناء غرباء.

- إن الوعد الذي يتحدث عنه سفر التكوين لم يمنحه YAHWA

---

(١) الموسوعة الفلسطينية م ٢ / ٥٣١

الإله الذي دخل فلسطين مع الفئة المهاجرة، بل من إله الكنعانيين (EL) فالإله المحلي وحده مالك الأرض كان يستطيع أن يقدم لبعض القبائل حق الإقامة في الأرض.

- بعد أن تجمعت القبائل الرحل الرعوية والتي استقرت في الأرض وضمت إليها قبائل أخرى لتكوين شعب إسرائيل اتخذت الوعود القديمة بعداً جديداً وبدأ الوعد يتخذ منذ ذلك الحين بعداً سياسياً وعسكرياً وقومياً. وأنه لا مجال لأولئك المسيحين الذين يرون بأن وعود العهد القديم مبرر شرعي تضم أراضي فلسطين إلى دولة إسرائيل الحالية.

- توصل الخبراء إلى أن شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي سبقتها عند الكنعانين والبابلين والمصريين وشريعة حمورابي، إذ اقتبسها اليهود ومارسوها، ثم أدخلوها في كتبهم الرسمية.

- ثبوت كون اليهود غرباء دخلاء على فلسطين، وأن كل مايملكون من المقومات الثقافية، ومن ضمنها لغتهم وكتابهم المقدس، مقتبس من الحضارات الكنعانية والآرامية، وأن أسماء الأشخاص والأماكن في فلسطين هي من أصل كنعاني[١].

(١) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير، مروان الماضي، ١٠٥ - ١٠٧

تضليل المسيحية والاسلام لتحقيق أهداف الامبريالية والصهيونية

١ - تضليل المسيحية: تعمل الصهيونية والأصولية المسيحية على اندماج العديد من الأفراد بالمسيحية عن طريق التستر، وهمهم استقطاب ماسمي برجال البدع المسيحية الجديدة المتطرفة، وحتى يمهد هؤلاء المستترون المزيفون لأولئك الذين يناهضون المسيحية علناً.

وذلك لهدم المسيحية وسائر الأديان الأخرى وإيقاع العالم في هوة الفوضى والإلحاد والانحطاط الخلقي تنفيذاً للمؤامرة الصهيونية الكبرى في السيطرة والتوسع.

وفي (مؤتمر سيليربرنج) في سويسرا اشترك بعض رجال البدع المسيحية الجديدة المتطرفة. وفريق من ممثلي الهيئات الدينية اليهودية، وقرر المجتمعون مكافحة أعداء اليهود في العالم المسيحي. وقد قرر المؤتمر حذف الآيات والفصول الواردة في الإنجيل والتي تعلن غضب الله على شعب اليهود. وإزاء هذه الإيجابية من قبل القسوس المتخفين وراء سمات مسيحية، وهم في الواقع من صنع الصهيونية وعملائها، قرر إخوانهم من الحاخاميين والزعماء اليهود إلغاء العبارات والفقرات التي تحرض اليهود على التآمر والاعتداء على المسيحين من الكتب الدينية[١].

(١) المصدر نفسه ٢٠٥

إن هذا التقارب المصطنع ليس إلا خدعة من خدع الصهيونية يقصد بها إقناع الجماهير المسيحية في أوروبة وأمريكا بضرورة التعاون والعمل على إقامة دولة إسرائيل وتطويرها. لكن هذه النوايا لا تخفى على أولي العلم والمؤمنين الطيبين.

لقد امتد نشاطهم إلى رجال الدين المسيحي في العالم. وهاهو الدكتور رامزي رئيس أساقفة كاتتربزي في بريطانية يستجيب لطلب المجلس الرعوي للتفاهم المسيحي اليهودي في لندن فيقول: «إنه من الخطأ الإنحاء بالائمة على اليهود في صلب المسيح. وقد كان الحاكم اليهودي لا يقل عنه مسؤولية ما حدث» لكن القس عقل الرئيس الروحي للكنيسة الإنجليكانية في عمان، ردَّ على أقوال مايكل رامزي بقوله: «إن تصريح الدكتور مايكل رامزي رئيس أساقفة كانتربري هو محاولة رخيصة لرفع لعنة صلب السيد المسيح عن اليهود».

وأقل مايمكن أن يقال في تصريح الدكتور رامزي ، أنه مخالف لنصوص المراجع الدينية المسيحية، ومناقض لوقائع التاريخ الكنسي المعترف به من جميع المسيحين منذ قيام المسيحية إلى يومنا هذا[1].

---

(١) أزمة فلسطين ٢٠٦

تزيف الإعلام

إن الخبر والواقعة والصورة ليست سلعاً فحسب، ولكنها أسلحة يوظفها السياسيون للتلاعب بآراء العامة يحملونها على قبول المذابح كما فعلت شبكة CNN الإمريكية التي احتكرت الأخبار احتكاراً مطلقاً في أثناء حرب الخليج الأولى واحتلال العراق ثانياً.

وإليك بعض الحقائق التي أعطاها الجنرال (غالو) في مقدمته لكتاب (جاك ميرلينو).

بينما الرئيس بوش الأب يتمنى أن يسانده مواطنوه في عملية تدمير العراق التي كان يعتزمها، وبينما كان الكويتيون يأسفون لقلة اهتمام أمريكا حيال مصيرهم، موّلت البلدان البترولية في شبه جزيرة العرب وكالة للعلاقات العامة فيما وراء الأطلسي هي (هيل ونولتون) وذلك لتشن حملة في صالح حرب تحرير الكويت استخدمت الوكالة أنجح الحيل، الحيلة التي ستعبئ أمريكا بأسرها: الموت المتعمد للمولودين الجدد الذي روته لاجئة شامية أفلتت بأعجوبة من أيدي الأفظاظ العراقيين. كتمت اسمها خوفاً من الانتقام الذي يمارس إزاء أسرتها التي ظلت بين أيدي المحتلين. فروت بالتفصيل كيف أن العراقيين اختطفوا اثنين وعشرين مولوداً من الحاضنات ورموهم أرضاً وتركوهم يحتضرون. روت ذلك كله والدموع تنهمر من عينيها.

هذه الدقائق القليلة من التلفزيون هزت نفوس الأمريكيين حتى أنهم طالبوا بالانتقام، واستبعاد العراق من بين الأمم، وبررت سلفاً المذابح التي تلت، والمقاطعة التي قضت على نصف مليون عراقي وبخاصة الأطفال. وما إن انتهت الحرب حتى علم أن (هيل ونولتون) تلاعبت بـ ٢٥٠ مليوناً من الأمريكيين لقاء عشرة ملايين دولار بفضل الصورة المتلفزة: إذ كانت اللاجئة ابنة سفير الكويت في الأمم المتحدة. أما قصة الأطفال الذين انتزعوا من الحاضنات فكانت من اختراع الوكالة. وقد أكد صحتها الرئيس جورج بوش نفسه، لأنه استشهد بها مرات عدة في مجلس الشيوخ وفي التلفزيون والصحافة[١].

وفيما يتعلق بمهمة التليفزيون الثانية وهي الترفيه، فإن الإخراج يخضع لقوانين السوق نفسها. وفي هذا الميدان كان استغلال أدنى الغرائز (الغرائز السياسية) غرائز الدم والجنس هو القاعدة.

لاحظ سقراط قديماً أن الطفل لا يحار في الاختيار بين حلوى الحلواني ودواء الطبيب، لكن سادة العرض التلفزيوني لا يكتفون باعتبار مشاهديهم كالأطفال.

وهذا يعني برأيه أن البرجوازية تحقق ذاتها في اليهودية، فتصبح يهودية (حسب بروتوكولات حكماء صهيون) ويصبح هيكل

---

(١) حول حرب دينية (جدل العصر) ٧٦

سليمان كعبة الإمبريالية العالمية الأولى، بل إن اليهودية تحقق ذاتها في البرجوازية العالمية لتذوب وتصبح مسيحية، وإلا لا يبقى لمشروعها الخاص أي معنى[(١)].

وضع إسرائيل في المنطقة

إن تجربة إسرائيل في المجالات المختلفة تؤكد أنها لا يمكن أن تعطي اليهود تجربة خاصة خارج نطاق معطيات ومقتضيات وحاجات الإمبريالية العالمية في المجالات التي تشكل كل كيان.

١- في المجال الاجتماعي حيث يبرز التكوين غير القومي الخاص.

٢- في المجال السياسي حيث تبرز إسرائيل مشروعاً غير قابل للتعايش مع المحيط انطلاقاً من موقعه داخل الاعتبارات الإمبريالية في الشرق الأوسط.

٣- في المجال الإيديولوجي: حيث تبرز الإيديولوجيا الطائفية للوظيفة الكولونيانية[(٢)].

١- تحاول الصهيونية ربط بعض الأسماء العادية بمصطلحات ومفاهيم دينية حتى يقبلها الناس بكل العواطف والرضا من دون اعتراض أو نقاش مثل (علم إسرائيل والنشيد) أرض إسرائيل (إريس إسرائيل) كنيست (بيت هاكنيست) غرق السفينة باتريا

---

(١) دورة الدين اليهودي، موفق محادين، ١٣٠

(٢) المصدر نفسه ١٣١

«الركاب فضلوا الموت على فراق الوطن، بينما في الحقيقة فجّرها بعض الضفادع البشرية من الهاجاناة في ميناء حيفا» حتى يحرجوا حكومة الانتداب وتتراجع عن قرارها في الكتاب الأبيض الذي كان يحد من الهجرة.

إن جوديت أبستن رئيسة قسم الاستعلامات والعلاقات العامة للمجلس الصهيوني الأمريكي تقول: «إن مهمة قسم الاستعلامات ينصب بشكل خاص على الاتصال بالجماهير ومع قادة الرأي، بغية إنشاء صورة محببة عن إسرائيل والحركة الصهيونية. كما مهمة لجنة الشؤون الدينية بذل كل الجهود للإكثار من أصدقائنا في نطاق المجتمعات الكاثوليكية والبروتستانتية، والاجتماع برجال الدين وأساتذة الجامعات، والعمل في حقل الإعلام (صحافة وتلفزيون بقيادة الدكتور يهودا ناوخ)[١].

٢- تشويه سمعة المسلمين: لقد التقت مصالح الرأسمالية الغربية والأمريكية بوجه خاص مع مصالح الصهيونية التي تتحكم بالرأسمال الكوني في تأليب العالم على الدين الإسلامي والمسلمين، بعد أن قضوا على العالم الاشتراكي في الحرب الباردة، واستغلال الإسلام في محاربة الشيوعية آخرها مساعدتهم لابن لادن والطالبان في إخراج الاتحاد السوفييتي من أفغانستان. وهاهم الآن يوظفون إعلامهم بوصف الإسلام بالإرهاب، مستغلين بعض الأحداث

(١) من يجرؤ على الكلام ٣٩٩

الإقليمية هم وأعوانهم واستخدامها لصالح مطامعهم ونفوسهم الشريرة. ولم يتطرقوا إلى التطرف والتعصب والإرهاب الإسرائيلي في فلسطين المحتلة، وفي بلاد كثيرة غيرها.

إن همهم الأساسي هو وجود عدو يقاتلونه، وإن تعذر وجود ذلك العدو فإنهم يخلقونه ويجسدونه. حتى يبقى العالم مضطرباً بحاجة إليهم في المعدات والقروض والسلاح ثم الحماية. كما حدث في مسرحية احتلال العراق والمسوغات الكاذبة التي نشروها في العالم أجمع والتي ما لبثت أن كشفت الأحداث السريعة عن بطلانها.

الهيمنة الأمريكية في توظيف هيئة الأمم المتحدة لمصالحها

في الشهور التي سبقت الحرب على العراق عمت المظاهرات في شوارع عواصم العالم تندد بالسياسة الأمريكية، وبشكل خاص في بريطانية والولايات المتحدة الأمريكية، رافعة الشعارات حول تفرد أمريكا بقرار الحرب ضاربة عرض الحائط بالقوانين الدولية. لم تكن واشنطن تلقي بالاً أو اهتماماً إلى الاعتراضات الدولية. إذ كان يحكم تفكيرها منطق واحد هو الهيمنة الكلية واستكمال نشوء الإمبراطورية الأمريكية والوصول إلى الألفية التوراتية الثانية[١].

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، بدأت أوروبة تضمد جراحها، وترمم الدمار الشامل في بنيانها، بمساعدة مشروع

(١) الولايات المتحدة الأمريكية ٩٣

مارشال الاقتصادي الذي استفرد بها، واحتواها منذ ذلك الحين، ولم يعد أمامها من قوة في العالم والاتحاد السوفييتي لم يمتلك بعد القنبلة الذرية، وليس من المستبعد أن تخطط أمريكا بضرب الشيوعية والقضاء عليها، ولو بضرب موسكو بالذات، ولم تمض فترة زمنية قصيرة حتى استطاع الاتحاد السوفييتي امتلاك الذرة، وهنا تبدد حلم الإمبراطورية الأمريكية الصاعدة، وبدأت الحرب الباردة بين القوتين الأعظم وتسابقتا بالتسلح وإقامة الأحلاف، ونشطت السياسة الأمريكية الخارجية ببناء قواعد عسكرية في بلاد بلغت في الستينيات ستين بلداً، بعد أن راح يتدخل في شؤونها الداخلية مسانداً هذا البلد أو ذاك وفق ما يتلاءم مع سياسة واشنطن، وجابت أساطيلها بحار العالم ومحيطاته وغطت السماء الكوني بالأقمار التجسسية، وانهار الاتحاد السوفييتي في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين لقد سقط الاتحاد السوفييتي وغابت ملامح الحرب الباردة، ورغم ذلك توسع البنتاغون في إنتاج وتطوير الأسلحة تطويراً كبيراً طمعاً في الكسب المادي، وبالتالي إنشاء الإمبراطورية الأمريكية العتيدة مما خلق جواً من الكراهية والحقد في العالم تجاه واشنطن، حتى في البلدان التي تعتبر حليفتها مثل اليابان وإيطالية وكورية الجنوبية، فلماذا وجود القواعد العسكرية في إيطالية وألمانية والبرتغال وتركية واليونان وفي بريطانية وأيسلندة[1]؟ وكذلك في دول الخليج حالياً؟

---

(١) الأساطير المؤسسة ٤٥

إن أعمدة البنتاغون هي المالك الأقوى للشركات الأمريكية النفطية والسلاحية، وقد اعتمد هذا الجهاز العسكري على ضباطه المتربعين أو الذين تربعوا على قيادته، وزادوا من نفقات إنتاج السلاح والمتاجرة به، ونرى العديد من الأمريكيين وحتى المتقاعدين منهم يملكون أسهماً في شركات تجارة السلاح الذي يصدرونه إلى ١٤٠ بلداً إذ بلغت أرباحهم ٨٠٠ مليار دولار في أكبر تجارة أسلحة عرفها التاريخ[١].

قال المؤلف الأمريكي البروفسور في جامعة كاليفورنيا في كتابه (الهجوم الارتدادي) وهو الاسم المجاز الذي أطلقه جنرالات البانتغون على عملياتهم الأخطر، التي تبقى في إطار السرية التامة عن الشعب الأمريكي وعن الكونغرس، ولا يتم الإعلان عنها إلا قبل البدء بتنفيذها بوقت قصير، بذريعة مصالح الشعب الأمريكي والحفاظ على أمنه الداخلي.

تدعي واشنطن أنها تسعى لنشر الرخاء في دول العالم وأنها تتدخل باستمرار لنشر الديمقراطية والحرية وإنعاش اقتصاد أي بلد.

«لقد ثبت مع الأيام زيف هذه الدعاوى فإندونيسية وماليزية وسينغافورة وتايلاند شهدت طفرة اقتصادية لا فتة، ولما أحست واشنطن أن هذا الازدهار يضر بمصالها أحدثت في عام ١٩٩٧ هزة زلزلت أركان هذه الاقتصاديات».

---

(١) المصدر نفسه ٤٦

إن آراء المسؤولين الأمريكيين هذه ليست هي الوسائل البناءة لقيام إمبراطورية أمريكية للقرن الواحد والعشرين، لكنها مدعاة لرد كره وعداء ينمو عالمياً خاصة على مستوى الإرهاب الذي ابتدعته تلك الإدارة الأمريكية، وركزت عليه متضامنة مع الكيان الصهيوني الذي يسعى إلى تدمير العالم. وهناك أعداد كبيرة من رجال السياسة والحروب في الولايات المتحدة يصفون هذه الإمبراطورية بأوصاف شتى. فهي برأي معلق (لوس أنجلوس تايمز) بأنها معتوهة وغريبة الأطوار تتمتع بقوة عسكرية من دون أن يكون لها دماغ بقوة صاروخ كروز. وهي في رأي مسؤول آخر، لا تقدّر قيادة العالم الحر.

لقد انفق البنتاغون على بناء ترسانة نووية كلفتها ٥٥ ألف مليار دولار حسب معهد بروكتز، وفي عهد كلنتون زيدت ميزانية بناء الغواصات النووية التي لا عمل لها فعلياً سوى التجوال في مياه البحار لمراقبة شواطئ العالم. يسأل المؤلف جونسون: متى ننهي هذه الإمبراطورية القائمة على هذه القواعد غير السوية.

يسأل المؤلف ويجيب: ليس المهم التساؤل (متى) ولكن المهم (كيف) ستنتهي هذه الإمبراطورية؟

وهي تقسم على قبر مؤسس الصهيونية السياسية ثيودور (هر تزل) أن تقتل أي إنسان يعيد للعرب أي جزء من الأرض المقدسة في يهوده والسامرة (أي الضفة الغربية).

إن اغتيال رابين (كالاغتيال الذي هيأه غولدشتاين) ينطوي في إطار المنطق الأسطوري للأصوليين الصهاينة: وقال ينثال عمير: إن الأمر بقتل رابين جاءه من الله تماماً كما كان يحدث في أيام يوشوع.

لم يكن الإرهابي هذا واحداً من الهامشيين في المجتمع الإسرائيلي: ففي يوم اغتيال إسحاق رابين كانت عناصر كريات أربع ترقص من الفرح مرتلة بعض مزامير داود حول القبر الذي بني على شرف (باروخ غولدشتاين).

لم يكن إسحاق رابين أكثر من هدف رمزي لا كما ادعى بيل كلنتون في أثناء حفل تشييعه لأنه كان مستعداً أن يناضل طوال حياته من أجل السلام. وكان رابين قائد قوى الاحتلال في بداية الانتفاضة، وهو الذي أمر بكسر أذرع الأطفال في أرض فلسطين الذين لم يكن لهم سوى سلاح الحجارة القديمة الموجودة في بلدهم ونهضوا للدفاع عن أرض أجدادهم.

لكن إسحاق رابين فهم بما فيه من حس واقعي (كالأمريكيين في فيتنام أو الفرنسيين في الجزائر) أنه ما من حل عسكري نهائي ممكن عندما يجابه أي جيش لا جيشاً آخر بل شعباً بكامله، ولم يتعظ شارون وحزبه بما يحدث من استخدام القوة ضد هذا الشعب الذي تحدى كل أنواع العنف بانتفاضته الأخيرة التي مضى عليها حتى الآن أربع سنوات رغم ما يتعرض له من دم مسفوك وأرض محروقة وحصار مزمن.

كان إسحاق رابين ضحية بعد آلاف من الفلسطينيين لأسطورة (الأرض الموعودة)، وهذا مبرر قديم العهد للنزعات الاستعمارية الدائمة[١].

إن الأسطورة المتكررة في التاريخ وتوظيفها السياسي، تخلق عند القارئ التباساً دينياً وسياسياً. وإن نقد التأويل الصهيوني التوراتي للأفكار التاريخية، ولاسيما (أسفار أشعيا وصموئيل والملوك) لا ينطوي البتة عما أعلنته عن تضحية إبراهيم كنموذج أبدي يتجاوز الإنسان بأخلاقياته المؤمنة ومنطقة الهش باسم قيم مطلقة غير مشروطة تبرز نسبية تلك الأخلاقيات وذلك المنطق، كما (أن الخروج) يظل رمزاً للانعتاق من جميع العبوديات ولنداء الذي لا يقهر نداء الله للحرية.

وإنما ما ننبذه هو القراءة الصهيونية - المسيحية المحافظة القبلية القومية لهذه النصوص حين تقلص فكرة (الشعب المختار) من إله متحزب ومتحيز (فهو إذن وثن) مبرر سلفاً جميع أنواع السيطرة والاستعمار والمذابح، وكأن ليس في التاريخ من تاريخ (مقدس) من محاضرة الحاخام المربيرغر Elme Barger الرئيس السابق لرابطة الدفاع عن الرابطة اليهودية في الولايات المتحدة.

ليس من المقبول لدى أي إنسان ذلك الإدعاء بأن الزرع الحالي لدولة إسرائيل (في الأرض العربية) يمكن أن يكون تحقيقاً لنبوءة

---

(١) المسيح اليهودي ونهاية العالم ٩٠

التوراة وعلى ذلك فإن كل الأعمال التي يقوم بها الإسرائيليون لإقامة دولتهم وللإبقاء عليها أعمال لا يصادق عليها الله مباشرة. إن السياسة الحالية لإسرائيل قد قضت على الأقل، بل طمست الدلالة الروحية لإسرائيل (المعنى الروحي للوجود الإسرائيلي).

وهناك عنصران أساسيان من عناصر التراث النبوي يمكن توضيحهما.

وأول ما نقول هو أنه عندما أشار الأنبياء إلى استعادة دولة إسرائيل، فإن ذلك لم يكن الأرض التي تملك بذاتها سمة القداسة فالمعيار المطلق الذي لا نقاش فيه هو إعادة أو استعادة الميثاق مع الله، على حين أن الذي قضى على هذا التحالف هو الملك وشعبه. ويقول النبي ميخا هذا الكلام بكل وضوح: «أصغوا إلي يا رؤساء بيت يعقوب وقادة بيت إسرائيل، أنتم الذين تكرهون الخير وتحبون الشر. والذين ستبنون صهيون بالدم والقدس بالجريمة، وجبل المعبد مقراً عالياً للوثنية» (ميخا ٣/ ١-١٢).

إن الشعب الذي استعاد استقراره في صهيون ملزم بواجبات العدالة والاستقامة والوفاء للتحالف مع الله. وصهيون لا يستطيع انتظار ردة الحياة إلى شعب يعتمد على معاهدات وتحالفات ونسبة التسلح كبيرة أو على تراكم عسكري يحاول أن يتفوق على جيران إسرائيل.

فالتراث النبوي يكشف بوضوح أن قداسة الأرض لا تتعلق

بثرائها ولا بشعبها أو بمجرد حضوره ووجوده على هذه الأرض.

إن الشيء المقدس وحده والجدير بصهيون، هو الوفاء للتحالف مع الله الذي يعبر عن نفسه في سلوك شعب إسرائيل.

إن الحكم الجماعي الصهيوني الذي يحاول أن يخضع كل الشعب اليهودي، ولو تم ذلك بالعنف والقوة، يجعل منه شعباً كسائر الشعوب ومثل أي شعب من الشعوب.

إن يئال عمير قاتل إسحاق رابين ليس إنساناً غوغائياً ولا هو بالمجنون، ولكنه النتاج الطبيعي للتربية الصهيونية: إنه ابن حاخام وطالب متميز في الجامعة الدينية بارإيلان على مقربة من تل أبيب ربي على تعاليم المدارس التلمودية، وجندي من النخبة في الجولان، يملك في مكتبته ترجمة حياة باروخ غولدشتاين «ذلك الرجل الذي قتل منذ مدة غير طويلة في الخليل ٢٧ عربياً يصلون في المسجد»، أي في قبر كهنة إسرائيل (بطاركتها). وكان يستطيع أن يرى في التلفزيون الإسرائيلي ذلك التقرير الذي كتب حول جماعة (محاربي إسرائيل)[١] Eyal سوى تاريخ العبرانيين والفكرة هنا هو نزع صفة القداسة عنها. فهذه الأرض كأي أرض أخرى ليس أرضاً موعودة فقط، بل أرضاً محتلة مثل أي أرض تقع تحت الاحتلال.

وليس المقصود هنا إعادة التاريخ إلى مالا نهاية بطلقات المدافع

(١) حول حرب دينية ١٥٦

وهدير الدبابات وزئير الطائرات والصواريخ في تدمير الأخرين، بل أن يطلب ببساطة من الجميع احترام القانون الدولي والعمل على تنفيذ قررات الأمم المتحدة انطلاقاً بتقسيم فلسطين حسب قرار مجلس الأمن ١٩٤٧ ومن ضمنها الشروط التي فرضت على إسرائيل وقبولها في هيئة الأمم المتحدة ١٩٤٨ :

١- حق عودة اللاجئين إلى أراضيهم.

٢- عدم المساس بوضع القدس.

٣- احترام الحدود المثبتة في قرار التقسيم ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧.

وفي الأناجيل: الأب الذي يهب الحياة هو الأب للجميع دون تمييز بين المختارين والمبعدين، بين الأطهار والأنجاس.

واقتداء بيسوع صرح وهو يدخل إلى منزل قائد المئة (كورنيليوس): «أنتم تعلمون أنه محظور على اليهودي أن يخالط أجنبياً أو يدنو منه. أما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن أحد إنه نجس أو دنس» (أعمال الرسل ١٠-٢٨) ويضيف «في الحقيقة قد علمت أن الله لا يحابي الوجوه، بل إن من اتقاه في كل أمة وعمل البرّ يكون مقبولاً عنده (أعمال الرسل ١٠-٣٤-٣٥) وهذا يقضي على امتيازات الشعب المختار الذي يعطيه الله النصر على كل شعب لا يتبعه ويأمره بإرادته.

* * *

جنوب قلعة رباح ولكنه عاد يحمد بن ذى النون وغدر بحليفه ابن اندليس حليفه فقتله وأرسل رأسه إلى الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) فقام الأمير عبد الرحمن برفع رأسه على باب السدة [١].

ثورة خليل وسعيد ابنا مهلب [٢] :

فى الوقت الذى اضطربت فيه الأمور فى كورة البيرة من أعمال غرناطة ، تمرد خليل وسعيد ابنا مهلب ، يقول ابن عذارى [٣]: وثار ابنا مهلب من وجوه قبائل البربر بكورة إلبيرة ؛ وهما خليل وسعيد ، ثارا ثورة نظرائهما بجهتهما ، " فاستولى خليل على حصن قرنيرة Cor-dela أما سعيد فتمكن بدوره من الاستيلاء على حصن أشبرغيرة Espanaguera[٤] وعلى الرغم من ثورتهما على الأمير عبد الله فقد دانا له بالطاعة فولاهما ما بأيدهما ، وقد كان لهما الفضل فى محاربة عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة ، فلما مات خليل قام أخوه سعيد بأمر الحصن إلى أن توفى أيضًا تاركًا أولاد له . فلما كانت أيام الأمير عبد الرحمن ابن محمد (الناصر) استنزل أولاد سعيد بن مهلب فيمن استنزل من الثوار فقام بهدم حصونهم وتم ذلك فى ٣٠٩هـ / ٩٢١م [٥]. يقول ابن عذارى[٦] " واستنزل بنو مهلب من حصونهم المعروفة بقرذيرة وإشبرغيرة وغيرهما ، وهدم جيمعها " .

---

١ – هو الباب الرئيسى لقصر الخلافة وترجع شهرة هذا الباب إلى أنه كان مخصصًا لشنق أو صلب الخارجين عن طاعة الدولة ، انظر ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١٦ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق : عبد الرحمن الحجى ، ص ١٤٢ : ١٤٣ ، المقتبس ، طبعة شالمتيا ص ٥٤ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ١ ، ص ١٩١ : ١٩٢ ، أبا الخيل : الأندلس فى القرن الثالث الهجرى ، ص ٢٨٠ : ٢٨١ .

٢ – ينتسب بنو المهلب إلى قبيلة كتامة البرنسية عنهم انظر ابن حزم : جمهور أنساب العرب ، ص ٥٠١ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٥٦ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ٨٤ .

٣ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٧ .

٤ – هما حصنان يقعان على مقربة من غرناطة .

Levi Provencal, Histoire, Vol. I, p. 319 .

٥ – ابن حيان : المقتبس ، طبعة ملشور أنطونية ، ص ٣١ : ٣٢ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، نفس الصفحة ، سالم : المرجع السابق ، نفس الصفحة ، حمدى عبد المنعم : نفس المرجع والصفحة ، أبا الخيل: نفس المرجع والصفحة .

٦ – ابن عذارى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٨١ .

ثورة زعال بن يعيش بن فرانك بن لب بن خالد النفزاوى(١):

ثورة زعال بن يعيش بن فرانك بن لب بن خالد النفراوى ، ثار على الأمير عبد الله فى حصنه المنيع أم جعفر بالقرب من ماردة(٢) مكان زعال مستقلاً فى هذا الحصن استقلالاً جزئيًا ، يظهر لطاعة للإمارة الأموية فى قرطبة(٣) . ولقد لعب زعال بن يعيش دورًا هامًا فى ثورة ابن القط(٤) وظل زعال بن يعيش يسيطر على حصن أم جعفر قرابة عشرين عامًا ، فلما توفى خلفه ابن عم له اسمه عبد الله بن عيسى بن قوطى ، فمكث حاكمًا على الحصن مدة خمسة أعوام لكنه استنزل أيام الأمير عبد الرحمن بن محمد (٥).

---

١ – ينسب إلى قبيلة نفرة البربرية ، انظر مجهول : مفاخر البربر ، ص ٧٦ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠٠ ، ابن حيان : المقتبس ، نشر ملشور أنطونية ، ص ٢٣ .

٢ – حصن بالأندلس من أعمال ماردة : ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٢٥٠ .

٣ – ابن حيان : المقتبس ، تحقق ملشور أنطونية ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٥٧، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر ، ص ٧١ .

٤ – هو أبو القاسم أحمد بن معاوية بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية وكان قد انتزى على أيام الأمير عبد الله ودعا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وادعى أنه المهدى ، فالتفت حوله جموع غفيرة من البربر وكتب إلى ألفونسو الثالث ملك أشتورش وجليقية رسالة يدعوه إلى الإسلام وينذره بالويل إذ أبى ، وكان ألفونسو يومئذ على مقربة من سمورة ، فسار إلى لقاء المهدى وقواته ودارت معركة بن الطرفين هزم فيها النصارى أولاً ولكن حدث أن أنسحب زعماء البربر ومنهم زعال بين يعيش وفيهم قوائم خشبية من تفوقه وغدره ومحمد ابن القط ، ثم نشبت بينه وبين النصارى موقعة ثانية قاتل فيها له حتى قتل ومزقت قواته وكان ذلك فى رجب سنة ٩٠١م راجع تفاصيل حركة ابن القط فى ابن حيان : المقتبس ، ص ١١٣ ، ١٢٣ ، ص ١٣٤ ، ص ١٣٦ ، ص ١٣٨ ، ص ١٣٩ .

– ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٦٩ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٦٢٤ – ص ٦٢٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٠ ، ص ١٤٤ ، عنان : دولة الإسلام أن الأندلس ، العصر الأول ق١ ، ص ٣٤٥ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر ، ص ٧٢ ، ص ٧٥ .

Dozy : Histoire, Vol, II, p. 132 - 134 .

٥ – ابن حيان : المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٩ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٥٧ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر ، ص ٧٢ – ص ٧٨ ، أبا الخيل : الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، ص ٢٨٨ – ص ٢٨٩ .

ثورة عمر بن مضم الهترولى المعروف بالملاحى (١) :

كان جنديًا لعامل كورة جيان(٢) ولكنه غدر بسيده ووثب عليه وقتله واستولى على قصبة جيان ، وسرعان ما تحالف الملاحى مع سعيد بن هزيل(٣) الثائر بحصن المنتلون(٤) من أعمال جيان فلما عاث الملاحى فساداً وانتشر شره سير إليه الأمير عبد الله بن محمد قائده أحمد بن محمد بن أبى عبده الذى لجأ إلى حيلة ماكرة للوقيعة بين عمر الهترولى وخليفة سعيد بن هزيل فأخبره بعزم الهترولى على الغدر به واقترح أحمد بن أبى عبده على سعيد بن هزيل أن ينسحب بجنوده عند نشوب القتال بين جند الإمارة وبين جند الهترولى ، فاستجاب ابن هزيل لطلب ابن أبى عبده ، فلما التقى الجيشان انسحب ابن هزيل بجيوشه مما أدى إلى هزيمة الهترولى وارتداده إلى القصبة فلما اشتد الحصار طلب الأمان ، فأمنه القائد أحمد بن أبى عبده وقدم به إلى قرطبة وذلك فى عام ٢٩٠هـ / ٩٠٢م (٥).

ثورة محمد بن عبد الكريم بن إلياس :

ينتسب محمد بن عبد الكرم بن إلياس إلى قبيلة مغلية البربرية البترية(٦) وكان والده عبد الكريم بن إلياس من موالى الدولة الأموية إذا كانت أحد جنود الأمير المنذرين محمد بن

---

١ – ينتسب إلى بربر قرية الملاحة من كورة حيان ولذا عرف بالملاحى ، انظر : ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور أنطونية ، ص ٢٥ ، سالم : تاريخ المسلمين واثارهم ، ص ٢٥٦ .

٢ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٦ .

٣ – ثار سعيد بن هزيل بحصن المنتلون Monteleon فبنى الحصن وعمره فبعث إليه الأمير عبد الله القائد عبد الملك بن عبد الله بن أمية ، فأذعن بالطاعة ثم مكث عنده وتحالف مع بن حفصون وقد استنزله الأمير عبد الرحمن بن محمد وأقام على حصن المنتلون عاملاً من قبلة هو أحمد بن عبد الوهاب ، فثار عليه أهل الحصن وطلبوا عودة أميرهم سعيد بن هزيل ، فأقره الناصر على الحصن فهدأت أحوال أهل الحصن ، راجع : ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور أنطونية ، ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٥ .

٤ – حصن من أعمال جيان يقول البكرى " وبنواحى المنتلون يكون البرباريس العجيب " البرباريس نوع من النبات ورد عند القزوينى ، انظر البكرى : جغرافية الأندلس ، ص ١٢٦ .

٥ – بن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٦ ، ابن حيان : المقتبس ، نشر ملشور أنطونيا ، ص ١٣٩ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٥٦ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ٨٢ ، ص ٨٣ .

٦ – العذرى : ترصيع الأخبار ، مدريد ، ص ١١٣ .

عبد الرحمن ، فلما توفى الأمير المنذر عام ٢٧٥هـ / ٨٨٨م ببشتر[١] وهو يحاصر عمر بن حفصون[٢] انسحب عبد الكريم ابن إلياس إلى كورة شنونة ، فلما انسحب العرب من قلعة ورد[٣] . دخلها إلياس ، بقومه وأعلن تمسكه بطاعة الأمويين[٤] ، وبعد وفاة عبد الركريم بن إلياس ، تولى ابنه محمد حكم القلعة ولكنه لم يلبث أن ثار على حكومة قرطبة منتهزًا فرصة سوء الأحوال الداخلية . ولكن الأمير عبد الله بن محمد دعاه إلى الطاعة مقابل أن يكون حاكمًا مستقلاً ذاتيًا بتلك القلعة مقابل الولاء والطاعة لحكومة قرطبة[٥] وعندما تولى عبد الرحمن بن محمد الإمارة أقر محمد بن إلياس على قلعته ولكن فى سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م ، استنزل عبد الرحمن الناصر زعماء الثورة فى كورة شنونة وكان من بينهم محمد بن الكريم بن إلياس ، يقول بن عذارى[٦] أنه " امتنع بقلعة ورد من كورة شنونة وسعى وتمادى حتى استنزله الناصر فيمن استنزله من الثوار ومات بقرطبة " .

---

١ – " ببشتر بالضم ثم الفتح وسكون السين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان وبالإسبانية Bobostrs ببشتر حصن منيع بالأندلس من أعمال كورة رية (مالقة) وبينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً ويقول الحميرى أنه كثير الديارات والكنايس والدواميس : انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٧ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ص ٣٣٣ ، الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٥٣٧ ، ص ٥٧ طبعة بيروت .
Aguads, Bleye : Manual De Historie De Espana, Madrid, p. 417 .

٢ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١١٤ .

٣ – قلعة ورد هى إحدى القلاع الحصينة فى كورة شنونة يقول بن سعيد " ولهذه القلعة عمل جليل كثيرة الخير والجباية " .

٤ – العذرى : المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور أنطونية ، ص ٢٤ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٣٦ .

٥ – ابن حيان : المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ١٣٩ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى عصر الإمارة ، ص ٨٢ .

٦ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ١٣٦ .

الفصل الخامس

عبد الرحمن بن محمد وتوحيد الأندلس

كانت أحوال الأندلس فى السنوات السابقة على ظهور الخلافة(١) تعانى من الأوضاع التى أشرنا إليها وهى لا تكاد تختلف كثيراً عن أحوالها فى السنوات القليلة التى سبقت ظهور الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)(٢). فقد عانت الأندلس من نفس الداء ، الفرقة بين عناصر سكانها والتناحر الداخلى الذى يهدد أمنها ووحدتها ويعوق تطور الحياة الإسلامية فيها ، فتصبح البلاد فريسة سهلة للقوى المعادية فى شمال شبه الجزيرة أو عبر جبال البرانس(٣).

هذا وقد قدر للبلاد أن تتخلص من الفتنة التى نزلت بها أواخر عصر الولاة وذلك بظهور عبد الرحمن بن معاوية ، الذى أعاد للأندلس الوحدة والتماسك ، وقامت الإمارة الأموية ، وقدر للأندلس أيضاً أن يتخلص من الفتنة والتمزق التى ألمت بالبلاد أواخر عصر الإمارة وذلك بظهور عبد الرحمن الثالث(٤) وقيام الخلافة الأموية(٥).

---

١ – عصر الخلافة فى تاريخ الأندلس هو عصر النضوج الأندلسى الكامل فى جميع النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية ، تمثلت فيه كل الجهود التى بذلت فى هذه البلاد منذ الفتح العربى حتى قيام الخلافة ، راجع : حسن محمود : تاريخ المغرب الإسلامى ، ص ١٣٨ .

٢ – راجع ص   من الكتاب .

٣ – حسن محمود : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٤ – عبد الرحمن بن محمد ٣٠٠هـ / ٩١٢م عن نسب عبد الرحمن ونشأته ، راجع : الحميدى : الجذوة ، ص ١٢ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٧ ، المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الأقصى ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٦، ١٥٧ .

٥ – عن قيام الخلافة الأموية فى الأندلس ، انظر بن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٧ ، ص١٩٨ ، ١٩٩ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٣٥ ، ابن خردانبة : أبو القاسم عبد الله بن أحمد =

هذا وقد أثبتت الأحداث أن عبد الرحمن بن محمد (الناصر) كان جديراً بحمل هذا العبء[١] يقول ابن عذارى[٢] : " وولى الأندلس جمرة تحتدم ، ونار تضطرم شقاقًا ونفاقًا فأخمد نيرانها وسكن زلازلها ، وغزا غزوات كثيرة " فقد استطاع أن يعيد إلى الأندلس استقرارها ووحدتها الداخلية [٣] فكان أول أعماله إنفاذ الكتب إلى الكورة يدعوهم إلى التماسك ونبذ الخلاف[٤] ، فاستجاب بعضهم ولم يستجيب االبعض الآخر . فكان على عبد الرحمن أن يتبع سياسة تتلاءم مع الأوضاع النفسية للثوار ، فقد كان يعلم أن أكثر الثوار من قبائل وعصبيات قديمة ذهب عنها سلطانها وولى وأنها فى حاجة إلى شخصية أكبر منها شأنًا وأوفر قوة هذه السياسة تسمى بسياسة الاستئمان وهى مزيج من الدهاء والمعرفة بطبائع البشر ومزيج من القوة ، للاستعداد ، فقد كان يخرج إلي الثوار يحاصرهم ثم يعرض عليهم الأمان والسماحة والعيش الكريم وكان يفى بما يعد فيحمل الثوار إلى قرطبة ويوفر لهم الأموال والمعيشة الكريمة ويعفو عنهم فلم يفكروا فى الخروج عليه بعد ذلك .

هذا وقد أحرزت هذه السياسة نجاحًا كبيرًا واستطاع عبد الرحمن أن يستصفى أغلب الثوار وأن يجعلهم الأتباع . إلا أن هذه السياسة لم تنجح فى بعض الأحيان لم تنجح فى القضاء على فتنة ابن حفصون وثورة أهل طليطلة وبنى حجاج فى إشبيلية واضطر أن يخوض غمار الحرب فاشتبكت قواته مع هؤلاء الثوار فى معارك عنيفة[٥] انتهت لصالح عبد الرحمن وجيوشه .

= المسالك والممالك ، طبعة ليدن ، ١٨٦٧م ، ص ٩ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١٩ ، ابن الفقيه : (أبو بكر أحمد بن محمد إسحاق الهمذانى) مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٨٨٥ ، ص ٨٣ ، العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٨ ، الماوردى (أبو الحسن على بن محمد البغدادى بن حبيب الأحكام السلطانية) ، ١٩٢٨ ، ص ٧ .

١ – ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٩ .

M.Lafuente, Historia General de Espana; I, L, pp. 217 - 230 .

٢ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٧ .

٣ – ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٥٧ ، ص ٢٠٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام .

٤ – مدونة من عصر الناصر ، ص ٣ ، Levi Provencal, Cronica Ononima

٥ – حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ١٤١ .

وهكذا أعد عبد الرحمن عدته لاستنزال هؤلاء الثوار فنجح فى استخلاص قلعة رباح(١) التى ثار بها الفتح بين موسى بذى النون(٢) ، بعد معركة بين قوات الأمير عبد الرحمن وبين الثائر ابن ذى النون ، وأتباعه وذلك فى شهر ربيع الآخر ٣٠٠هـ / ٩١٢م(٣) وفى نفس تلك السنة، استولت جيوش الأمير عبد الرحمن بقيادة بدر الحاجب(٤) على قلعة إستجة(٥) Ectja.

يقول الحميرى(٦) " وكان أهل استجة قد خلعوا طاعة الأمير محمد وخالفوا ، فافتحها عبد الرحمن بن محمد على يد بدر الحاجب ٣٠٠ ـ فهدم سورها ووضع بالأرض قواعدها ، وألحق أعاليها بأسفلهاوهدم قنطرة نهرها " (٧) .

وكانت هذه القلعة من أمنع قلاع الثائر عمر بن حفصون حيث قامت جيوش عبد الرحمن ابن محمد (الناصر) بالاستيلاء عليها فألحقوا أعاليها بأسفلها(٨) ثم سار الأمير إلى الجنوب الشرقى ومعه جند كورة بالبيرة وزعماؤها وكان ابن حفصون قد انتزع حصونهم فالتجئوا إلى الأمير وألقوا بطاعتهم إليه(٩) ثم اتجه الأمير عبد الرحمن بعد ذلك إلى كورة حيان(١٠) وكانت

---

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٩ .

٢ – " صار الفتح بن موسى حاكمًا على مدينة أقليش Ucles وشيد حصنها وامتنع بها ، وأخذ يمد نفوذه إلى المناطق المجاورة فتحرك إلى كورة حيان أن ينتزع نيمية ابن عبيد الله بن الشالية " راجع ابن حيان : المقتبس ، نشر ملشورة أنوطنيا ، ص ١٩٠ ، ١١ .

٣ – مدونة من عصر الناصر ، ص ٣٣ Levi Provencal, Cronica, Amonima ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٤ .

٤ – كان بدر وصيفًا للأمير عبد الله ، فأعتقه وصرفه فى الخطط الشريفة ثم تولى الوزارة والحجابة والقيادة والخيل والبُرد ، وكان ينفرد بالولايات فكتبت السجلات فى داره وفى عهد عبد الرحمن بن محمد (الناصر) تولى بدر منصب الحجابة : راجع ابن حيان: المقتبس ، نشر ملشور أنطونيا ، ص ٤ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٤٧ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

٥ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٩ .

٦ – الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٤ .

٧ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٩ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٩ .

٨ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٥٨ ، تحقيق شالمتا وآخرون ، مدريه ، سنة ١٩٧٩م.

٩ – الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦١ .

١٠ – مارتش : Martos من عمل حيان راجع ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٦١ ، عنان : الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية ، ص .

الثورة على أشدها فاحتل حصن مارتش[١] من عمل حيان ، يقول ابن عذارى : ورده الخبر بمضايقة عمر بن حفصون لأهل حاضرة ريَّة وأنه أطمع نفسه عند تخاذلهم بانتهاز الفرصة فوجه لتلافى ذلك سعيد بن عبد الوارث فى قطيع من الجند وأمر يغذ السير ويطوى المرحل ، حتى يحتل مدينة مالقة ويقطع بابن حفصون عما كان رامه منها وأطمع فيها ، فتوصل القائد إلى الموضع وضبطه وحمى تلك الجهة عن ابن حفصون وخربه " .

أما الأمير عبد الرحمن فقد اتجه بعد استيلائه على حصن مارتشن إلى حصن المنتلون[٢] من أعمال جيان أيضًا ، حيث الثائر المولد سعيد بن هزيل ، فقامت جيوش الأمير عبد الرحمن بمحاصرة الحصن وذلك فى سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م[٣] وأمام حصار جيوش عبد الرحمن للثائر سعيد بن هزيل ، اضطر إلى الإذعان للطاعة وطلب الأمان ، فأجابه الأمير عبد الرحمن ومنحه الأمان ، كذلك استولت جيوش الأمير عبد الرحمن علي حصن شمنتان[٤] وبه عبد الله بن الشالية ، فاستسلم الثائر دون مقاومة طلب الأمان من جميع معاقله وحصونه[٥] وسار الأمير فى ذلك يفتح الحصون والمعاقل والثوار يتساقطون بين يديه فطهر المنطقة من العصيان " واستعمل فى الحصون ثقات من رجاله " [٦].

وفى العام التالى ٣٠١هـ / ٩١٣م تابع الأمير عبد الرحمن غزواته لاستنزال الثوار فخرج غازيًا إلى كورة رية والجزيرة الخضراء فكان أول مقصده حصن طرش فامتنع عليه فأبقى من يحاصره وانتقل إلى حصون رية ليتأكد من طاعتها [٧]، ثم تقدم إلى مالقة فنظر فى معالمها وأحوالها [٨].

---

١ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص

٢ - وفيها افتتح سبعين حصنًا من أمهات الحصون راجع : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦١ .
Levi Provencal, E. Crarcia, Una Cronica, pp. 38 - 39 .

٣ - ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٦٠ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، نفس الصفحة ، ابن خلدون: العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٩ .

٤ - شُمنتان : جبل له قرى وحصون وهو من أعمال حيان وكان قد استولى عليه الثائر عبيد الله بن الشاليه فى أيام الأمير عبد الله بن محمد المروانى " وقد استعمل أميره واشتهر ذكره ومدح وقُصد ، انظر : ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٩ .

٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦١ .

٦ - ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

٧ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦٤ ، ص ١٦٥ .

٨ - ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

تقدم الأمير عبد الرحمن بعد ذلك إلى قلعة ببشتر(١) من كورة رية حيث الثائر عمر بن حفصون وكان قد اشتد أمره واتسعت رقعة مملكته كما سبق أن ذكرنا وانضم إليه عدد كبير من الخارجين علي طاعة الأمير(٢) كما اطاعته أكثر البلاد المتوسطة بين رية والجزيرة الخضراء والبيرة(٣) .

تابع الأمير عبد الرحمن سيره إلى كورة رية والجزيرة الخضراء ، فاتجه أولاً إلي حصن لورة المجاور للجزيرة الخضراء ، فاستولى عليه الجيش الأموى بعد أن فر أصحاب منه ثم واصل الأمير عبد الرحمن زحفه إلى الجزيرة الخضراء فدخلها فى ٤ ذى القعدة ٣٠٠هـ / ٩١٣م فأقام بها أيامًا للنظر فى مصالحها وشد بحرها وكان فى ساحلها لابن حفصون وأصحابه عدة من المراكب البحرية للميرة والتجارة فأخذها الأمير وأحرقها فقطع اتصال ابن حفصون بالبحر(٤) هذا وقد تم الهزائم على الثائر ابن حفصون ونجح جيش الإمارة فى الاستيلاء على ثلاثين حصنًا من أمنع حصون عمر ابن حفصون(٥) وفى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م وقع حادث داخلى هام ، هو جنوح عمر بن حفصون إلى الطاعة فبعث إلى الناصر يخطب وده ويلتمس الصلح(٦) مستشفقًا بما كان فى إيواء الأمير محمد والد عبد الرحمن وحمايته ، حينما فر من أبيه الأمير عبد الله ، وقام بالوساطة في ذلك يحيى بن إسحاق طبيب عبد الرحمن وكان صديقًا لعمر بن حفصون وعاونه الحاجب بدر لدى الناصر ، فاستجاب الناصر لعقد الصلح مع عمر ، مع الحذر من غدره ومكره(٧) فسار يحيى بن إسحاق إلى ببشتر فالتقى بابن حفصون وجعفر بن مقسم أسقف ببشتر وعبد الرحمن ابن صبغ بن نبيل

---

١ – العميرى : الروض المعطار ، ص ٣٧ .

٢ – ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٤ ، ١٣٩ .

٣ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، نشر شلميتا ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، ابن خلدون : العبر ، ق١ ، جـ٤ ، بيروت عام ١٩٦٨ ، ص ٣٠٣ ، عنان : دولة الإسلام ، العصر الأول ، ق٢ ، ص ٣٠٣ .

Aguads Bleye, Manual De Historia De Espano, Madrid, 1947, pp. 425 - 426 .

٥ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٠ ، ص ١٩٥ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٩ .

٦ – ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٢ .

٧ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٨٠ .

ووبناس بن عطاف من أكابر رجال بن حفصون النصارى وكانوا راغبين فى التعلق بحبل الطاعة ، مشيرين على ابن حفصون بالصلح ، رغم كره ابنائه وحاشيته لذلك[١].

لكن رغبة ابن حفصون قد أكدت ذلك واستلم عهد الإمارة من الأمير عبد الرحمن وقد وقع أسفله بخط يده .

وهكذا أمْنَ ابن حفصون فى ببشتر ودخلت فى طاعته مائة واثنين وستون حصنًا كان يسيطر عليها فاغتبط وسكنت نفسه ، وأهدى للأمير عبد الرحمن هدية عظيمة تعبيرًا عن ولائه فتقبلها وحسن موقعها لديه ، وكافأ ابن حفصون موقعها فاستحكمت طاعته طوال حياته حتي هلك ٣٠٥هـ / ٩١٧م[٢].

توفى عمر بن حفصون فى ٣٠٥هـ / ٩١٧م وهو فى الثانية والسبعين من عمره بعد مرض طويل[٣] وكان لمهلك بن حفصون أكبر الأثر فى ضعف الثورة وانحلالها ، فعد هلاكه من أسباب الأقبال ، وتباشير الصنع وانقطاع علق المكروه [٤]. هذا وقد اعتبرت المصادر الإسبانية ابن حفصون بطلاً قوميًا حاول تحرير المولدين من بطش العرب[٥] يقول دوزى لم يكن من حظه أن يحرر بلاده أو أن يوجد أسرة ، ولكنه سيظل ماثلاً فى الأذهان فى صورة البطل الحق الذى لم تخرج أسبانيا مثله [٦]، ويعلق المؤرخ محمد عبد الله عنان بقوله أن هذه الآراء مبالغة وأغراقًا وأنها ليست إلا ثمرة نزعة من التعصب الدينى والجنسى ، الذى يطبع النقد الأول فى كثير من المواطن ، وأن ابن حفصون بالرغم من صلابته وقوة عزمة وبراعة خططه ، لم يكن سوى قاطع طريق وثائر من طراز قوى عنيف [٧].

---

١ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ١١٢ ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ .

٢ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ١١٥ ، ص ١١٦ ، ص ١٣٢ .

٣ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، نفس الصفحات ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٧١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٤ ، ص ٣٥ .

٤ – ابن عذارى : الصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، ابن حيان : المقتبس : نفس الجزء ، ص ١٣٨م.

5 - F.J. Simonet : Historia De Los Mozasabes De Espana, Madrid, 1897, p. 516 .

6 - Dozy : Histoireds Muslmanes D, Espana VII, p. 106 .

٧ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٨٣ .

كانت ثورة ابن حفصون من أشد الثورات التى عرفتها الأندلس ، فقد ناهضته حكومة قرطبة زمنًا طويلاً ولم تنته هذه الثورة بوفاة ابن حفصون ٣٠٥هـ / ٩١٧م بل حمل أبناؤه من بعده لواء الثورة ضد الحكومة الأموية ، فقد ترك ابن حفصون أربعة أبناءهم سليمان وعبد الرحمن وجعفر وحفص وابنته هى " أرختا " وكان له ولد آخر هو أيوب اتهمه أبوه عندما اعتلت صحته ، بمحاولة الفتك به وقتله (١).

تولى أبناء عمر بن حفصون ، رئاسة القواعد التى كانت يسيطر عليها والدهم ، فقام جعفر بعهد من أبيه وقاد لواء الثورة من جديد ، وألب النصارى فى الحصون على الدفاع عنها ، وقد كان لهذا الشاب خطره الجسيم ، فقد ورث شجاعة والده ، واعتصم بمعقلة ، فمد في عمر الثورة عشر سنوات أخرى (٢). أما سليمان فقد استقل " بأبذه " Ubeda " شمال شرقى جيان وحذا حذوه أخوه عبد الرحمن فاستقل فى حصن " طرش " وبقى حفص فى ظل أخيه جعفر فى ببشتر .

وفى سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩م بادر عبد الرحمن باحتلال حصن طرش(٣) واستسلم الحصن لقوات الأمير عبد الرحمن ، أما جعفر بن عمر حفصون فقد رأى الأمير عبد الرحمن أن يهادنه أول الأمير فاقره على أعماله .

وفى سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م قُتل جعفر فى ببشتر واتهم فى ذلك أخوه سليمان وقيل أن نفرًا من النصارى قد اغتالوه(٤) بسبب تودده لجند المسلمين(٥) وبوفاة جعفر بن عمر حفصون ضعف أمر الثورة الحفصونية وأخذت معاقل بنى حفصون تسقط واحدة فى أثر الأخرى

---

١ - ابن حزم نقط العروس ، ص ٧٩ ، نشر كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ديسمبر سنة ١٩٥١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٢ .

٢ - سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس ، رسالة دكتوراة ، ص ٥٣ ، أحمد بدر : تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، ص ٨ .

٣ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٧٤ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٤ .

٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٨٠ .

٥ - ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٥ . Dozy : Hist, Vol . II, p. 106

وقامت قوات عبد الرحمن بتدمير تلك الحصون والقلاع تدميراً تاماً(١) واستسلم جميع العصاة المعتصمين فيها ٣١٦هـ / ٩٢٨م(٢) .

وهكذا أسدل الستار على أخطر ثورة عرفتها الأندلس تلك الثورة التى استمرت خمسين عاماً وكادت تعصف بالإمارة الأموية فى عهد أربعة أمراء وكانت سبباً من أسباب تمزق الوحدة الأندلسية بين عنصر المولدين وغيره من العناصر الأخرى(٣).

إشبيلية ومحاولة الاستقلال :

فقد كان يحكمها بنو حجاج وهم من الأسر العربية التى استقرت بالمدينة ، وكان إبراهيم بن حجاج اللخمى قد استقل بكورة إشبيلية وقرمونة وخرج على الأمير عبد الله كما سبق أن ذكرنا ولما عاد إلى الطاعة ولا الأمير عبد الله على إشبيلية وبعد وفاة إبراهيم بن حجاج سنة ٢٩٨هـ / ٩١٠م ولى مكانه ابنه عبد الرحمن حتى توفى سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م(٤) وكانت وفاته سبباً فى القضاء على ولاية بنى حجاج (٥).

فقد اجتمع أهل إشبيلية بعد وفاة أميرهم على ولاية أحمد بن مسلمة من بنى حجاج فأغضب هذا شقيقه محمد صاحب قرمونه الذى طمع فى إشبيلية لنفسه بعد شقيقه ، فنقم على بن مسلمة وتوجه إلي قرطبة مجدداً طاعته للأمير عبد الرحمن وطلب منه ولاية إشبيلية فى نفس الوقت الذى أعلن فيه ابن مسلمة عصيانه مرة أخرى مما أغرى الأمير عبد الرحمن بوعد محمد بولاية إشبيلية ووجه إليها بصحبه وزيره قاسم بن وليد الكلبى (٦). فحاصرت قواتهم إشبيلية وضربا عليها حصاراً قوياً ، فرأى ابن مسلمة أنه لاقدرة له على

---

1 - Carlos - Sarthou Garreras : Castillos D, Espena, p. 22, Madrid, 1952 .

٢ – عنان : دولة الإسلام ، ص٢٨٥ ، Dozy. Spanish Islam, pp. 393 - 394 .

– راجع تفاصيل المعارك الأخيرة بين عبد الرحمن وأبناء ابن حفصون فى الأوراق الخاصة بمصر الناصر ، ص ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

٣ – سعد عثمان : المجتمع الإسلامى ، ص ٥٤ .

٤ – ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٢٥ – ١٣٠ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٤٠.

٥ – إبراهيم بيضون : الدولج العربية فى إسبانيا ، ص ٣٠٢ .

٦ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٧٠ ، ٧١ .

الاستمرار تحت الحصار فطلب الأمان فأجابه الأمير[١] وحمل أحمد بن مسلمة ومعه أهله وأتباعه[٢].

لم تنته ثورة بنى حجاج باستسلام ابن مسلمة ، فقد ترقب محمد بن إبراهيم وعد الأمير عبد الرحمن له بولاية إشبيلية ، ولكنه رأى بدر الحاجب قد ترك عليها سعيد بن المنذر واليًا فخرج إلى قرمونة عاصيًا وعازمًا على رفع لواء الثورة من جديد ، ورأى الأمير عبد الرحمن أن يوفد إلى محمد بن حجاج رسولاً يحذره من الاسترسال فى العصيان . فأدرك ابن حجاج أنه لا طاقة له بالثورة والعصيان فأعلن طاعته حيث سار إلي قرطبة بعد أن أبقى نائبًا عنه فى حكم قرمونة وقد أحسن الأمير عبد الرحمن وفادته وقدم له ولرجاله الهدايا الثمينة وأجذل لهم العطاء[٣] .

أما حبيب بن سوادة الثائر فى قرمونة أيضًا فقد أرسل إليه الأمير عبد الرحمن جيشًا بقيادة بدر بن أحمد الحاجب فقام بمحاصرة الثوار هناك ثم دخل قرمونة عنوة فقبض على حبيب وولده وأرسلوا إلى قرطبة (٣٠٥هـ / ٩١٧م)[٤] .

وبهذا انتهت ثورة العرب فى إشبيلية وقرمونة ، فسارت الإمارة خطوة فى سبيل استعادة الأندلس لوحدتها السياسية والاجتماعية .

عانت الإمارة الأموية فى إخضاع طليطلة مصاعب جمة فمنذ ولاية الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل وحتى ولاية الأمير عبد الله (١٣٨هـ - ٣٠٠هـ) لم تهدأ طليطلة وظلت موئلاً لثورات المولدين والبربر وكان المولدون هم عناصر سكانها الغالب ، ومن ثم فإن ولائهم للحكومة الإسلامية لم يكن قويًا وكان من الطبيعى أن تستقل طليطلة فى فترة الحرب الأهلية، أيام الأمير عبد الله وحتى أول إمارة الأمير عبد الرحمن ابن محمد (الناصر) [٥].

١- ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٦٢ ، ص ١٦٣ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١٣٦، عن استسلام إشبيلية ورجوعها إلى الطاعة انظر ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٧٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٢ .

٢ - ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

٣ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٠ ، ص ١٣١ ،

٤ - ابن عذارى: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ١٧١. Levi Provencal Cronica Anonima, p. 55-56.

٥ - راجع ابن حيان :ا لمقتبس ، جـ٥ ، ص٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٤٠ .

فموقعها على المنحدرات الصخرية العالية الممتدة حتى ضفاف نهر التاجة ، الذى يحيط بها من الشرق والغرب والجنوب وأسوارها الضخمة وقلاعها الحصينة ، كل ذلك جعلها من أمتع مدن العصور الوسطى(١) .

رأى الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) وجوب إخضاع طليطلة لمعرفته بسابق عصيانها ، فخرج فى بداية إمارته فى عام ٣٠٨هـ / ٩٢٠م للغزو فى الحملة المعروفة بمويش ، فنزل طليطلة فخرج لاستقباله صاحبها لب ابن طربيشة معلنًا رغبته فى المشاركة فى تلك الغزوة(٢) لم يكن خضوع طليطلة نهائيًا(٣) فقد عادت المدينة إلى الثورة من جديد ورأى الخليفة عبد الرحمن بن محمد (الناصر) فى هذه المرة أن يبدأ معهم سياسة التفاهم والملاينة ، فأسرل إليهم وفدًا من وجوه أهل قرطبة فأتوا طليطلة يدعون أهلها إلى نبذ الخلاف والمعصية وبذل الطاعة للحكومة الأموية ولكن أخفق الوفد فى تحقيق الهدف فعزم الناصر على غزو طليطلة وإخضاعها عنوة (٤).

ومن أواخر ربيع الثانى سنة ٣١٨هـ / مايو ٩٣٠م سير الناصر إلى طليطلة القائد الوزير سعيد بن المنذر القرشى فى جيش كثيف وأمره بحصار طليطلة حتى يحقق الوحدة(٥) الأندلسية ، وفى الثانى من جمادى الأولى (٣١٨هـ/يونيو ٩٣٠م) خرج الخليفة الناصر من قرطبة بصحبة ولى عهده الأمير الحكم بن عبد الرحمن قاصدًا طليطلة فاستولى وهو فى طريقه

١- البكرى : كتاب جغرافية الأندلس وأوربا " من كتاب المسالك والممالك " تحقيق عبد لرحمن الحجى ، الطبقة الأولي ، بيروت سنة ١٩٦٨م ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٨، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٣٣ .

٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٨٦ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٦١ ، ص ١٦٢ .

٣ - يذكر ابن عذارى أن لب بن الطربيشة كان يظهَر طاعة تحتها معصية ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٦ .

٤ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ ، ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق شالمتيا ، ص ٢٨٠ .

٥ - ابن حيان : المقتبس ، طبعة شالميتا ، ص ٢٧١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ . Levi Provencal, Histoire, Vol. II, p. 28

على عدة حصون(١) ومضى الناصر بعد ذلك بجيوشه حتى وصل جبل جرنكش(٢) فى جمادى الأولي سنة ٣١٨هـ/ يونيو ٩٣٠م ونظر فى أقرب الجهات التى يمكن أن يحاصر طليطلة منها، فنزل بمحلة المقبرة على باب المدينة " وأقام بهذه المحلة سبعة وثلاثين يومًا يوالى فيها نكايتهم وقطع ثمراتهم وتخريب قراهم وانتساف نعمهم وتحطيم زروعهم(٣) ثم أمر الناصر ببناء مدينة جبل جرنكش أطلق عليها اسم مدينة الفتح وعهد إلى قائده سعيد بن المنذر بالأشراف على بنياها وأمر بنقل الأسواق إليها لتكثر مرافق أهل العسكر بها ثم عاد الخليفة إلي قرطبة(٤) .

استمر حصار طليطلة أكثر من عامين، وظن أهلها أن استعانتهم براميرو الثانى Barmi-ro II (٩١٢م – ٩٣٢م) (٣٠٠هـ – ٣٢٠هـ) ملك ليون قد تنقذ الموقف ، ويساعدهم فى رفع الحصار لكن الجيش المحاصر هزم جموعه ، ورد هجومه (٥).

وصل عبد الرحمن الناصر إلى طليطلة ونزل بمحلته على جبل جرنكش فى الخامس والعشرين من رجب سنة ٣٢٠هـ / الثانى من أغسطس ٩٣٢م لاستنزال العصاة بها وتوطيد طاعته عليها ، فسارع ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث زعيم الثورة فى طليطلة للقاء الخليفة الناصر ، معترفًا بسوء صنيعة فعفا عنه الناصر وأكرمه ثم أمن أهل طليطلة ، ورفع عنهم الحصار ، فسارعوا إلي الدخول فى طاعته (٦). " فشعروا بالأمن بعد الخوف والسعة أثر الضيق والانبساط بعد طول الانقباضى "(٧) دخل الناصر طليطلة فرأى من حصانتها وامتناع

١- من أهمها حصن موردة على بعد إحدى وثلاثين كيلو مترًا إلى الجنوب الشرقى من طليطلة ، Levi Pro-vencal, Historie, Vol. II, p. 28 N.L.

– يقول بن حيان أن أهل طليطلة قد اتخذوه (شجًا على المسلمين ومستركنًا للمفسدين) ابن حيان : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ٢٨٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

٢ – يقع هذا الحصون على مقربة من طليطلة ، ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، ٢٠٣ .

٣ – ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٤ – ابن حيان : المقتبس ، نفس الجزء ، ص ٢٨٣ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، والجزء ، ص ٢٠٢ .

٥ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ٤٠١ .

٦ – ابن حيان : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ٣١٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، نفس المصدر جـ٢ ، ص ٣٠٧ .

٧ – ابن حيان : نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

قائدها ، وانتظام الجبال فى داخلها وامتناعها من كل جهات بوثاقة أسوارها وأكتناف واديها لقصبتها ووعورة مسالكها ، وطيب هوائها وجوهرها وكثرة البشر بها ما أكثر له من شكر الله على ما منحه فيها وسهل له منها(١) فشكر الله الذى هيأ له التغلب على كل هذه الصعاب ، وكان سروره فى هذا اليوم عظيماً كسروره يوم استيلائه علي حصن ببشتر(٢) .

وهكذا فقدت الثورة فى الأندلس بسقوط طليطلة أمنع حصونها(٣) وأخذت مدن الأندلس الواحدة بعد الأخرى تفتح أبوابها للأمير عبد الرحمن فسلمت مدينة شنت برية التى استقل بها يحيى بن موسى ابن ذى النون وكان شديد البأس على جيرانه غادر بأصحابه ، فأرسل إليه الخليفة عبد الرحمن الناصر الوزير عبد الحميد بن يسيل(٤) فقبض عليه وأرسله إلي قرطبه مع ولده وذلك عام ٣٢١هـ / ٩٣٣م فصفح عنه الناصر وأجزل له العطاء(٥) ومنذ ذلك الحين ظل يحيى بن ذى النون مخلصاً للناصر واشترك معه فى غزو سرقسطة ٣٢٥ هـ /

١- ابن حيان : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، نفس الجزء ، نفس الصفحة ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٨٩ ،. سعد عثمان ، المجتمع الإسلامى فى الأندلس ، ص ٦٧ .

٢ - حسن خليفة : تاريخ العرب فى إفريقيا والأندلس ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٢٧ .

٣ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٤٠١ .

٤ - ينتسب بنو يسيل إلى الروضى مولى هشام بن عبدالملك وأول من دخل الأندلس من هذه الأسرة عبد السلام بن يسيل وولديه عبد الواحد ويحيى وكان ذلك فى أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) وتولى عبد الحميد بن يسيل الكتابة فى أيام الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٣هـ / ٩٠٦م) وفى ٣١١هـ / ٩٢٣ أرسل النصار إلبى الثغر الأعلى ، وفى ٣١٣هـ / ٩٢٥م سير الناصر بجيش كثيف إلى كورة جيان لاستنزال الثوار من أهل الخلافة والمعصية كما قام باستنزال الثوار من بنى ذى النون ، كما اشترك فى قتال الثائر عمر بن حفصون واتجه بأمر الناصر إلى طليطلة ثم جليقية حيث قضى على عوامل الفتنة ، كذلك اشترك مع القائد أحمد بن إلياس فى غزو ليون ، عن عبد الحميد بن بسيل ، راجع ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٧١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ص ٣٠٥ ، ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ١١١ ، ١٢٣ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٥٤ ، ٣٥٤ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ٣٨٥ ، ٣٩٠ .

٥ - ابن حيان : المقتبس ، نشر ملشور إنطونيا ، ص ١٩ ، جـ٥ ، نشر شالميتا ، ص ٣٢٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٨٩ ، ص ١٩١ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول القسم الثانى ، ص ٤٠٠ ، . Dozy : Hist, V.II, pp. 144 , 145

٩٣٧م[١] ، أما مطرف بن موسى بن ذى النون فقد استقل بمدينة وبذة فحصنها وكان أقل إخوته خطرًا وأحسنهم ملاطفة للخليفة يحضر معه غزواته ، وقد بقى سالمًا حتى وفاته ٣٣٣هـ / ٩٤٥م ، يؤكد ذلك قول ابن حيان [٢] : " فاسجل (أى المطرف) الناصر على بلدة ورفع من حالة مخضرة معه أكثر مغازية .

ظل المطرف على ولائه للأمير عبد الرحمن بن محمد حتى وقع أسيرًا فى يد شانجة غرسية الأول صاحب بنبلونة وذلك سنة ٣١١هـ / ٩٢٣م ولكنه تمكن من الفرار وانضم إلي جيوش الناصر[٣] فى غزوة الخندق . فازدادت منزلته لدى الناصر فاسجل له على مدينة الفرج من الثغر الأوسط وذلك سنة ٣٢٨هـ / ٩٤٠م وظل واليًا عليها إلى أن توفى سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٥م[٤].

مدن غرب الأندلس ورجوعها إلى الطاعة :

أما بطليوس وأحوازها فقد كانت منذ أربعين عامًلا معقلاً من معاقل ثورات المولدين وكان بنو مروان الجليقى ما يزالون يسيطرون على تلك المنطقة وكانوا من أخطر الخوارج وأشدهم مراسا يمالئون الأمراء النصارى ويحالفونهم على حكومة قرطبة[٥] معتمدين على ما خلفه لهم أبائهم من حكمها وعلى ما أعطاه الأمراء الأمويين فى عهد الإمارة من حق لهؤلاء الآباء فى حكم كورهم حين عجزت الإمارة عن السيطرة على تلك النواحى ، لبعدها ، وكان على الأمير عبد الرحمن ، أن يؤمن دولته فى الناحية . وفى ربيع ٣١٧هـ / أبريل ٩٢٩م خرج الأمير عبد الرحمن الناصر متجهًا إلى الغرب .

---

١ - ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٩ .

٢ - ابن حيان : نفس المصدر ، والجزء ، والصفحة .

٣ - ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، تحقيق سالميتا ، ص ١٨٦ ، ص ١٨٧ .

٤ - ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، نفس المصدر ، تحقيق ملشور أنطونيا ، ص ١٩ ، سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس ، ص ٢٥٦ ، أبا الخيل : الأندلس فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى ، ص ٢٨٢ ، ص ٢٨٣ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس فى عصر الإمارة الأموية، ص ٦٥ ، ٦٦ .

٥ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثنى ، ص ٣٨٩ .

ومعه ولده الحكم والمنذر وعدة من الوزراء واستخلف على القصر ولده عبد العزيز[١] وبعث الناصر ينذر المخالفين لطاعته وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عبد الله بن مروان الجليقى ، وواصل الناصر بجيشه إلى بطليوس فى أواخر ربيع الآخر من نفس السنة وحاصر المدينة لمدة عشرين يومًا ثم أبقى عليها قائده أحمد بن إسحاق وانتقل إلى جهة ماردة فأصلح أحوالها وعين عليها واليًا من قبله [٢] ، ثم اتجه مرة أخرى إلى بطليوس وعاود حصارها يقول ابن عذارى[٣] " فضربت عساكر عليها من غير الجهة التى كانت اضطربت فيها أولاً ، وتولى من نكايتهم وأليم محاصرتهم ، ما أذاقهم به وبال عصيانهم (وعاقبة غيهم) وضلالهم . ثم رتب عليهم أحمد بن إسحاق قائدًا فى جيش كثيف ورجال متقنين وعدد كامل وأمره بالتشدد فى حصارهم والاستيلاء فى مضايقتهم وانتقل ناهضًا إلى مدينة باجة " خرج الخليفة عبد الرحمن الثالث إلى باجة للقضاء على خلفاء بنى مروان الجليقى فى الجنوب وذلك لأن القضاء عليهم أمر ضرورى لئلا يهددوا قواته المحاصرة لبطليوس[٤] وكان ممتنعًا بها الثائر عبد الرحمن بن سعيد بن مالك فطوقها وحاصرها حصارًا شديدًا حتى أحس أهلها الجوع والعطش ودعاه الخليفة إلى الطاعة " ولكنه أبى واستمر فى العصيان فنصب عليه المجانيق وقتل من رجاله عددًا كبيرًا وعندئذ اضطر صاحبها إلى الإذعان فمنحهم عبد الرحمن الأمان ، وأمن صاحبها، وخرجوا إليه تائبين مستسلمين فبعثهم إلى قرطبة . وكان افتتاح باجة فى منتصف جمادى الآخر سنة ٣١٧هـ ونظر الناصر فى إصلاح المدينة وولى عليها عاملاً من قبله ، وهو عبد الله بن عمرو ابن مسلمة وزوده بحامية لما فيه[٥] وأمره ببناء قصبة ينفرد بها ويسكنها[٦] .

---

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٠٠ .

٢ – ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

٣ – ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٤ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٣٩٠ .

٥ – عنان : المرجع السابق جـ١ ،ق٢ ، ص ٣٩٠ ، سعد عثمان المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ص ٦٢ .

٦ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٢٤٨ .

اتجه عبد الرحمن بعد ذلك إلى مدينة أكشونية على مقربة من ساحل المحيط الجنوبى ، وبها الثائر خلف بن بكر وافتتح فى الطريق إليها حصن الرقاع ، وأصاب فيه لخلف ابن بكر صاحب أكشونية أمولاً وعدة وسلاحًا فنقلها لجنوده وحشمه و فبادر الثائر خلف ابن بكر معتذرًا وملتزمًا للطاعة وأظهر أهل الناحية رغبة فى استبقائه واليًا عليهم ، والتزم بدفع الجباية، فقبل الناصر إنابته وأوسعه وجدد له الولاية على كورة أكشوبنة ٣١٧هـ (١).

وفى ٣١٨هـ / ٩٣٠م كان افتتاح مدينة بطليوس العاصمة وكان صاحبها ابن الجليقى قد احتمل الحصار مدة طويلة حتى فنى الكثير من رجاله ورأى من الخليفة عزمًا لا يفتريه وجداً لا طاقة له به ، واشتد بأهليها الضيق فاضطر الجليقى إلى الرذعان وطلب الأمان ، فأجابه الناصر إليه وأسكنه هو وأهله وأكابر رجاله بحصرة قرطبة ووسعه من سماحة الخليفة ما وسع أمثاله(٢) وعين لبطليوس واليًا جديداً هو عثمان بن عبد الله(٣) وكان خضوع بطليوس فى سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م وهكذا أمنت الكور الغربية فى ظل الناصر وعادت إلى التماسك والوحدة .

مدن شرق الأندلس وعودتها إلى الطاعة :

لم يغفل الأمير عبد الرحمن (الناصر) مدن شرق الأندلس ففى سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م غزا الأمير عبد الرحمن بنبلونة من البلاد البشكنس فمر فى طريقه بكورتى تدمير وبلنسية ، باديًا بمن هنالك من أهل الخلاف والمعصية(٤) فنازل مدينة لورقة من أعمال تدمير بعد أن فقد واليها عبد الرحمن بن عبد الله بن وضاح عن الالتحاق بمعسكر الأمير وكان ممن خوطب بذلك (٥).

ولما وصل الأمير عبد الرحمن (الناصر) إلى مدينة لورقة عجز الثائر ابن وضاح عن الدفاع عن مدينته فأعلن الخضوع والطاعة واستأمن على الخروج من لورقة والرحيل إلى قرطبة فأجيب إلى ذلك وانعقد أمانة وخرج بأهله وحاله فنزل قرطبة واستوطنها (٦).

---

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

٢ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٢٧١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢٠٢ .

٣ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٣٨٩ .

٤ – سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس ، ص ٥٨ .

٥ – العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ١٢ .

٦ – العذرى : المصدر السابق ، ص ١٢ ، ١٣ .

تقدم الأمير عبد الرحمن إلى مدينة مرسية ، فحاصرها فاستنزل يعقوب بن خالد التوزرى وعامر ابن أبى جوش[١] وكان عامر بن أبى جوشين قد تغلب على شاطبة والجزيرة من كورة بلنسية وقد ولاه الأمير عبد الرحمن على ما بيده[٢] وقد عبر عن ولائه فى أن خرج مع الأمير عبد الرحمن مشاركًا فى غزوة بلبلونة لكنه عاد وأعلن عصيانه مرة أخرى ، فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن (الناصر) قائديه أحمد بن إسحاق ودرى بن عبد الرحمن[٣] لحصاره والتضييق عليه فأعلن ابن الجوشين الطاعة وطلب الأمان وترك شاطبة واستقر إلى جانب الأمير فى قرطبة[٤] .

أما محمد بن عبد الرحمن الخزاعى فقد ثار بقليوشة من كورة تدمير فى آخر أيام الأمير عبد الله ، ثم أقره الأمير عبد الرحمن عليها فى أول ولاية وانتظر أن يكون الخزاعى من أول المشاركين فى غزوة بنبلونة لكنه تقاعس عن الخروج ، وأعلن عصيانه [٥]. خرج الأمير عبد الرحمن لغزوته صار بقليوشة فحاصرها ، لكن الخزاعى ظل صامدًا .

فترك الأمير لحصاره القائد سعيد بن المنذر[٦] فاضطر الخزاعى إلى طلب الأمان فأمن ، لكنه عاد ونكث فعاد ابن المنذر إلى تشديد الحصار عليه فاستأمن ثانية ، وتخلى عن حصونه ماعدا حصن لقنت[٧] وكان الأمير يراقب تحركاته ويضايقه دائمًا حتى أعلن الطاعة ٣١٦هـ

---

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٨٦ .

٢ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٠ ، العذرى : المصدر السابق ، ص ١٤ .

٣ – درى بن عبد الرحمن هو صاحب الشرطة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر .

٤ – يقول العذرى : " ثم هلك عامر بن أبى الجوشن وقد أوفد على المائة بقرطبة وكان من الشجعان الأبطال المذكورين ، راجع : العذرى نصوص عن الأندلس ، ص ١٥ .

٥ – سعد عثمان : المجتمع الإسلامى ، ص ٥٩ .

٦ – بسام العسلى : عبد الرحمن الناصر ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٦٧ ، سعد عثمان : المجتمع الأندلس ، ص ٥٩ .

٧ – فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت لقنت مدينة من مدائن كورة تدمير وقد وصفها الإدريسى ونقل الحميرى نص كلامه بأنها مدينة صغيرة عامرة ، وبها سوق ومسجد وجامع ومنير ويتجهز منها بالحلفا إلى جميع بلاد البحر ، وبها فواكه وبقل كثير وتين وأعناب . ولها قصبة منيعة جدًا " وقد اضمحل أمر لقنت خلال النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى وتنافس عليها الطامعون فى عرض صاحبها أبو جميل زيان بن مردنيش على خامية الأول المعروف بالفاتح ملك أرغون بيعها إياه مع ميورقة فى مقابل ٥٠٠٠ بيزانت من الذهب (البيزانت نحو دينار) ولكن هذا رفض العرض لأن لقنت إقليما كانت من =

وسار إلى قرطبة وتوسع له الأمير فى الأرزاق والقطائع(١) ، وهكذا أخمدت الثورة فى سائر تلك النواحى بعد أن لبثت زهاء نصف قرن تستنفد قوى الأندلس ومواردها وتفتت فى عضدها وتعوقها عن الكفاح ضد عدوها الحقيقى المتربص بها ، ونعنى إسبانيا النصرانية(٢) .

الناصر وضم سرقسطة :

كانت سرقسطة أيام الدولة الإسلامية عاصمة الثغر الأعلى(٣) وكانت خلال القرنين الثانى والثالث الهجرى قاعدة لثورات المولدين على الإمارة الأموية كما سبق أن ذكرنا وبعد سقوط أسرة بنى قسى المولدين وانتهاء حكمهم وذلك من أوائل القرن الرابع الهجرى صارت سرقسطة مركزًا لسلطان بنى تُجيب(٤) من العرب ويجاورهم بنى الطويل المولدين(٥) .

= النواحى التى اتفق ملوك النصارى على أن تكون من نصيب ملك قشتالة . وقد استولى عليها فرناندو الثالث ملك قشتالة سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م بعد حصار قصر ولقنت اليوم عاصمة مديرية بحرية تحمل نفس الاسم تقع جنوبى مدينة بلنسية وشرقى مديرتى البسيط ومرسية وهى من أكبر موانى الأندلس العميرى: الروض المعطار ، ص ١٧٠ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

١ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٩٧ .

٢ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٩١ .

٣ - استعمل الأندلسيون اصطلاح " الثغور " للدلالة على حدودهم المجاورة لإسبانيا النصرانية ، فكانت فى الأندلس ثلاثة ثغور الأدنى وعاصمته طليطلة ثم قورية (العجى: تاريخ الأندلس ، ص ٣٨) ثم الثغر الأعلى وهو المنطقة الشمالية للأندلس حتى جبال البرتات وكانت سرقسطة قاعدة هذا الثغر الأعلى يمثل إقليمًا منها ، فهو المركز المواجه لإسبانيا المسيحية ، راجع (ابن سماك العاملى ، الزهرات المنثورة ، تحقيق محمود مكى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد ، مجلد ٢١ سنة ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، ص ٥٦ ، هامش رقم ١ ، أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ، ص ٢٠٦ .

٤ - هم أبناء عبد الرحمن بن عبد العزيز التيجى ، الذى اتصل بالأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨هـ/٢٧٣هـ) فولاه دورقة إحدى مدن الثغر الأعلى سنة ٢٦١هـ ووكل إليه محاسبة أسرة بنى قسى المولدة فى سرقسطة الثائر على الأمير وقد أبدى هؤلاء التجيبيون براعة فى حكم الثغر الأعلى حتى سنة ٤٣٠هـ . راجع ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ، ص ٧٩ ، العذرى : نوص عن الأندلس ، ص ٤١ ، ٤٨، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٣٠ .

٥ - بنو الطويل (أبو بنو شريط) نسبة إلى محمد بن عبد الملك الطويل بن عبد الله بن شريط ، الذى امتاز بطوله الفائق . وكان بنو شريط من أكبر أسرة فى منطقة الثغر الأعلى ، وبرز منهم محمد بن عبد الملك بن شريط المعروف بالطويل لطول قامته وكان حفيد الشريط - ابن عم عمروس بن يوسف - وكان شريط=

وعندما تولى عبد الرحمن الثالث الإمارة الأموية ترك لهاتين الأسرتين مهمة حكم منطقة الثغر الأعلى غير مبال بما يحدث بينهما من صراع ، وكان يقف موقف المنتظر لما يسفر عنه الصراع ليولى كل متغلب على موضعه .

وقد اتبع الأمير عبد الرحمن هذه السياسة لبعد سرقسطة عنه ثم انشغاله بما يجاور قرطبة من ثورات كثورة طليطلة وثورة آل حفصون ، ومع هذا فقد ظل على اتصال دائم بسرقسطة يختبر أهلها وذلك بدعوتهم للمشاركة فى غزواته ضد نصارى إسبانيا ، وكان التجيبيون يسارعون لمساعدة الأمير ولم يترددوا فى ذلك (١).

وفى سنة ٣١٩هـ / ٩٢١م غير الخليفة الناصر سياسته السابقة مع سرقسطة وما يجاورها من مناطق الثغر الأعلى ، لأنه أصبح فى مركز قوى لا يخشى معه أى تهديد خارجى أو داخلى(٢) وأصبحت سرقسطة همه الوحيد فهى آخر معقل من معاقل الثورة فى الأندلس(٣) فى نفس الوقت كادت الثورة أن تستمر فى الثغرة الأعلي ذلك أن بنى هاشم التجيبين كانت تحدوهم أطماع كثيرة .

وكانوا يخشون عواقب السياسة التى يتبعها الناصر فى إخضاع الولاية المحلية وسحق سلطان الأسر القديمة ، وكان وجودهم فى الشمال بين الممالك النصرانية يفسح لهم مجال

= وعمروس غلامين ليعشون الأعرابى ثم التحق بخدمة مطروح الأعرابى كما سبق الذكر . وقد بدأ اسم شريط يشتهر فى عهد الحكم الأول حيث أظهر الولاء والإخلاص للأمويين وتولى حكم وشقة وكان عونًا لابن عمروس فى منطقة الثغر الأعلى ، راجع العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ٦٥ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم ٢ ، ص ٣٤٢ ، كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس فى العصر الإسلامى ، ص ٨٢ ، هامش ١٥ ، عن بنو الطرم راجع ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠٠ ، السامرائى : الثغر الأعلى ، دراسة فى أحوال السياة ، بغداد سنة ١٩٧٦م

Levi Provencal, Histoire, T-I, p. 393 .

١ – سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس ، ص ٦٨ .

٢ – العذرى : المصدر السابق ، ص ٤٢ ، يقول العذرى " وغزى محمد بن عبد الرحمن التجبى " مع أمير المومنين عبد الرحمن صائفة سنة ثمانية وثلاثة مائة إلى جليقة وألية والقلاع وبنبلونة وغز معه اثنى عشرة وثلاثمائة " راجع العذرى ، نفس المصدر والصفحة .

٣ – سعد عثمان : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

التآمر والخروج ، فحينما توفى هاشم بن يحيى التجيبى الذى خلف والده فى حكم الثغر بمصادقة من الناصر وذلك فى ٣١٨هـ / ٩٢٠م طلب ولده محمد بن هاشم التجيبى إلى الناصر أن يقره على ولاية سرقسطة ، فلم يجب إلى ذلك ، فسار محمد إلي قرطبة مؤكداً لولايته ، فصدر الأمر بتوليته فى رجب ٣١٩هـ / ٩٢١م(١) والتزم بدفع الجباية ودام هذا الولاء نحو ثلاث سنوات وفى سنة ٣٢٢هـ / ٩٢٤م(٢) أبدى التجيبيون التمرد والعصيان وتخلفوا عن مشاركة الخليفة فى غزوته إلي نصارى الشمال فسار الناصر لقتالهم ولكن حصون سرقسطة المنيعة حالت دون اقتحامها ورأى التجيبيون الفرصة سانحة لتنفيذ مشاريعهم وطموحاتهم وكان راميرو ملك ليون بالرغم من ارتباطه بعهد السلم مع الناصر يرقب الفرصة لنكث العهد واستئناف الحرب ضد المسلمين فلما استغاث به محمد بن هاشم رأى الفرصة سانحة ، فنكث العهد وعقد حلف مه محمد بن هاشم التجبى وقريبه مطرف بن منذر التجبى صاحب قلعة أيوب(٣) ، وتعهد محمد لراميرو أن يعترف بطاعته ، نظير معاونته إياه فى الخروج على عبد الرحمن الناصر ومحاربته (٤)، مما دعا الخليفة إلى غزوة بنفسه سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٩م ، فأخضع جميع المعاقل والحصون التى يسيطر عليها التيجبيون قرطبة وأقام على حصارها القائد أحمد بن إسحاق القرشى ثم أردفه بالوزير عبد الحميد بن بسيل ليقوم بالتضييق على سرقسطة وابن هاشم وليدعم القوى السلطانية الرابطة علي مقربة منها ، وذلك ريثما يستطيع السير بنفسه إلي الشمال . ثم اتبعه بجيش آخر ، بعثه إلى الثغر أيضًا بقيادة الوزير سعيد بن المنذر العرش (٥)، ليقوم بالمعاونة فى التضييق على سرقسطة .

---

١ – العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ٤٤ .

٢ – العذرى : المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص٣٣٤ ، ص ٣٣٥ .

٣ – يصفها الحميرى بقوله " وهى مدينة رائعة البقة حصنة شديدة المنعة ، كثيرة الأشجار والثمار كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار وبها يصنع الغفار المذهب وهى تنسب إلى مؤسسها أيوب بن حبيب اللخمى والى الأندلس سنة ٩٧هـ ، وتقع شمال شرقى طليطلة وجنوب غربى سرقسطة ، وعلى مسافة ٥٠ ميلاً شرقى مدينة سالم منحرفة قليلاً إلى الشمال : محمد الناس : تحقيق الأعلام الجغرافى الأندلسية ، مجلة البينة العدد الثالث ، الرباط ، يوليو سنة ١٩٦٢ م ، الحميرى : الروضى المعطار ، ص ١٦٣ ، الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٨٩ .

٤ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، ق٢ ، ص ٤٠٥ – ٤٠٦ .

٥ – ابن حيان : المقتبس ، ص ٣٦٠ ، ٣٦١ .

وفى ٣٢٥هـ / ٩٣٧م خرج الناصر من قرطبة إلى مقاتلة أعدائه فى جيش ضخم وقد عقد العزم على فتح سرقسطة وإعادتها إلى الطاعة ، فاشتد فى حصارها حتى ضاقت حالها واضطرب أهلها (١)، فثاب الثائر وعاد إلى الساعة فعفا عنه الخليفة بعد طول عصيان وعقد له الأمان(٢) ودخل الخليفة سرقسطة فأمر بهدم سورها ، وأصلح أحوالها ، ثم عاد إلى قرطبة ومعه محمد بن هاشم فأنزله أكرم منزلة ، وعندما وثق فى طاعة أهل سرقسطة ، صرف إليها محمد بن هاشم واليًا من جديد(٣) .

وصارت سرقسطة ولاية تابعة للخليفة ، حتى سقطت الخلافة وبذلك انهارت ثورة التجيبن فى الشمال ، وكانت من أخطر الثورات التى واجهها الناصر ، لأنها كانت مركزًا لتجميع القوى المعادية لخلافة قرطبة (٤).

وبانتهاء ثورة سرقسطة انتهت تلك الثورات العرمة التى اجتاحت الأندلس فى مطلع القرن الرابع الهجرى وكان للخليفة عبد الرحمن الناصر الدور الأساسى فى توحيد الأندلس والقضاء على تفرقها وتمزقها وصهر عناصر السكان المتعددة من جديد فى بوتقة واحدة ، بعد أن طغت الثورات السياسية على كل نواحى الأندلس وكانت ثورتهم منعطفًا خطيرًا نحو الفرقة والتمزق.

---

١ – العذرى : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

٢ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٤٠٣ " أورد لنا ابن حيان حوادث فتح سرقسطة ، وعهد الأمان الذى أصدره الناصر لمحمد بن هاشم وقد أورد لنا أيضًا أسماء الشهود الذين وقعوا هذا الأمان من الأمراء والوزراء وأصحاب الخطط والموالى والفقهاء وغيرهم ، راجع : المقتبس : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحات ومابعدها ، راجع العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ٤٥ .

٣ – ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، العذرى : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

٤ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٦٢ .

الفصل السادس

الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر (المستنصر)

(٣٠٠هـ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١م - ٩٧٦ م)

اشتهر القرن الرابع الهجرى بحكم ثلاثة رجال هم « عبد الرحمن الناصر ، الحكم المستنصر والثالث لم يكن من البيت الأموى الحاكم ولكن كان كبير الحجاب وهو المنصور ابن أبى عامر(١).

---

١ - هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافرى ، أمير الأندلس فى دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله والغالب عليه ، أصله من الجزيرة الخضراء ولسلفه بها قدر ونباهة ، وقدم قرطبة شابًا فطلب بها العلم والأدب وسمع الحديث . وكان أبوه - أبو حنفى عبد الله - قد سمع الحديث أيضًا وكان عبد الله والد محمد المنصور من أهل الدين والزهد فى الدنيا والقعود عن السلطان ، وقد أدى الفريضة ، ومات منصرفًا من حجة بمدينة طرابلس المغرب .

- وكانت للمنصور همة ترمى به المرامى ، ويحدث نفسه بإدراك معالى الأمور فتم له مراده ، وكان أحد أعاجيب الدنيا فى ترميه والظفر بتمينة ، راجع ابن الأبار : الحلة السيراد ، جـ١ ، ص ٢٦٨ ومابعدها ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٦ وما بعدها ، ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام الشنتريني) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، المجلد الأول ، القسم الرابع ، القاهرة ١٩٤٥م ، ص ٢٤٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ص ٧٤ ، القاهرة ، سنة ١٩٥٦م.

تولى الخلافة بعد وفاة أبيه (٣٥٠هـ / ٦٩١م)(١) الخليفة الحكم المستنصر وقد جرى والده الخليفة عبد الرحمن الناصر على تدريبه على شئون الحكم ومسؤلياته قبل فاته(٢) .... ونال الحكم الثانى المستنصر شهرة تفوق شهرته فى عالم السياسة ، ذلك أن الحكم كان عالمًا محبًا للعلم مشجعًا للعلماء (٣). هذا وقد درج المؤرخون عند تناولهم لعهد الحكم المستنصر على العناية بناحية معينة من حياته وهى حبه للعلم وتشجيعه للحركة العلمية وإعطاء هذا الجانب الجزء الأكبر من وقته وجهده وكأنهم فى هذا المعرض يلومون الحكم المستنصر على هذا الاتجاه وينسبون إلى هذا الاتجاه العلمى الانصراف عن شئون الحكم ويحملون الحكم مسئولية الأحداث التى وقعت بعد وفاته .

والحقيقة أن انصراف الخليفة الحكم إلى العلم لم يكن لمجرد حب فيه فقط وإنما كان عصر استقرار عظيم جنى ثماره فقد ترك له والده الخليفة عبد الرحمن الناصر بناء موطد الأركان ، فى الوقت الذى بدأت الخلافة تستقر هيبتها فى نفوس الناس .

هذا وقد أثبتت الحوادث أن الخليفة الحكم كان إداريًا كفء وكان مقدرًا لظروف بلاده والأخطار التى تحدق بها ولا ننسى أن الحكم تدرب على ولاية العهد فترة طويلة ولى الخلافة فى الأربعين من عمره وقد شارك أباه ظروف النجاح كلها (٤).

---

١ - الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٣ ، الضبى : بغية الملتمس : ص ١٨ هذا وقد أخذت له البيعة من أخوته وكبار رجال الدولة والوزراء وأكابر الفتيان والصقالبة وأكابر الجند ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٨٢ - ص ٣٨٧ ، وأزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض : تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٤٠م ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٨٦ .

٢ - لم يكن الخليفة الحكم المستنصر حين ولايته ، محدثًا شئون الحكم ، بل لقد مارسها فى حياة أبيه ، وكثيرًا ما ندبه أبوه لمباشرة المهام الخطيرة ، فكان عند جلوسه أميرًا مكتمل النضج والخبرة . راجع عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، القسم الثالث ، ص ٤٨٣ .

٣ - يقول ابن سعيد كان " أى الحكم " حسن السيرة ، جامعًا للعلوم ، محبًا لها ، مكرمًا لأهلها ، وجمع من الكتب فى أنواعها ما لم يجمعه أحد من ملوك الأندلس قبله ، وذلك بإرساله فيها إلى الأقطار واستراته لها . بأعلى الأثمان وقيل أن عدد الكتب التى اجتمعت فى خزائنه أربعة وأربعون ألف مجلد ، فى كل فهرست منها عشرون ورقة ، ووجه لأبى الفرج الأصفهانى ألف دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الأغانى ، وباسمه طرز أبو على القالى كتاب الأمالى وعليه وفد فنجمد وفادته ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٨٦ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٨٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

٤ - حسن محمود : تاريخ الغرب الإسلامى .

لما بويع الحكم بالخلافة سار على نهج أبيه ونفذ سياسته وقام بمسئوليته كاملة وباشر مهام الملك أحسن مباشرة(١)، حتى ليذكر بعض المؤرخين " أنه لم يعدم من الناصر إلا شخصه"(٢).

ولكن ثمة تطور آخر طرأ على الحياة السياسية فى عصر الحكم المستنصر ذلك أن الحكم اعتمد فى إدارة شئون دولته إلى الوزراء والقادة ورجال الدولة وكان الحاجب المصحفى(٣) مفوضًا فى شئون الدولة كلها ، وبدأت تظهر فى الأندلس طبقة من كبار الموظفين فاتسع نفوذهم على عكس ما كان عليه الحال أيام الخليفة الناصر الذى جمع كل السلطة فى يده ، فكان الناصر شديد المركزية فى حكمه ، والواضح أن ظهور مثل هؤلاء الموظفين الكبار يكون دائمًا على حساب السلطة المركزية . وكان ذلك بداية الوهن الذى بدأ يتسرب إلى سلطان الخلافة الأموية فى الأندلس .

ثم تطور آخر كان له أسوأ الأثر فى زوال الخلافة الأموية فى الأندلس . ذلك أن الخليفة الحكم شعر فى أواخر عهده ، بأعراض المرض والضعف(٤) تدب إليه ، فعقد العزم على تأمين ولاية العهد لولده الطفل هشام وتم ذلك فى شهر جمادى الثانية سنة ٣٦٥هـ / ٥ فبراير سنة ٩٧٦م حيث جلس الحكم بقصر قرطبة ، وأعلن عزمه فى تقليد ولده هشام عهد الخلافة يقول

---

١ - يقول نقلاً عن ابن خلدون " ولأول وفاة الناصر طمع الجلالقة فى الثغور فغزا الحكم المستنصر بنفسه ، واقتحم بلد فرناندو بن غند شلب fernande Gonzalo فنازل شنت اشتبيت san Esteban وفتحها عنوة واستباحها ، وقفل ، فبادروا إلى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ... " المقرى : نفح الطيب ، جـ١، ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٤٤ ، ابن عذارى ك البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٣٦.

٢ - المقرى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

٣ - هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسبلة القيسى الملقب بالمصحفى . من الشعراء الأندلسيين المجيدين فى أكثر فنون الشعر ولى جزيرة ميورقة أيام الناصر ، ثم استوزره المستنصر وغدا من أعظم رجال بلاطه وحاجبه وبعد وفاة المستنصر استولى ابن أبى عامر على السلطة ، اعتقل المنصور جعفر الذى استعطفه دون جدوى ، كما صادر المنصور كافة أملاكه وأمواله ، ثم قتله ٣٧٢هـ / ٩٨٢م ، راجع ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص ٣٠ هامش رقم (١) ، راجع المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٩٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .

٤ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، الكتاب الثانى (القسم الثالث) .

ابن عذارى[١] (وفيها " أى ٣٦٥هـ" كان الإعلان ببيعة أبى الوليد هشام ابن الحكم ، وأن تؤخذ له من الخاصة والعامة بقرطبة وسائر كور الأندلس وما إلى طاعته من بلاد الغرب . وذكره فى الخطبة لى المنابر فى الجمعة والأعياد ، وذلك مستهل جمادى الأخرى) وأخذت البيعة بالفعل من الحاضرين ، وأخرجت كتبها لسائر الخاصة والعامة . (وتولى أخذها على الناس وفق مراتبهم) ، ويذكر عبد الله عنان أن ابن حيان نعى على الخليفة الحكم هذه السياسة فى اختيار ولده الطفل لولاية العهد فيقول على ما وصف به الحكم من رجاحة العقل " كان ممن استهواهم حب الولد ، والإفراط فيه ، وخالف الحزم فى توريثه الملك بعده ، فى سن الصبا دون مشيخة الأخوة وفتيان العشيرة ، ومن يكون للإمامة بلا محاباة ، فرط هوى ، ووهلة انتقدها الناس على الحكم ، وعدها الحانية على دولته ، وقد كان يعيبها على ولد العباس قبله ، فأتاها هو مختار ولا مرد لأمر الله "[٢].

أصيب الخليفة الحكم بعد ذلك بقليل بشلل اقعده عن الخروج والحركة ، وتولى تدبير الشئون خلال مرضه وزيره جعفر بن عثمان المصحفى ، ثم توفى بعد ذلك بأشهر قلائل ، فى اليوم الثانى من صفر ٣٦٦هـ / ٣٠ سبتمبر ٩٧٦م[٣].

تركت وفاة الحكم بن عبد الرحمن أثرًا عميقًا فى الحياة الأندلسية فى ذلك الوقت – فقد كان ابنه وولى عهد هشام ما زال طفلاً لم تزد سنة على عشرة أعوام وأشهر .

وانقسم رجال الدولة إلى فريقين – فريق العسكريين من الصقالبة الذين رأوا فى هشام طفلاً لا يمكن أن يعطى البلاد حاجتها من الوحدة القومية ولا يمكن أن يفرض طاعته عبر الحدود وكان يعز عليهم وهم جند الدولة الذين خاضوا غمار حروب كثيرة أن يروا أمرهم يوكل إلى طفل يدير أمره مدنيون من رجال الحكم [٤] . فاستقر رأيهم على أن لا تكون البيعة

---

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٤٩ .

٢ – راجع عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، الكتاب الثانى (القسم الثالث) ص٥١٠ ، راجع ابن حيان : المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢١١ وما بعدها ، ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ٤٠ .

٣ – الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢١ ، الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٦ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٩٦ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٠٠ ، ابن عذارى : البيان المغربل ، جـ٢ ، ص٢٥٣ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٦٠ .

لهشام[١] إنما تنقل الخلافة إلى المغيرة بن عبد الرحمن عم هشام فهو فى نظرهم أصلح من يتولى الملك فى هذه الظروف[٢].

أما فريق المدنيين وعلى رأسهم الوزير المصحفى فقد رأوا التمسك ببيعة هشام ليس تمسكًا منهم بشرعية التولية إنما حرصًا منهم على الحكم .

واختصم الحزبان وأصبحت البلاد على شفا حرب أهلية طاحنة تعيد البلاد إلى الحرب الأهلية المخيفة ونتائجها المدمرة التى سبقت ظهور عبد الرحمن الناصر ، لولا أن كتب النصر لجماعات المدنيين ودبرت مؤامرة اغتيل فيها المغيرة[٣] واستقرت الأمور للخليفة الطفل هشام .

هشام الثانى المؤيد وبداية الوهن (سقوط الخلافة) ٣٦٦هـ - ٣٩٩هـ :

وهكذا خلف هشام والده الحكم بن عبد الرحمن (الناصر) ولقب بالمؤيد[٤] وقدر لهذا الخليفة الذى كانت خمايله تبشر بالذكاء وحسن الرأى أن يقضى مدة خلافته مسلوب السلطة والسلطان .

ذلك أن انشغال الحكم بالكتب وتجليدها وتركه السلطة الإدارية إلى حجابه ووزرائه ، أتاح الفرصة لكبار رجال الدولة ونساء القصر كذلك إلى التدرج فى النفوذ والسلطان كما سبق أن ذكرنا فحين توفى (الحكم بن عبد الرحمن) كانت زوجته السيدة صبح « أم الخليفة هشام » هى صاحبة النفوذ الفعلى فى الدولة وكان من صنائعها شاب قدر له بعد حين أن يكون أبعد منها نفوذًا أو سلطانًا ذلك هو محمد بن أبى عامر " الذى عرف باسم المنصور " (٥).

---

١ - حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى .

٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٩ ، ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأولى ، ص ٤٠ ، ٤١ .

٣ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٦١ ، ابن بسام : الذخيرة ، نفس المصدر ، القسم الرابع ، المجلد الأول .

٤ - ابن عذارى : جـ٢ ، ص ٢٥٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٤٣ .

٥ - عن نفوذ المنصور ابن أبى عامر وسلطانه ، راجع : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٠٠ وما بعدها ، ابن عذارى ك البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٣ - ٣٠١ ، ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ٤٠ - ٤٧ ، ص ٥٣ - ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ص١٨٤.

وهكذا تمت البيعة لهشام واتخذ الخليفة هشام المؤيد جعفر المصحفى حاجبًا له ، كما عين محمد بن أبى عامر فى خطة الوزارة[١] وجعله معاونًا للمصحفى فى تدبير دولته[٢] وبذلك أشرك ابن أبى عامر فى تولى السلطة المباشرة مع المصحفى ولم يعترض أحد من رجال القصر والدولة على ذلك الاختيار ، سوى الحاجب جعفر ، فقد كان يرى فى هذا التعيين انتقاصًا لسلطته ونكرانًا لجميله بعد أن حمل أعباء السلطة كلها دهرًا وكان يرى فى ابن أبى عامر بالأخص منافسًا يخشى بأسه ، ويرتاب فى نياته وأطماعه ، ومن ذلك اليوم يضطرم بين الرجلين صراع عنيف صامت لم يكن ثم شك فى نتيجته وكان ابن أبى عامر هو الأقوى بلا ريب ، سواء بمواهبه وقوة نفسه أو بمؤازرة السيدة صبح والدة هشام المؤيد ، التى رأت فيه الرجل القوى الذى يستطيع أن يحمى ولدها الفتى وأن يوطد الأمن والسلام فى المملكة وكان ابن أبى عامر فى الواضح هو السيد المطلق خاصة بعد أن تولى ابن أبى عامر الوصايا على الخليفة الطفل هشام[٣] وكانت صبح تفوض إليه كل سلطة وكل أمر ، فكان يدير الشئون كلها بمهارة[٤] وكان الخليفة هشام المؤيد بالله ميالاً بطبيعته وسنه إلى اللهو والدعة ولم يكن له شيء من تلك الخلال الرفيعة التى تهيئ الأمير للاضطلاع بمهام الملك ، فكان يلزم القصر والحدائق ويقضى كل أوقاته فى اللهو واللعب بين الخصيان وآلات الطرب ، وكان ابن أبى عامر وصبح يشجعان هذه الميول السيئة فى نفس الأمير [٥].

يقول دوزى : أنهما كانا يريانها ملائمة لمقاصدهما [٦].

---

١ – ابن عذارى : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٤ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٩٩ .

٢ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ .

٣ – ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص٥٨ ، ويذكر ابن بسام أن الحكم تخطى ثلاثة رجال هم إخوته عبد العزيز والأصبغ والمغيرة ، وكلهم أقوياء وذكروا أن السبب فى ذلك أن رجلاً يتكلم فى الحدثان قال " لا يزال ملك بنى أمية بالأندلس فى إقبال ودوام ما توارثه الأبناء عن الآباء فإذا انتقل إلى الأخوة وتوارثوه بينهم فقد أدبر وانصرف ، ابن بسام : الذخيرة مجلد (١) قسم ٤ ص ٤٠ .

٤ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، الكتاب الثانى القسم الثالث ، ص ٢٥٤ – ٥٢٥ .

٥ – عنان : المرجع السابق ، نفس الكتاب والقسم ، ص ٥٢٥ .

6 - Dozy : Histoire Jes Uwsulmans d'Espagne Jusque a'La Conyutea des Almravids (ed levi Provencal 1932) .

هذا وكان طموح المنصور ابن أبى عامر لا يعرف حدوداً أو يعبء بولاء لأحد أو حتى بمبادىء الأخلاق ، فأخذ ابن أبى عامر يدبر المؤامرات لمنافسة جعفر المصحفى[١] حتى نجح فى الإطاحة بالحاجب جعفر حيث حقد عليه الخليفة هشام المؤيد وقام بعزله من منصبه[٢] وأصبحت مقاليد السلطة كلها فى يد المنصور بعد أن نجح فى القضاء على منافسة جعفر المصحفى، مستعيناً بالقائد غالب[٣]، أكبر قواد الأندلس ... ولم يكد يتم له ذلك بدأ يتخلص

---

١ – أمعن المنصور ابن أبى عامر فى التخلص من منافسة جعفر المصحفى وكان بين المصحفى وأبي تمام غالب الناصرى صاحب مدينة سالم وفارس الأندلس الذى لا يبارى ، كما يقول ابن الخطيب ، أشد ما كان بين اثنين من العداوة والمباينة ، فرأى محمد بن أبى عامر أن يتقرب إلى غالب ويستعين به على إسقاط المصحفى ، فإذا ما تخلص من منافسة الأول ، أنقلب على غالب وقضى عليه بدوره . هذه هى السياسة إن دلت على شيء فعلى عظم دهاء ابن أبى عامر وعلى اعتماده على الحيلة والمكر والخديعة فى تحقيق مآربه ، تمهيداً للوصول إلى أرفع مناصب الدولة : راجع ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦٩ وما بعدها ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٢٨ يقول ابن عذارى : " وانبرى إلى المصحفى بصدر كان قد أوغره ، وجد سام طال ما استقصره ، فأباده ونكبه وسلب جاهه وانتهبه واقتص من تلك الإساءة وأغص حلقه بكل مساءة ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٦ .

– عن تفاصيل تخلص ابن أبى عامر من منافسة جعفر المصحفيى وقتله راجع ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٦ ومابعدها ، الفتح ابن خاقان : مطمع الأنفس ومسرح التأنس فى ملمح أهل الأندلس ، قسطنطينية ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م ، ص ٤ – ٨ .

٢ – ابن بسام : الذخيرة ، قسم ٤ مجلد (١) ص ٤٧ ، ٤٨ ، ص ٥٠ ، ٥٣ .

٣ – هو أبو تمام غالب الناصرى وصاحب مدينة سالم بالثغر الأدنى وشيخ الموالى قاطبة وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع ، وكان الوزير أبو جعفر المصحفى قد أساء معاملته عندما تولى الحجابة لهشام المؤيد ، رغبة منه فى الانفراد بالسلطة ، فأضطربت أحوال الثغر نتيجة للمنافسة بين الرجلين ، وكان هذا من الظروف التى استغلها محمد بن أبى عامر للوصول إلي السلطان ، وقد سلك إليه طرقاً ملتوية تقوم على الاحتيال على الرجال والإيقاع بينهم ، فاستعان بغالبٍ على جعفر المصحفى ، فاستصدر أمراً من هشام المؤيد برفع غالب إلى خطة الوزارتين ، أى وزارة السيف ووزارة القلم ، أى أنه أصبح وزيراً وقائداً أعلى واتفق معه على أن يدبر ابن أبى عامر جيش الحضرة ويدبر غالب جيش الثغر ، ثم صاهره ، فتزوج من ابنته أسماء وبمعونته قضى على جعفر امصحفى ثم سعى بعد ذلك فى القضاء على غالب باستقدام جعفر بن على بن حمدون ، المعروف بابن الأندلسى وكان شيخاً من شيوخ زناته الموالين لبنى أمية الأندلسيين ، وكان يقوم بأمره العدوة واستوزره وولاه القيادة ، وشعر غالب بغرض ابن أبى عامر ويبدو أنه استعان =

من غالب نفسه[١] وكان قد تزوج من ابنته ولكن حتى هذه الصلات لم تحل دون تدبير اغتياله وبهذا تخلص من أكبر عدون له ، الحاجب المصحفى والقائد غالب ، ثم استدار لصقالبة القصر فتخلص منهم وشردهم بل امتد طموحه إلى شخص هشام المؤيد نفسه فحجر عليه وحال بينه وبين الناس وانفرد بالأمر فى الدولة كلها [٢].

أدركت السيدة صبح أم الخليفة هشام خطورة السياسة التى ينتهجها المنصور بن أبى عامر تجاه ابنها هشام والأسرة الأموية كلها ، فبدأت تدبير المؤامرات للإطاحة به ، فقامت بجمع ثمانين ألف دينار ذهبًا وفضة للاستعانة بها ضد الحاجب المنصور[٣] .

غير أن ابن أبى عامر علم بما تدبره له السيدة صبح فأسرع بإرسال ابنه عبد الملك على رأس قوة من الجند استولت على هذه الأموال[٤] .

وهكذا سيطر المنصور على رسوم الخلافة[٥] حتى أصبح القوة الوحيدة فى العاصمة بل أراد أن يمتد سلطانه إلي صميم الدولة نفسها فى العاصمة والأقاليم[٦].

استطاع المنصور ابن أبى عامر كذلك أن ينشر نفوذه فى الجيش الأندلسى نفسه ليصبح أداة من أدواته خاضعًا لمشيئته يحمى سلطانه وينفذ مأربه ولتحقيق ذلك أدخل تطورًا خطيرًا فى تكوين الجيش الأندلسى التقليدى - وسيكون هذا معول هدم فى تاريخ الأندلس - فقد كان هذا الجيش يتألف من عدة طوائف منها أجناد العرب الذين يفدون من أقاليم الدولة كلما وضحت الحاجة إليهم وكانوا فى الحقيقة عصب الجيوش وروحه المعنوية ثم طائفة ثانية من

= بالنصارى للدفاع عن نفسه ، ولكنه قتل فى معركة بين رجاله ورجال ابن أبى عامر . راجع ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦٩ وما بعدها ، وراجع : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢١٦ ، هامش رقم (١) ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٦٢ - ٢٧٩ .

١ - ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٦٢، ٢٧٩ .

٢ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦٢ ، ابن بسام : الذخيرة ص ٤٣ .

٣ - ابن بسام : الذخيرة ، ص ٥٢ .

٤ - ابن بسام : الذخيرة ، ص ٥٣ - ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٤٨ .

٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٧٥ ، حسن محمود : تاريخ الغرب الإسلامى .

٦ - ابن بسام : الذخيرة ، نفس الجزء ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

المرتزقة من الصقالبة أو غيرهم وكان هؤلاء فى الحقيقة هم القوة الضاربة ولكن كانت تنقصهم الروح المعنوية والإيمان بالحرية التى لابد منها لكى يكون الإنسان جنديًا وطنيًا ، ثم الطائفة الثالثة وهم المطوعة وكانوا فى الغالب حشودًا غير منتظمة تتقدم الجيش وتقوم ببعض الأعمال العسكرية الهامة وفى الغالب كان القواد يلقون بهم فى المراكز الخطرة أو يجعلونهم فى الطليعة .

وقد بدأ المنصور بإبعاد العرب عن الجيش فكأنه فى الحقيقة أفقد الجيش روحه المعنوية وقوته الضاربة الحقيقة . واستعاض عنهم بالمرتزقة والنازحين من البربر ثم امتدت يديه إلى الطائفة الثانية فأبعد الصقالبة القدماء وشتت شملهم من القصر الخلافى(١) وولى صقالبة غيرهم ممن يرضاهم هو ، عرفوا باسم الفتيان أو المماليك العامرية (٢)، وكأنه بذلك أبعد طوائف من العسكريين كانوا قد اتقنوا القتال وعرفوا أساليبه وأتى بجماعات جديدة كانت تحتاج إلى فترة طويلة من التدريب لتصل لنفس المستوى (٣).

هذا بالإضافة إلى أن ولاءهم مأجور ، وهؤلاء إحساسهم بالوطن واهن ، ولم يكن للقاعدة العريضة من الجماهير دور طليعى ، بل مجرد مادة مهيأة للثورة ، حين يبلغ السوء مبلغه ، وتنحدر الحال إلى قدر لا يحتمل ، وهو ما حدث بعد ذلك أيام الفتنة كما سنرى .

توفى الحاجب المنصور (٤) (٣٩٢هـ / ١٠٠٢م) وتولى منصب الحجابة من بعده ابنه عبد الملك(٥) ولقب بسيف الدولة وبالمظفر(٦) .

---

١ – ابن بسام : الذخيرة ، ق٤ ، جـ١ ، ص ٤٤ .

٢ – ابن الخطيب : أعما الأعلام ، ص ؟؟؟

٣ – حسن محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ؟؟؟ .

٤ – يعلق كل من دوزى وبروفنسال على وفاة الحاجب المنصور بقولهما " مات المنصور ودفن فى النار " .
Levi Provencal , Histoire de L'Espagne T. II, p. 120 - 283, Dozy : Histoire de L'Espagne T.II, p. 120 - 283 ; Dozy : Histoire des Musulamns, d'Espagne, T.II, 265 .

– راجع : سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٢٨ ، عبد الحميد العبادى : المجمل فى تاريخ الأندلس ، ص١٥٣ .

٥ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٣ ، ابن الخطيب ، ص ٨٠، ٨١ ، " لما علم هشام بموت ابن أبي عامر استقدم ابنه عبد الملك وأمره بقمع حركة الفتيان الصقالبة الذين استغلوا هذه الفرصة فثاروا يستعيدوا نفوذهم القديم ، راجع ابن بسام : الذخيرة ، ص ٥٩ .

٦ – المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ٩٠، ٩١ ، ابن عذارى: المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

ورث عبد الملك كثيراً من صفات والده فاستوثق له الأمر واجتمع الناس عليه لعدله وإنسانيته وحمايته للشرع فقد تقرب إلي قلوب الناس بأن أسقط سدس الجباية على البلاد(١).

هذا وقد اتبع عبد الملك خطة أبيه فى اصطناع البربر من العدوة واستخدامهم فى جيشه حتى أصبحوا فى أواخر عصر الخلافة قوة هائلة(٢) ستكون معول هدم للخلافة الأموية فى الأندلس .

كذلك سار عبد الملك على نفس سياسته أبيه من الاستبداد بالسلطة والحجر على الخليفة هشام المؤيد ، فكان هذا مظهراً من مظاهر ضعف الخلافة الأموية وقتذاك .

هذا ومما زاد من ضعف الخلافة الأموية فى الأندلس ، تقلد عبد الرحمن ابن محمد بن أبي عامر الذى تولى منصب الحجابة بعد وفاة أخيه عبد الملك سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م ولاية العهد(٣) فخرج شنجول ، يزعم أن الخليفة نص على توليه عهده صراحة ، وأنه اختاره للخلافة دون بنى عمه وبنويه ، إذ ليس له ولد يؤمل خلافته(٤) ، وفى اليوم التالى استدعى طبقات أهل قرطبة وأجلس لهم الخليفة هشام وأشهدهم فيما أمضاه من الولاية ، وأخرج كتاباً قرئ بحضرته(٥) من إنشاء كاتب الرسائل أبى حفص أحمد بن برد(٦) وقد هز هذا العمل الأندلس هزة عنيفة أدت إلى وقوع الفتنة وانتشار الفوضى وزوال السلطة العامرية .

ولم يغفر الأمويون لبنى عامر استبدادهم وحجرهم على الخليفة هشام المؤيد فسخط العامة والخاصة لتوليه عبد الرحمن المسمى شنجول ولاية العهد (٧).

---

١ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٩٧ .

٢ - ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

٣ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٣٨ .

٤ - سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٤٤ .

٥ - راجع نص هذا الكتاب فى ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٤ ، ٤٦ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٩٠ ، ٩١ .

٦ - هو أحمد بن برد أبو حفص الوزير الكاتب المعروف بابن برد الاكبر تميزاً له عن حفيده ابن برد الأصغر وكان الجد رئيساً مقدماً فى الدولة العامرية توفى ٤١٨هـ ، راجع الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١١١.

٧ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، ..Dozy : Spanish Islam, pp. 539 ,540

سار عبد الرحمن على سنة أبيه وأخيه فى الاستبداد بالسلطة والحجر على الخليفة هشام المؤيد ، فقد كان عبد الرحمن شنجول فاجرًا كثير المجون ، مجاهرًا بشرب الخمر[١] ، وهكذا حفر شنجول قبره بنفسه[٢] ، إذ أن فكرة اغتصاب الخلافة من أسرة بنى أمية فى حد ذاتها كانت وحدها كفيلة بإثارة أهل الأندلس عليه ، ولم يتوارد إلى ذهنه أن أبا منصور ابن أبى عامر أو أخاه عبد الملك المظفر لم يفكر أحدهما قط فى اغتصاب الخلافة ، رغم أعمالهما العظيمة ومآثرهما العديدة وإمكانياتهما المتوفرة فى الظفر بها وكانت النتيجة وابلاً عليه فقد أدى هذا التحول الخطير فى سياسة عبد الرحمن شنجول إلى اندلاع نيران الثورة فى الأندلس – فقد أثار هذا الاعتداء حفيظة الأندلسيين الذين كانوا يؤثرون أن يحكمهم خليفة وأن يتعاقب الخلفاء من أسرة واحدة ، كما أغضب الأمويين الذين عز عليهم تحول ملك آبائهم عن بنى أمية إلى بنى عامر لذلك رفعوا راية العصيان على عبد الرحمن شنجول[٣] ومضوا إلى الخليفة (هشام المؤيد) وحتموا عليه أن يقبض على زمام الأمور بيديه الضعيفتين وقد صعب على هشام المؤي أن ينتزع فجأة من عزلته فى قصره بعد أن قضى فيها ثلاثين عامًا سجينًا مغتبطًا بسجنه فتوسل إليهم ألا يطلبوا منه المستحيل غير أنهم أصروا على ما يطلبوا فأطاعهم على الرغم منه بيد أنه حين ظهر للناس جميعًا أن هذا الرجل كان أضعف طفل طلبوا إليه أن يعتزل ، فقام الأمير الأموى محمد بن هشام بن عبد الجبار " فتى بنى أمية بالدعوة لنفسه[٤] منتهزًا غياب الحاجب عبد الرحمن شنجول سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م عن قرطبة فى إحدى غزواته[٥] فثار مع نفر من أصحابه وقاموا بالاستيلاد على مقاليد السلطة واستولوا على قصر الخلافة بقرطبة ، وأرسل الأمير الأموى محمد بن هشام بن عبد الجبار إلى الخليفة

---

١ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٤٧ .

٢ – سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .

٣ – المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٦ .

٤ – الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٩ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٧٠ .

٥ – يذكر ابن الخطيب أنه لما تحرك (أى عبد الرحمن شنجول) إلي الغزو سنة ٣٩٩هـ نصحه فتاه الأكبر فى ترك الغزو وخوفه من اضطراب الناس عليه ، ونقل إليه عن بعض المروانيين بصيحة فى محاولة رجل منهم للقيام عليه واستجاب عدد كبير من الجند إليه ، فأعرض عبد الرحمن عما ذكره فتاه واستهان به : "والله لو اجتمع بنو مروان إلى مرقدى وأنا نائم ما أيقظونى " ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٢ .

هشام المؤيد يأمره بخلع نفسه فاستجاب له الخليفة هشام[١] وتنازل له عن الخلافة بعد أن مكث فيها ثلاث وثلاثين عامًا وبضعة أشهر فقام الفقهاء والوزراء بمبايعة الأمير محمد بن هشام الذى تلقب بألقاب الخلافة وحمل لقب المهدى "[٢] ولم يتخل أحد عن بيعته[٣] . ولما علم شنجول ببيعة المهدى بالله عاد من غزواه فى الشمال وكان كلما اقترب من قرطبة انفض عنه جماعة من جيشه حتى صار فى قلة من أصحابه ... وقبضت عليه فرقة من جيشه وقطعت رأسه[٤] وحملوها إلى المهدى وبذا زالت السلطة العامرية إلى غير رجعة[٥] والمدة الباقية من العصر الأموى بالأندلس تعرف بعصر الفوضى ومن اسمها نستطيع أن ندرك ما أصاب البلاد من ثورة وفتنة ففى المدة من ٣٩٩هـ ٤٢٢هـ / ١٠٢٩م تولى أمر الأندلس عدد من الخلفاء الأمويين يزيد على عدد من تولى منهم خلال القرون الثلاثة الماضية وهذا يدل دلالة واضحة عن مدى ضعف وهيبة الخلافة وانقسام البلاد وتفككها وظهور العنصرية بشكل واضح فهناك البربر والصقالبة والأندلسيين من أهل قرطبة ، وأسرة بنى حمود التى قدمت من إفريقية فى تلك الفترة :

هذا وقد اعتمد الخليفة المهدى فى بناء دولته الجديدة علي أرذال العامة واستوزر رجالاً من الطبقة الدنيا عارض بهم أجناد الدولة ، أهل الدربة والحنكة ، وقد استبد هؤلاء العوام ، وركبهم الغرور فأساءوا إلى قواد الجند ووجوه الناس ولم يميزوا بين أعلاهم وأدناهم [٦].

---

١ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، جـ٣ ، ص ١١١ : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٥ ، ٦ .

٢ – نسبة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، (لقبه) المهدى (وكنيته) أبو الوليد ، (أمه) أم ولد اسمها مزنة ولقبها كبارة وتعرف بالعرجاء لخلع كان بها ، ولقب نفسه بالمهدى ولقبته العامة ، المنقفش لهشاشته وطيشه وخفته وهو كان باب الفتنة وسبب الشقاق والنفاق (عمره) ثلاث وثلاثون سنة، (خلافته) ولى مرتين الأولى يوم خلع هشام بن الحكم الثانى يوم قيامه يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وانخلع لسليمان بن الحكم فى النصف من ربيع الأول سنة أربعمائة ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٥٠ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٦.

٣ – ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص٥٣ ، ٦٤ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، جـ٣ ، ص ١١١ وما بعدها .

٤ – المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٦ .

٥ – المقرى : المصدر السابق ، جـ١ ، نفس الصفحة .

٦ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

وزاد الأمر سوءًا حين عمد الخليفة المهدى إلى الإساءة إلى البربر والبطش بهم أينما وجدوا مما زاد من حنقهم عليه وكرههم الشديد له فكانوا يضمرون له الشر ويترقبون الفرصة المتاحة للخروج عليه ، وفى ذلك يقول بعضهم (١).

قَــدْ قَــامْ مَــهْــدِيُّنا ولكنْ بمِلّة الفــسق والمُجُــونِ

وشـــارَك النـاسَ فى حــــريمٍ لوْلَاه مـــا زال بالمصُــونِ

مَنْ كان من قبلِ ذا أجّـــــما فاليوْمَ قد صار ذا قُرُونِ

كذلك عهد الخليفة المهدى إلى إخراج حوالى سبعة آلاف جندى من الجيش وأمر بقطع أرزاقهم(٢) وإسقاطهم من ديوان العطاء .

وهنا بدأت النفوس تنحرف عن طاعته ، وازداد الأمر سوءًا عقب كتابه واضح العامرى(٣) إليه بالطاعة من طليطلة ، فزاد هذا من جبروته وأخرج الخليفة المؤيد من قصره وأسكنه ببعض دور الملك ، وأحضر للناس رجلاً ميتًا قيل إنه يهودى أو نصرانى وزعم أنه هشام المؤيد ، وشهد الوزراء والعدول على ذلك (٤) ، وكان هشام بن سليمان الناصر وهو والد سليمان ولى العهد قد حقد على محمد بن هشام لاستهتاره وسوء خلقه ، يقول ابن عذارى(٥) " وكان حمد بن هشام بن عبد الجبار قد أظهر من الخلاعة والضعف ... واستعمل له من الخمر مائة خابية واستعمل له مائة بوق للزمر ومائة عود للضرب واشترى له صقلى كان يتعشقه " فلخذ يدبر لخلعه فاقام له معسكرًا بفحص السرادق(٦) خارج قرطبة ، وتلقب بالرشيد(٧) ، وانضم إليه

---

١ – المقرى : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

٢ – ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٢ – ١١٣ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٧٥ ، وكان هؤلاد الجند من الفتيان العامريين فاستقروا بشرق الأندلس .

٣ – ويسمى الفتى واضح وهو أحد القواد الصقالبة فى الدولة العامرية وكان يلى مدينة سالم والثغر الأوسط كله ، راجع : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٧٦ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٧٧ .

٥ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٧٩ ، ص ٨٠ .

٦ – هو أحد متنزهات قرطبة المشهورة ، يذهب إليه الناس لتنزه والتسرية عن النفس " راجع سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٤٩ هامش ١ .

٧ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٨٢ .

جماعة من الحاقدين على الخليفة المهدى وعلى رأسهم البربر(١) ، أما العامة فتعصبوا للمهدى ونشبت بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة هشام بن سليمان وبعض رجاله وقام المهدى بقتلهم جميعا(٢) واشتعلت بذلك نيران الفتنة بقرطبة بين البربر والعامة من الأندلسيين وشجع الخليفة المهدى بين عبد الجبار العامة على تقتيل البربر أينما وجدوا ، فقامت مذبحة بشعة قتل فيها عدد كبير من البربر واضطروا إلى الخروج من قرطبة إلى الثغر(٣) .

وكان ممن فر من بنى أمية عقب مقتل هشام بن سليمان ابن أخيه سليمان ابن الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، فالتف حوله البربر ورشحوه لتولى الخلافة مكان المهدى وبايعوه ولقبوه بالمستعين بالله (٤) ونظرًا لقلة جند سليمان من البربر فقد استعان بالجند المرتزقة من نصارى الشمال واستطاع أن يهزم المهدى وجنده فى موقعة قنتيش(٥) وأن يدخل قرطبة فى ربيع الأول

---

١ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، جـ٣ ، ص ٢٦١ .

٢ - الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٠ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٨٤ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٧ .

٣ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٨١ ، ٨٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣١ : Levi Provencal, Histoire, T, II, p.307 .

٤ - الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٠ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٥ ، ابن عذارى : نفس المصدر: جـ٣ ، ص ٥١ ، . Dozy : Spanish Islam, pp. 550 - 551 .

٥ - هو موضع إلى شمال شرقى القُليعة Alcalca غير بعيد من ملتقى وادى أرملاط Gualmellato المعروف بالوادى الكبير ، وتعتبر موقعة قنتيش من المعارك الحاسمة ، فقد كانت أولاً قاضية على خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدى وعلى كل أمل فى إعادة الخلافة الأموية ، وكانت ثانيًا مؤكدة لانقسام العسكر الأندلسى إلى قسمين رئيسين متعادين البربر فى ناحية والأندلسيين فى ناحية أخرى وقد انهزم فيها محمد بن عبد الجبار المهدى والأندلسيون هزيمة قاصمة وانتصر البربر تؤيدهم فرقة من النصارى يقودها الكونت سانشو غرسيه ودخلوا قرطبة وعاثوا فيها وبعد ذلك مباشرة شعر حكام النواحى الأمل فى إعادة السلطة المركزية ، فبدأ كل منهم يستقل بناحيته ، لهذا فإننا نستطيع اعتبار تاريخ هذه المعركة وهو ١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ / ٣ نوفمبر ١٠٠٩م المبدأ الحقيقى لفترة الطوائف ، راجع : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٦ .

Levi Provencal. Hist de L'Espagne Musalman, II, 810, et. n. I.

سنة ٤٠٠هـ / نوفمبر ١٠٠٩م[١] ويبايعه أهل قرطبة فى المسجد الجامع ، وأنفذ كتبه إلى سائر أنحاء شبه الجزيرة بخبر فتحة قرطبة ، ويالغ فى قهره لأهلها واستراقه دمائهم إرهاباً للناس وإنذار لهم .

ولما استقرت دعائم ملكه ، رحل إلى طليطلة فى ١١ جمادى سنة ٤٠٠هـ / آخر يناير سنة ١٠١٠م ليزيل الخلاف بينه وبين أهلها تمهيداً لدخولهم فى طاعته ، ولكنه لم ينجح فى مهمته لتمسك أهل الثغر لطاعة المهدى وواضح الفتى [٢].

وكان واضح قد خرج من مدينة سالم ومضى إلى طرطوشة قريباً من الحدود الفاصلة بين الثغر وإقليم قطالونية ، واتفق مع قومس برشلونة ريموند بوريل الثالث ، وأخيه أرمنجول يسميه العرب أرمقند Armengol de urgel Raimond Borrall على أن يساعداه حربياً نظير شروط مجحفة[٣] وهكذا تقدم جيش واضح مع جيش حلفائه النصارى إلي سرقسطة ، ثم سار بهم واضح إلى طليطلة حتى ينضم إليهم ابن عبد الجبار ، ومن هناك زحفت جيوشه نحو قرطبة . وذكر ابن عذارى أن جيش ابن عبد الجبار كان يبلغ وقتئذ نحواً من ٣٩ ألف فارس ، منهم تسعة آلاف من النصارى [٤].. وخرج سليمان المستعين للقائهم على رأس جيشه البربرى بعد أن تخلى أهل قرطبة عن نجدته . والتقى الفريقان فى موضع يعرف بعقبة البقر[٥] وفيها انهزم سليمان وجيشه البربرى وكبد البربر أعدائهم خسائر جسيمة ؛ فتراجعت

---

١ – ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، هامش ، ص ٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٨٧ .
Murphy : History of the Mohammedan Empire, P. 115 .

٢ – تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٥٢ .

٣ – عن هذه الشروط : راجع : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٩٣ ، ابم الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٤ ، . Levi Provencal : Histoire, T, II, p. 313, Aguado Bleye, p. 506 - 507 ، سالم : تاريخ المسلمين واثارهم ، ص ٣٥٢ – ٣٥٣ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٩٦ ..

٥ – عقبة البقر ، اليوم Eivacar وهو حصن على عشرين كليو متراً شمال قرطبة إلى الجنوب الغربى قليلاً . وقد ذكرها الإدريسى باسم " دار البقر " وكانت الموقعة فى ٥ شوال ٤٠٠هـ / ٢٢ مايو ١٠١٠ وبعدها مباشرة دخل محمد بن عبد الجبار المهدى قرطبة وهرب منها البربر وبدأت خلافته الثانية ، راجع ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٧ ، هامش رقم (١) .

حشود البربر إلى الجزيرة الخضراء(١) ، بينما فر المستعين إلى شاطبة(٢) حيث تحصن بها مع من بقى من البربر ، فتعقبهم المهدى ومعه واضح الصقلى حاجبه ، حتى وادى ياروجة(٣) قرب مضيق جبل طارق ، حيث دارت رحى معركة عنيفة فى ذى القعدة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م وهزم فيها المهدى(٤) وعاد إلى قرطبة حيث قبض عليه حاجبه واضح الصقلى فى ٨ ذى الحجة من نفس العام وقتله وأعلن هشام المؤيد خليفة للمرة الثانية وتولى واضح الحجابة فى ٩ ذى الحجة سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م (٥).

وحاول هشام المؤيد استمالة البربر ، فأرسل رأس المهدى إلى سليمان المستعين داعياً أياه إلى ترك الفتنة والدخول فى طاعته(٦) ولكنه رفض دعوة هشام المؤيد وأطلق يد البربر على قرطبة والزهراء يسلبون وينتهبون فقاموا بمهاجمة المدينة قرطبة والانتقام من أهلها (٧)، فقد كان البربر يضمرون حقداً لأهل قرطبة لما ارتكبوه فى حقهم وخاصة فى فترة خلافة المهدى وهكذا شدد البربر الحصار على قرطبة وقطعوا عنها المؤن حتى استبد بهم الجوع وعدمت

---

١ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٩٥ .

٢ - ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ١١٥ .

٣ - Guadiaro ويعرف بوادى السقائين ، راجع : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٥ .

٤ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٩٨ .

٥ - النباهى : (أبو الحسن بن عبد الله) تاريخ قضاة الأندلس ، المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفيتا ، نشره ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٨٦ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٧ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٦ ، ويذكر د. سالم أن من أسباب تغير الحاجب واضح على المهدى هو طمعه فى أن يقوم بدور المنصور ابن أبى عامر بالنسبة لهشام المؤيد خاصة بعد أن فشل أمام البربر واستغراقه فى الفسق والفجور . راجع سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٥٤ ؛ Levi Provcencal : Histoite, T. II, p. 314 عن قتل واضح الخليفة المهدى راجع أيضاً ، ابن بسام : الذخيرة ، ص ٣٢ ، ابن الآبار : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٥٠ .

٦ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٠ ، ص ١٠١ .

٧ - ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٣٢ ، المراكشى : المعجب ، ص ٤٣ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

المأكل[١] ثم ساروا إلى مدينة الزهراء غربى قرطبة سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م[٢] فهاجموها وقتلوا معظم الجند بها ، حتى ضج أهل قرطبة وازدادت نفوسهم حقداً على البربر واضطر الخليفة هشام المؤيد إلى بيع نخائر قصره للحصول على السلاح والمال[٣] وفى تلك الأثناء وصل رسول سانشو غريسه أمير قشتالة إلىّ قرطبة يطلب تسليمه الحصون المتفق عليها نظير ما قدمه من المساعدات ، فوافق الخليفة هشاك على ما طلب وقام بتسليمه حوالى مائتين من الحصون [٤].

أما البربر فقد ظلوا على حصارهم لمدينة قرطبة وازدادت الحالة سوءاً ولم يستطيع الحاجب مواجهة الحصار والهجمات التى لا تنقطع على المدينة فخشى على نفسه وحاول الهرب ولكن بعض الجند تمكنوا من اللحاق به وحاول الخليفة هشام المؤيد أن يباشر أمور الدولة بنفسه والاستغناء عن منصب الحاجبة[٥] غير أنه لم يستطيع النهوض بأعباء الدولة فى مثل تلك الظروف المضطرمة . وهكذا اشتد البربر فى تعسفهم ضد أهل قرطبة واستمروا فى حصارهم وواصلوا هجماتهم على المدينة وأعملوا السيف فى الرقاب[٦] ونشروا الخراب والدمار فى كل شيء ، فاضطر أهل قرطبة إلي طلب الأمان وخرج القاضى ابن ذكوان مع بعض الفقهاء إلى سليمان المستعين ورؤساء القبائل البربرية ، وطلبوا منهم الأمان ، فأمنوهم وطلبوا منهم أموالاً كثيرة [٧]. وأمام ذلك كله دخل سليمان قصر قرطبة فى ٢٧ شوال سنة ٤٠٣هـ واستحضر هشام المؤيد بالله ووبخه على نكثه العهد فاعتذر هشام بأنه مغلوب على

---

١ – المراكشي : نفس المصدر ، ص ٤٣ ، ابن الأبار : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٧ .

٢ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٢ .

٣ – ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

٤ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٧ .

٥ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٥ .

٦ – ابن عذارى : نفس المصدر، جـ٣ ، ص ١١٢ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٩ ، ٢٠ ، اتبن بسام : الذخيرة ، ص ٩٣ ، ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة رقم ٥٢٦ .

٧ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١١٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٤٣٨ .

أمره[١] وتنازل له عن الخلافة ، وانتهى الخليفة هشام المؤيد إلى مصير مجهول اختلف فيه المؤرخون[٢] .

استتب الأمر للمستعين نوعمًا ما ، بيد أن الحالة ازدادت سوءًا مع ازدياد نفوذ البربر الذين سيطروا على كافة أمور الدولة واستأثروا بالمناصب العليا ووخضع الخليفة المستعين لرغباتهم ونزواتهم فقسم بعض كور الأندلس على قبائلهم مما أدى إلي تمزق وحدة البلاد مع توالى انحلال قوة الخلافة وانحدارها نحو الهاوية ، فقد منح صنهاجة مدينة البيرة وبقيت فى يد حبوس وذريته من بعده وأعطى بنى يفرن وبنى برزال جيان[٣] وما حولهما أما بنى دمر واندراجة فقد أعطاهم المستعين مدينة شنونة[٤] ومرور وأعطى منذر بن يحيى سرقسطة[٥] واستقر على بنى حمود فى سبتة وأخوه القاسم بن حمود فى طنجة وأصيلاً والجزيرة الخضراء[٦] .

هذا ولم يعد البربر يهتمون بالولاء للخلافة الأموية بل أخذوا يتدخلون فى شئونها سالبون سلطانها ، فقوى بذلك نفوذهم واشتد خطرهم[٧] أما الصقالبة فقد استقلوا ببعض مدن شرق الأندلس[٨].

---

١ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١١٣ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٨٠ .

٢ - يرى ابن حزم : نقط العروس ، ص ٨٧ ، الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٤٦ أن الخليفة هشام المؤيد قتل سرًا ، أما ابن عذارى : جـ٣ ، ص ١١٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٨١ فلا يجزمون بقتله ، عن مصير هشام المؤيد انظر ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٥١ ، المراكشي : المعجب ، ص ٢٢ ، ٢٥ ، ابن الأثير : نفس المصدر ، جـ٩ ، ص ٨١ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٩٤ .

٣ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١١٣ .

٤ - شنونة مدينة بالأندلس وهى من أعمال إشبيلية ، راجع ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٣٢٩ .

٥ - راجع ابن المردبوس : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١١٣ .

٦ - ابن عذارى : نفس المرجع ، جـ٣ ، ص ١١٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٩ .

٧ - ابن عذارى ك نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة .

٨ - سالم : نفس المرجع ، ص ٣٥٦ ، Dozy: Spanish Islam, p. 562 ، أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى إسبانيا ، ص ١٧ وما بعدها .

وهكذا أمست الخلافة الأموية فى الأندلس ممزقة الأوصال منقسمة على نفسها بين البربر والأمويين والصقالبة فطمع فيها الطامعون ، إذ رأوا فى ضعفها على تلك الصورة فرصة لتحقيق أطماعهم . وكان على رأس هؤلاء الطامعين على بن حمود الحسنى الذى كان قد تولى سبتة من قبل الخليفة سليمان المستعين ، فأرسل إلى خيران العامرى صاحب المرية كتاباً زعم فيه أنه تلقاه من الخليفة هشام المؤيد يوليه فيها ولاية عهده ، وقام الخليفة هشام المؤيد بإسال هذا الكتاب سراً إلى سبتة[١] .

استجاب خيران العامرى والفتيان العامريين من الصقالبة لعلى بن حمود وبايعوه ودعوا له بولاية العهد ، أما على بن حمود ، فأعلن تمرده على الخليفة سليمان المستعين ودعا لهشام المؤيد على منابر سبتة وطنجة [٢].

سار على بن حمود من سبتة إلى مالقة واستولى عليها [٣].

ولكى يضمن كسب أنصار له من الصقالبة وأهل قرطبة أعلن أنه ما جاء إلا لنصرة هشام المؤيد[٤] ، ودخل قرطبة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م[٥] وذلك بمساعدة الصقالبة والبربر .

وقام على بن حمود بقتل الخليفة سليمان المستعين وأخيه ووالدهما وجعل رؤوس الثلاثة فى طشت ونادى هذا جزاء من قتل هشام المؤيد ، ثم دعا لنفسه وبويع بالخلافة وتلقب بالناصر لدين الله [٦].

---

١ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١١٤ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢١ ، ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، مجلد ١ ، ص ٢٦ ، ٢٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٤١ .

Levi Provencal, L'Esp. Musul. T, II, pp. 563, 564 .

2 - Codera : Tradato de Mumismatica Arabig - espanola Madrid 1879, p. 116 - 117 .

٣ - المراكشى : المعجب ، ص ٤٤ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٠ .

٤ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

٥ - ابن عذارى ك نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٢١ .

٦ - ابن عذارى : جـ٣ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، المراكشى : المعجب ، ص ٤٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، طبعة بيروت ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، كمال السيد أبو مصطفى : التاريخ السياسى للجزيرة الخضراء ، ص ٤٥٧ ، ص ٤٥٨ .

Seco de lucena, los Hammudies Sendes de Maiaga Y Algeciras. Granada 1953, p. 19 .

لكن خيران العامرى لم يلبث أن انقلب على الخليفة على بن حمود وثار عليه وسار إلى شرق الأندلس ودعا للأمويين هناك .

وفي ٤٠٧هـ / ١٠١٧م استقدم خيران العامرى من مدينة بلنسية رجلاً من بنى أمية يدعى عبد الرحمن بن محمد ، ورشحه لمنصب الخلافة وتلقب بالمرتضى(١) .

ولم يلبث الصقالبة بدورهم أن انقلبوا على بن حمود وقتلوه سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٨م(٢).

وأرسل زعماء البربر من زناته إلى أخيه القاسم بن حمود يخبرونه بنبأ وفاته ، فحضر من إشبيلية فدخل قرطبة وبويع بالخلافة فى ٨ ذى القعدة سنة ٤٠٨ / ١٠١٨م وتلقب بالمأمون .

وإزاء سطوة البربر وثوراتهم المستمرة زحف يحيى بن على بن حمود من سبتة ودخل قرطبة ، فخشى على نفسه ، فهرب إلى إشبيلية فى ٢٢ ربيع الثانى ٤١٢هـ/١٠٢٢م.

دخل يحيى بن على بن حمود قرطبة فى مستهل جمادى الأولى سنة ٤١٢هـ / ١٠٢٢م وبويع بالخلافة وتلقب بالمعتلى(٣) والتزم يحيى سياسة تقوم على تجنب العصبية واتباع العدل والإنصاف ، لكن سرعان ما ركبه الغرور ، وداخله الإعجاب بنفسه فساءت حاله(٤) ، أما القاسم بن حمود فقد استقر فى إشبيلية حيث بويع بالخلافة وأصبح هناك خليفتان ، واتفق كل منهما على أن يعترف بالآخر (٥).

---

١ – الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٧ ، المراكشى : المعجب ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٤٦ .

٢ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، العميرى : جذوة المقتبس ، ص ٢٢ ، ابن بسام : الذخيرة ، جـ١ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ص ٤٨٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥١ .

٣ – راجع تلك الحوادث بالتفصيل ، ابن بسام : الذخيرة ، جـ١ ، بيروت ١٩٧٩م ، ص ٤٨٢ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، الحميدى : الجذوة ، ص ٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ابن حزم : نقط العروس ، ص ٥١ ، المراكشى : المعجب ، ص ٥٠ .

Levi Provencal : L'Espagne musul. T.II, p. 332 ; Ben Aboud, Asabiyya & Social Reiations in al Andalus, Hesperis, fasc, I, Vol. XIX, p. 14 Prietoy vives losreyes de Taifas, Madrid, 1926, p. 26 .

٤ – ابن بسام : الذخيرة ، قسم (١) مجلد (٢) ، ص ١٤ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٦٠ .

٥ – ابن حزم : نقط العروس ، ص ٨٠ .

لم يدم هذا الوضع طويلاً ، فقد ثار البربر على يحيى المعتلى بالله ٤١٢هـ / ١٠٢٣م فغادر قرطبة إلى مالقة وتسمى هناك بأمير المؤمنين ، أما البربر فقد استدعوا عمه القاسم بن حمود الذى تلقب بالمأمون وجددوا البيعة له (١).

ضاق أهل قرطبة بالحموديين لضعفهم ولتمكينهم البربر الذين سيطروا على كافة أمور الدولة ، فأعلنوا الثورة والعصيان ولم يستطيع الخليفة القاسم الصمود أمام ثورة أهل قرطبة فاضطر إلي اللجوء إلي إشبيلية ، ولكن أهل إشبيلية لم يرحبوا به وأغلقوا أبواب المدينة دونه(٢) فاتجه إلى بلدة شريس(٣) حيث قتله يحيى بن أخيه(٤) .

أما أهل قرطبة فقد عمدوا إلى مبايعة خليفة لهم من الأسرة الأموية فقاموا بترشيح ثلاثة ممن بقوا على قيد الحياة وهم سليمان ابن المرتضى ومحمد العراقى وعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ووقع الاختيار على سليمان بن عبد الجبار واتخذ لقب المستظهر بالله(٦).

لكن لم يستطع الخليفة المستظهر القيام بشئون الخلافة ، فقد غلب عليه الجند الذين قويت شوكتهم وازدادت سطوتهم ، وتدهورت أحوال البلاد الاقتصادية ، وفرغت خزائن الدولة ، كما حقد عليه أعيان أهل قرطبة حين استعان بغيرهم من الفتيان فى وظائف الدولة (٧). كما حقد

---

١ – الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٣ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٣ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٣١ ، ص ٤٣٢ .

٢ – الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٩ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٣ .

٣ – مدينة كبيرة من كورة شذونة (بالأندلس) وهى قاعدة هذه الكورة واليوم يسمونها شرش .

٤ – الضبى : نفس المصدر ، ص ٢٩ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٥ ، ١٤٢ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٣ .

٥ – الضبى : نفس المصدر ، ص ٣١ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٦ ، ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

٦ – الضبى : نفس المصدر ، ص ٣١ ، ابن حزم : نقط العروس ، ص ٥١ .

٧ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٧ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٤ ، ابن بسام : نفس المصدر والصفحة .

عليه عامتها لترحيبه بالبربر فى قرطبة[١] فثار عليه الجند وقتلوه فى قصره سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٤م[٢].

ولما مات الخليفة المستظهر قام الجند بمبايعة ابن عمه محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله بن الناصر بالخلافة[٣].

وتلقب بالمستكفى بالله[٤] ولم يكن المستكفى على شىء من الكفاية السياسية أو الحربية بل كان سيئ الخلق والسيرة ، وأساء المستكفى إلى رجال الدولة فهرب كثيرون منهم من قرطبة ولجئوا إلى بلاط يحيى بن حمود بمالقة [٥]، وشجعوه على السير إلي قرطبة ليضع حداً لتلك المحن [٦].

سمع القرطبيون هذه الأنباء وكانوا قد سئموا حكم المستكفى فدخل عليه الوزراء والفقهاء وطلبوا منه الخروج لمواجهة يحيى المعتلى ولكنه لم يستطع وخشى على نفسه فهرب مستخفياً[٧] ثم قتل[٨] .

وظلت قرطبة بعد هرب المستكفى وقتله حوالى ستة أشهر دون خليفة فسار الخليفة يحيى المعتلى وصاحب مالقة ودخل قصر قرطبة فى رمضان سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م [٩]، وبقى بها

---

١ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٨ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٥ .

٢ - الحميدى : الجذوة ، ص ٢٦ ، الضبى : نفس المصدر ، ص ٣١ ، ابن بسام : الذخيرة ، قسم (١) مجلد (١) ص ٣٨ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٥ .

٣ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٩ ، ١٤١ .

٤ - ابن حزم : نقط العروس ، ص ٤٩ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ٣٣ .

٥ - ديوان ابن شهيد : ص ٤١ ، ٤٢ .

٦ - ديوان ابن شهيد : نفس الصفحات .

٧ - الحميدى : الجذوة ، ص ٢٧ ، الضبى : نفس المصدر ، ص ٣٣ .

٨ - ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ١٤٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٦ ، المراكشى : المعجب ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

٩ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٤٣ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٦ .

مدة ثم تركها إلى مالقة وأبقى فى قرطبة وزيريه أحمد بن موسى وبدوناس ابن أبى روح وحامية صغيرة من البربر لتدبير أمورها(١) .

غضب أهل قرطبة لوجود البربر داخل مدينتهم ووقوعها فى قبضتهم فهاجموا البربر وتمكنوا من الفتك بهم بمساعدة خيران العامرى صاحب المرية ومجاهد صاحب دانية وقتلوا منهم نحو ألف (٢).

ثم اجتمع أهل قرطبة وفقهاؤها على رد الأمر إلي بنى أمية فاتفقوا على مبايعة هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر(٣) أخى عبد الرحمن المرتضى واتخذ لقب المعتمد بالله (٤).

ازداد حال الخلافة سوءاً فى عهد الخليفة المعتمد الذى انشغل باللهو وترك شئون الحكم لوزيره حكم بن سعيد القزاز(٥) الذى أساء إلى أهل قرطبة وعلماءها وفقهائها واستبعد رجالاتها من الوظائف الهامة ، كما صادر أموال التجار وأغدق على البربر(٦) وقطع أرزاق الجند(٧) فقتله الجند سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م سار كبار الوزراء بزعامة ابن حزم ابن جهور إلى القصر وأعلنوا إبطال الخلافة وإزالة الأمويين وطردهم من قرطبة(٨) فنودى فى الأسواق ألا يبقى أحد من الأمويين ولا يحميهم أحد (٩).

---

١ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٤٣ ، ١٤٥ ، Levi Provencal, L'Espan. Musul. T. II, p. 336 - 337 .

٢ – ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٠٩ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٤٣ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٧ ، الحميدى : الجذوة ، ص ٢٧ ، الضبى : البغية ، ص ٣٤ .

٣ – الحميدى : نفس المصدر ، ص ٢٧ ، الضبى : نفس المصدر ، ص ٣٤ .

٤ – المراكشى : المعجب ، ص ٥٧ ، الحميدى : نفس المصدر ، ص ٢٨ ، الضبى : نفس المصدر ، ص ٣٤ ، ابن حزم : نقط العروس ، ص ٥٦ .

٥ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٨ .

٦ – ابن عذارى : البيان ، جـ٣ ، ص ١٤٦ .

٧ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٩ .

٨ – الحميدى : الجذوة ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ٣٤ ، ابن عذارى : البيان ، جـ٣ ، ص ١٤٦ ، ص ١٥٠ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٨ ، ص ١٣٩ . R.Dozy. Spanish, p. 589.

٩ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٥٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٩ .

أما الخليفة المعتمد ، فقد سجن مع أهله لبضعة أيام فى الجامع يعيش على الصدقة(١) ، ثم أبعد عن قرطبة وانتهى به المطاف إلى سليمان بن هود الجزامى المتغلب على لاردة وسرقسطة وإفراغة وطرطوشة(٢) فأكرمه وبقى عنده ، حتى توفى فى صفر سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م ، ودفن بناحية لاردة وكان خلعه يوم الثلاثاء ١٢ ذى الحجة سنة ٤٢٢هـ / ٣٠ نوفمبر سنة ١٠٣١م(٣) فكان آخر الخلفاء الأمويين ، وبخلعه انتهت الدولة الأموية بالأندلس .

ولقد نتج عن سقوط الدولة الأموية بالأندلس ١٣٨هـ - ٤٢٢م / ٧٥٥م - ١٠٣١م إلى تمزق الوحدة الإسلامية بين مسلمى الأندلس ، فبعد أن كان الأندلسيون يخضعون لمظلة دولة واحدة أصبح هناك العديد من الإمارات أو الدويلات المستقلة التى قامت على أنقاض الدولة الأموية فاستقل كل أمير بناحيته ، وأعلن نفسه أميرًا عليها فأظل البلاد عصر ملوك الطوائف (٤). وبذا أصبح لكل مقاطعة أمير مستقل وذهبت فى الهواء تلك الوحدة التى جمع بها كل من الخليفة الناصر ، والحكم المستنصر والحاجب المنصور ابن أبى عامر مختلف الأهواء والأحزاب ولقد كان لهذه الإمارات المستقلة عدة اتجاهات عصبية فنعم البربر بجنوب الأندلس وأخضع الصقالبة شرقها أما بقية البلاد فقد سقطت فى أيدى محدثى النعمة والنفوذ أو بعض

---

١ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٠٩ ، المراكشى : المعجب ، ص ٥٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٥١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٩ .

٢ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٠٩ ، المراكشى : المعجب ، ص ٥٨ .

٣ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٤٥ .

٤ - اصطلح المؤرخون على تسمية هذا العصر بعصر ملوك الطوائف أو عصر الفتنة أو عصر الفرق كما أطلقوا على أمراء الطوائف لقب زعماء الفتنة أو أمراء الفرقة الهمل .

- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٩٤ ، ٢١٩ ، ص ٢٥٤ ، ابن الكرديوس : أبو مروان عبد الملك بن الكرديوس التوزرى : تاريخ الأندلس لابن الكرديوس ووصفه لابن الشباط : تحقيق أحمد مختار العبادى : نشر معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، سنة ١٩٧١م ، ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق٣ ، جـ(١) ، ص ٢٥ ، عبد الله بن بلقين : التبيان المعروف بمذكرات الأمير عبد الله ، ص ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٩ .

الأسر المولدة القديمة[1] الى أفلتت من ضربات الخليفة عبد الرحمن الناصر والمنصور بن أبى عامر .

١ - منطقة قرطبة ويحكمها بنو جهور (٤٢٣هـ - ٤٦٠هـ) (١٠٣٠م - ١٠٦٨م) إشبيلية ويحكمها بنو عباد : (٤١٤ - ٤٨٤هـ) (١٠٢٣ - ١٠٩١م) غـرناطة ويحكمـهـا بنوزيرى : (٤٠٣ - ٤٨٣ هـ) (١٠١٢ - ١٠٩٠م)، طليطلة ويحكمها بنو ذى النون : (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) (١٠٣٥م - ١٠٧٥م) ، بلنسية ويحكمها العامريون (٤١٢ - ٤٧٨هـ) (١٠٢١ - ١٠٨٥م) ، سرقسطة ويحكمها بنو هود : (٤١٠ - ٥٢٦ هـ) (١٠١٩ - ١١٣٣م) بالإضافة إلى عدد كبير من المدن والأقاليم أعلنت استقلالها عنهم ، راجع محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس (عصر ملوك الطوائف) ص ٤٦٠، ٤٦٤ ، أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ، لين بول : الدولة الإسلامية ، القسم الأول ص ٦٢ ، ٧٤ ، عبد الحليم عويس : ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ، ص ٢٤ .

الخاتمة

ثمة قاعدة انتهى إليها علماء التاريخ هو أن الإسلام إذا بلغ أرضاً استقر فيها إلى الأبد وكانت إسبانيا وصقلية الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة ...

ويرجع سقوط الأندلس - ذلك الحدث الفريد - إلى تضافر عدة أسباب كثيرة ، لعل أهمها التكوين العنصرى للشعب الأندلسى موضوع البحث .

فقد احتوى الشعب الأندلسى على كثير من العناصر المختلفة ، فهناك أهل البلاد الأصليين، سواء مسلمين أو مسيحين عرفوا باسم المولدين ، وهناك العرب والبربر والصقالبة ، وكل عنصر من هذه العناصر ينتمى إلى جنس قائم بذاته ولكل منهم لغته الخاصة وعاداته . هذا وإن كانت المصاهرة قد قربت بين تلك العناصر بعض الشيء إلا أنه بقى هناك من مظاهر الاختلاف والتنافس ما يكفى لقيام الصراع بينهما ونشوب الثورات إذا ما حانت الفرصة .

هذا ولم تجيء حركة الفتح العربى لإسبانيا عفواً ولا كانت مجرد مغامرة ، بل جاءت وليدة تخطيط محكم ودراسة واعية ، وكان البربر أول من دخل الأندلس ، فقد كان جيش طارق معظمه من البربر ، فاحتملوا صدمة الفتح الأولى واتصلت هجراتهم إلى بلاد الأندلس ، وبعدهم جاء العرب ، يمنية ومضرية مع موسى بن نصير أولاً ، ومع بلج بن بشر القيسى فيما بعد وفى أفواج قليلة مع عبد الرحمن بن معاوية الداخل بعد ذلك .

لكن بعد أن هدأت موجة الفتوح تجددت قصة النزاع القديم بين المضرية واليمنية تلك النعرة القبلية التى كانت قد هدأت فى أثناء الحروب التى خاضها العرب فى الأندلس لم تلبث هذه العصبية أن انطلقت من رمادها ، وتأثر بها الخلفاء فى دمشق كذلك ، فكثيراً ما خضع تعيين الأمراء فى مناصبهم أو عزلهم أو قتلهم لهذه النزعة وهكذا حمل العرب معهم صراعهم إلى الأندلس فكانت هذه الصراعات وابلاً على المسلمين هناك .

ثم إن هناك عنصراً اضطر أن يحسب له حساب وهو عنصر البربر ... الذى يرجع له الفضل فيما أحرزه طارق بين زياد من انتصارات مكنت للعرب فى الأندلس كما سبق أن ذكرنا .

فقاموا بثورات ضد العرب وقاومهم مندفعين فى ذلك إلى إحساسهم بالظلم وعدم المساواة بينهم وبين العرب وبعد أقل من نصف قرن من الزمان ، ومع قدوم عبد الرحمن بن معاوية ، وتوليه الإمارة ، استقل الأندلس وأصبح دولة لا سلطان لأحد عليها واستطاع الأمير عبد الرحمن أن يقضى على عوامل الفرقة والتنافس التى اجتاحت الأندلس طوال عصر الولاة ولكن إلى حين فبعد وفاته تجددت تلك الصراعات مرة أخرى وكانت السياسة التى سار عليها الأمويون هى تطبيق لأركان سياسة الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل من حرص على الوحدة الوطنية للبلاد .

وكان نوع المشاكل التى واجهوها هى نفس المشاكل التقليدية التى ظهرت مع الوجود العربى فى الأندلس .

الدائبن التقليديين الصراع بين العرب القيسية واليمنية من ناحية والصراع بين العرب والبربر من ناحية أخرى .

فلم يكف العرب اليمانية أو القيسية عن الثورات طيلة وجودهم فى الأندلس ، تحدوهم أمالهم التقليدية فى الغلبة والسيادة ومحاولة إخضاع الأمويين لنفوذهم وسلطانهم وكانت قوة العرب تظهر على السطح سافرة فى بعض الأحيان أو مستترة حين أخر .

مستترة خلف الخارجين من البيت الأموى نفسه من أبناء عبد الرحمن أمثال سليمان أو عبد الله أو متحالفة مع حركات البربر أو الموالى أو المستعربين أيضاً .

هذا وقد أطلت اليمانية برأسها قبل وفاة عبد الرحمن بن معاوية فحاربهم وقضى على ثوراتهم كما قضى على ثورات القيسية أيضاً ، وبعد وفاة عبد الرحمن مباشرة أطلت ثورات العرب مرة أخرى فانتشرت ثوراتهم فى برشلونة وسرقسطة ، ولم يكن هشام بن عبد الرحمن أقل من أبيه رغبة فى إخضاعهم لنفوذه وسلطانه ، فقد أرسل إليهم جيشاً كبيراً بقيادة عبد الله بن عثمان فانتزع سرقسطة من الثوار بعد أن أخضعهم لسلطان الإمارة عام ١٦٠هـ .

كذلك تجددت ثورات العرب فى عهد الحكم بن هشام ١٨١هـ فى نفس المناطق تقريباً ، سرقسطة والثغر الأعلى .

ولم يكن بطش الحكم بهؤلاء الثوار أقل من بطش أبيه لهم ومع هذا لم تهدأ فتنة العرب فى عهد الحكم ، وبعد وفاته أطلت فتنتهم مرة أخرى فى عهد الأمير عبد الرحمن الثانى الأوسط ،

وانطلقت الفتنة العربية فى تدمير إذا وقع الخلاف بين القيسية واليمانية وقامت المعارك بينهما وقتل الكثير من الفريقين ، وبعث عبد الرحمن إليهم حملة بقيادة يحيى بن عبد الله فلم ينجح فى القضاء على هؤلاء الثوار العرب الذين استمروا يتحدون سلطان الإمارة الأموية فى قرطبة ولم تهدأ هذه الثورات إلا فى عام ٢١٣هـ ، وكان موالى الأمويين ورجالهم الذين اصطنعوهم هم عدتهم فى هذا النضال المر من أجل تثبيت نفوذهم وسلطانهم .

ونتيجة لما اقترفه العرب من ثورات ومحاولات الاستقلال التى أقلقت السلطة الأموية ، فقد استبعد الخليفة عبد الرحمن الناصر وخلفائه من بعده العنصر العربى ، فقضوا على نفوذ العرب تماماً واستغنيا عن أبناء البيوتات وأذلا كبار الرجال من العرب ، واستعاض عنهم بولاء الرقيق من الصقالبة والنازحين من البربر وهؤلاء وأولئك ولائهم مأجور وإحساسهم بالوطن واهن .

هذا وقد واجه أمراء هذا العصر مشكلة أخرى وهى البربر وقد ذاقوا منهم مثل ما ذاقوا من العرب وكان يغلب نفوذهم فى المناطق الشمالية والغربية والجنوبية أيضاً هذا ولم يترك البربر فرصة إلا وانتهزوها لبث أحقادهم ومناوأة الأمويين سلطانهم وكانوا فى معظم الأحيان يؤلبون المولدين من أهل البلاد أو المعاهدين من النصارى .

وقد أطلت الفتنة البربرية برأسها فى عهد الحكم بن هشام حينما استطاع عمه.سليمان أن يحشد البربر لتأمين حقه فى الإمارة وسار بهم نحو قرطبة ليلقى الهزيمة النكراء قرب العاصمة وذلك ١٨٣ هـ .

وفى عهد عبد الرحمن الثانى (الأوسط) الذى لم يكن أقل حرصاً من القضاء على البربر من أسلافه وستظل المشكلة البربرية كامنة طوال عهد عبد الرحمن لتظهر فى عصر الضعف الأول بعد وفاة الأمير عبد الرحمن وهو ما عرف باسم عصر الطوائف الأول إلى أن يأتى الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر) ويقضى على هذه الثورات ويعيد للأندلس وحدتها القومية .

وحين عجز البربر عن تحقيق أهدافهم فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، دعوا فى بداية القرن الخامس الهجرى إلي فوضى اجتماعية عمت البلاد ، فعمدوا إلى المعالم الحضارية يخربونها وشاركوا فى تمزيق وحدة البلاد وكان على أيديهم إبطال الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة والأشراف بالأندلس على الهلكة .

وفيهم يقول ياقوت " والبربر أجفى خلق الله وأكثرهم طيشاً وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصفادهم لنمق الجهالة ولم تخل جبالهم من الفتنة وسفك الدماء قط ، ولهم أحوال عجيبة واصطلحات غريبة وقد حسن لهم الشيطان الغوايات وزين لهم الضلالات حتى صارت طبائعهم إلى البطالة مائلة وغرائزهم فى صد الحق فكم من ادعى فيهم النبوة فقبلوا وكم زاعم فيهم أنه المهدي الموعود به فأجابوا داعية ولمذهبه انتحلوا ، وكم ادعى فيهم مذهب الخوارج - فإلى مذهبه بعد الإسلام انتقلوا ثم سفكوا الدماء المحرمة ونهبوا الأموال واستباحوا الرجال لا بشجاعة فيهم معروفة ولكن بكثرة العدد وتواتر المدد .

وهذا نتيجة لتصور الحياة الإسلامية فى الأندلس فقد ظهرت مشكلة المولدين ظهوراً واضحاً فى ذلك العهد وكان سبب ظهور قوة المولدين أنهم أحسوا بأنهم مضيعون فى دولة هم أصحابها الحقيقيون وكانت حقوقهم تهدر على مر الأيام وذلك حين اتجه أمراء بنى أمية فى الاعتماد على الموالى من الصقالبة والبربر فى إدارة شئون دولتهم ، فى الوقت الذى زادت فيه أعداد المولدين باطراد الدخول إلى الإسلام الذى مضى سريعًا نحو الانتشار فازدادت أعدادهم فى الريف وكانت أشد ظهوراً فى المدن الكبرى مثل قرطبة وطليطلة ، واعتقد هؤلاء المولدون أنهم هم العرب الذين ورثوا أنساب أبائهم وأصبح هذا الجيل الثالث أو الرابع من المسلمين شديد الأثر فى حياة البلاد ، فشعروا بمركب النقص وأنهم مبعدون عن أمور الدولة وتقاليدها فزادت الهوة بينهما وبين أمراء بنى أمية اتساعًا .

وقد شهدت الأندلس ذلك الانفجار المروع الذى قام به المولدون فى عصر الحكم بن هشام ، إذا شهدت قرطبة ثورة عارمة قام بها المولدون والتى لم يسبق لها مثيل وقد عرفت هذه الثورة ثورة الربض وهى تعتبر من أهم الثورات الاجتماعية التى عرفتها الحياة الإسلامية فى الأندلس .

وبذلك شارك المولدون العناصر الأخرى فى إنهاء الحكم الإسلامى فى الأندلس ، فقد كان أولئك المولدون يحاولون غاية واحدة هى القضاء على الوجود العربى فى الأندلس عن طريق استنزاف قوته فتوالت ثوراتهم فى كل ناحية من نواحى البلاد وكانت طليطلة أكثر مناطق المولدين ثورة على الحكم الأمكوى ، ولكن أهم هذه الثورات جميعًا كانت ثورة عمرو بن حفصون التى أخذت من عمر البلاد الكثير إلى أن قضى عليها الخليفة عبد الرحمن الناصر .

ومن غير شك أن تلك الثورات قد كلفت الدولة ثمنًا باهظًا من الدماء والأموال ، وحالت دون تجمع الجهود وتعبئة القوة الإسلامية كلها لمناهضة العدو المتربص فى الشمال والذى لم يفتر حتى كان له ما أراد من القضاء على نفوذ المسلمين فى الأندلس وإخراجهم منها بعد زمن طويل مكثوه فى ربوعها .

أما الصقالبة فكانوا أيضًا من العناصر المشاركة فى إنهاء الوجود الإسلامى فى الأندلس.

فقد عرف استخدام الصقالبة فى جميع مراحل التاريخ الأندلسى ، وكان الحكم بن هشام الربضى ١٨٠ هـ - ٢٠٦هـ . قد أعلا ذكرهم عندما اتخذ منهم حرسًا خاصًا له أما الخليفة عبد الرحمن الناصر فكان عهده عهد السيادة الصقلبية فكان منهم مستشاريه ومدبرى أمور دولته وقواده فى الجهاد والغزو وإخضاع الفتن ، كما كان منهم ولاة الثغور والكور الأندلسية .

وفى عهد الخليفة الحكم المنتصر (٣٥٠هـ - ٣٦٦هـ) زاد نفوذ الصقالبة ، فكان منهم صاحب خيلة والمشرف على مكتبته وقائد حروبه .

أما عهد المنصور ابن أبى عامر ٣٦٦هـ - ٣٩٢هـ فكان بداية نكسة للصقالبة فأبعدهم وحل محلهم البربر لكنه فى النهاية رأى حاجته الملحة إليهم فعاد لاصطناعهم ، ولما توفى المنصور ابن أبى عامر ، زادت منزلة الصقالبة وارتفعت مكانتهم فى عهد ابنه عبد الملك المظفر ، فعلى قدرهم فتكالب هؤلاء الصقالبة الذين عرفوا باسم الفتيان العامريين على الحكم والاستبداد بالسلطة فبدأ الصراع بينهم وبين البربر ، وانقلبوا إلى أداة مخربة وتشبهوا فى ذلك مع البربر والمولدين .

ومع ضعف الخلافة الأموية ازداد نفوذ الصقالبة فسيطروا على شئون الحكم وتدخلوا فى تعيين الخلفاء وعزلهم وقتلهم ، فعندما أحسوا بضعف الخليفة المهدى بن عبد الجبار ، تحولوا عنه وقتلوه وردوا الخلافة لهشام المؤيد ظنًا منهم بأن الأمور ستكون إلى جانبهم وهكذا كان الصقالبة سهمًا من السهام ويدًا من الأيدى التى قضت على الوجود الإسلامى فى الأندلس .

ولقد تحقق هدفهم فى القضاء على الخلافة الأموية فى الأندلس لينتقموا من هؤلاء الذين استبعدوهم وحولوهم إلي عبيد أرقاء ولما توزعت الطوائف فى البلاد الأندلسية استأثر الصقالبة بشرقها وانشئوا فيها الممالك .

وهكذا نرى أن كل عنصر من العناصر المختلفة فى الأندلس حاول الوصول إلى تحقيق أهدافه على حساب أمن الخلافة واستقرارها فشاركوا جميعًا فى إنهاء الوجود الإسلامى فى الأندلس .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

مجهول : مخطوط وصف الأندلس وتاريخه

– مخطوط الخزانة العامة بالرباط حت رقم ٥٨ حـ ، ورقة ٢٦ .

ثانيًا : المصادر :

ابن الأبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ٦٥٨هـ : التكملة لكتاب الصلة ، جـ١ ، نشر مكتبتى الخانجى بالقاهرة وبغداد ١٩٥٦م.

– الحلة السيراء : تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣م.

ابن أبى دينار القيروانى (محمد بن القاسم الرعينى القيروانى) : المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ، ط١ ، تونس ١٢٨٦هـ .

ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم) ت ٦٣٠ هـ : الكامل فى التاريخ ، طبعة القاهرة ، ١٣٥٣هـ ، وطبعة بيروت ، ١٩٧٦م ، ١٩٧٨م ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٣م.

الإدريسى (محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف) ت ٥٤٨هـ " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، روما ١٩٧٧م ، المسمى صفة المغرب والأندلس ، ونشر دوزى R.Dozy ودى غويه De Goje ليدن ١٨٦٦ ، ١٨٦٤م ، نشر دار صادر بيروت .

ابن بسام (أبو الحسن) ت ٥٤٣هـ : تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧١م ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م ، الجزء الأول ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٣٩م والجزء الأول القسم الثانى ، القاهرة ١٩٤٢م ، والجزء الرابع ، القسم الأول ، القاهرة ١٩٤٥م.

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ٥٧٨هـ : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، القاهرة ١٩٦٦م ، الصلة نشره

دون فرنسسكو كوديرة ، الجزء الأول والثانى مدريد ١٨٨٣م ، ط١٠ ، القاهرة ١٩٦٦ ، نشر عزت العطار ١٩٥٠م .

البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ : جغرافيا الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق الحجى ، بيروت ١٩٦٨م.

– المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك ، طبعة ١٨٥٦م ، نشر دى سلان ١٩١١م ونشر مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ .

ابن بلقين (عبد الله) : التبيان عن المحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة نشره ليفى بروفنسال ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٥م .

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد) ت ٤٥٦هـ : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٨م ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣م.

– نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق شوقى ضيف ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٥١م.

– طوق الحمامة فى الألفة والآلاف ، تحقيق فاروق سعيد ، بيروت ١٩٧٥م ، تحقيق الطاهر أحمد مكى ، القاهرة ١٩٩٣م.

– رسالة فى فضل الأندلس ، ضمن ثلاث رسائل فى فضائل الأندلس ، تحقيق صلاح المنجد، بيروت ١٩٦٨م.

ابن حيان (أبو مروان بن خلف القرطبى) ت ٤٦٩م : المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، تحقيق محمود على مكى ، بيروت ١٩٧٣م.

– المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق ملشور أنطونية ، باريس ١٩٣٧م .

– المقتبس جـ ٥ ، تحقيق شالميتا وآخرون ، مدريد ١٩٧٩م.

– المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٥م.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على) ٣٦٧هـ : كتاب صورة الأرض ، نشر مكتبة الحياة بيروت ، ١٩٧٣م.

الحميدى (أبو عبد الله محمد بن أبى نصر) ت ٤٨٨ هـ : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، القاهرة ١٩٦٦م.

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ٨٦٦ هـ : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، حققه إحسان عباس ، بيروت.١٩٧٥م / ١٩٨٤م.

– صفة جزيرة الأندلس مأخوذة من الروض المعطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ : المقدمة طبعة ، ١٩٧١م ، طبعة بيروت ١٩٧٩م .

– كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر طبعة بولاق ١٤٨٤هـ ، وطبعة بيروت ، طبعة ١٩٧١م.

ابن الخطيب (لسان الدين) ٧٧٦ هـ : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (ق إ) نشر ليفى بروفنسال ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٦م .

– الإحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ٤ أجزاء ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٣م.

– اللمحة البدرية فى الدولة النصرية .

– مشاهد لسان الدين ابن الخطيب (مجموعة من رسائله) نشر أحمد مختار العبادى ، الإسكندرية ١٩٨٥م.

الخشنى (أبى عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى) ٣٦١هـ : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية نشر عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٩٥٢م .

– قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م ، المكتبة الأندلسية .

الرازى : وصف الأندلس ، نشر ليفى بروفنسال .

ابن سعيد (المغربى الأندلسى) ت ٦٧٣هـ : المغرب فى حلى المغرب ، جزءان ، تحقيق شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٦٤م.

– الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠م ، الجزائر ١٩٨٢م .

ابن سعيد (محمود ابن سعيد مقديس الصفاقسى) ت ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م : نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار ، تونس ١٣٢١هـ .

ابن سماك العاملى (أبو القاسم محمد) النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى : الزهرات المنثورة فى نكث الأخبار المأثورة تحقيق محمود على مكى ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد مجلد رقم ٢٠ ، ١٩٧٩ - ١٩٨٠م .

الشقندى (إسماعيل بن محمد) : رسالة فى فضائل الأندلس وأهلها ، ضمن ثلاث رسائل ، تحقيق صلاح المنجد ، بيروت ١٩٦٨م.

الشهرستانى (محمد بن عبد الكري) ت ٥٤٨هـ : الملل والنحل ، شرح وتحقيق محمد بن فتح الله بدران ، مطبعة الأزهر ، ١٩٧٤م ، طبعة ١٩١٧م.

ابن سعيد (أحمد بن مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر) ت ٤٢٦هـ : ديوان ابن شهيد الأندلسى ، تحقيق يعقوب ذكى ، مراجعة محمود على مكى ، دار العربى للطباعة والنشر بدون تاريخ ، القاهرة .

ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) ت نهاية القرن السادس الهجرى : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثانى ، تحقيق عبد الهادى التازى ، بيروت ، جـ١ ، ١٩٦٤م ، وطبعة ١٩٧٩م ، الجمهورية العراقية .

الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) ت ٥٥٩هـ : بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس ، المكتبة الأندلسية ، مصر ١٩٦٧م.

الطبرى (محمد بن جرير) ت : تاريخ الأمم والملوك ، طبعة مصر ١٣٩٩هـ ، طبعة ليدن نشره دى غوييه ، ١٨٩٣م .

ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشى) : البيان المغربى فى أخبار الأندلس والمغرب ، جـ٢ ، تحقيق ح . س . كولان وليفى بروفنسال ، بيروت بدون تاريخ ، وجـ٣ ، تحقيق بروفنسال ، بيروت بون تاريخ ، دار الثقافة ، بيروت .

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن) ٢٧٦هـ : فتوح إفريقية والأندلس نشر مع الترجمة الفرنسية البير جاتو الجزائر ١٩٤٨م ، طبعة بيروت ١٩٦٤ ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع .

العذرى (أحمد بن عمر) ت ٤٧٨هـ : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ١٩٦٥م.

العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى) ت ٧٤٨ : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار " وصف إفريقية والمغرب والأندلس " ، تحقيق حسن عبد الوهاب ، تونس ١٩٢٤م.

ابن غالب (محمد بن أيوب الأندلسى) توفى فى القرن السادس الهجرى : كتاب فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى بد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد١ ، جزء ٢ ، ١٩٥٥ ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٠م.

ابن الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد) ت ٤٠٣هـ : تاريخ علماء الأندلس ، القاهرة ١٩٦٦م.

أبو الفدا(الملك المؤيد عماد الدين) ت ٧٣٢هـ : كتاب تقويم البلدان اعتنى به وفحصه وطبعه رينوم أرسلان باريس ١٨٤٠م.

النويرى (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم التميمى القرشى) ت ٧٣٢هـ : كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء الثانى والعشرين ، نشر جسبار راميرو ، غرناطة ١٩١٦ ، ١٩١٧م.

القلقشندى (أبو العباس أحمد) ت ٨٢١هـ : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة ١٩١٣م.

ابن القوطية (محمد بن عمرو بن عبد العزيز) ت ٣٦٧هـ : تاريخ افتتاح الأندلس تحقيق عبد الله أنيس الطباع : بيروت ١٩٧٥م ، طبعة رابيرا مدريد ١٨٦٨م ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، الطبعة الأوى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، الناشرون دار الكتب الإسلامية .

ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) ت ٦٨١هـ : تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط ، نصان جديدان ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، نشر معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٧١م.

المراكشى (عبد الواحد بن على) ت القرن السابع الهجرى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربى ، القاهرة ١٩٤٩م ، طبعة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

أبو المحاسن (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى) ت ٨٧٤هـ : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة طبعة دار الكتب ١٩٥٦م،

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان ، بولاق ١٢٧٠هـ .

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) ت ٣٤٦هـ : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة .

المقرى (شهاب الدين أحمد بن أحمد) ت ١٠٤١م : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، تحقيق إحسان عباس ٨ أجزاء ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، تحقيق يوسف البقاعى ، بيروت ١٩٨٦م.

مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق ونشر لافونتى القنطرة ، مدريد ١٨٦٧م.

مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، نشر وتحقيق لويس مولينا ، جـ١ ، مدريد ١٩٨٣م.

مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، ١٩٥٨م.

مجهول : نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموعة المسماة بمفاخر البربر اعتنى بتصحيحها ليفى بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤م .

مجهول : وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، تحقيق حسين مؤنس ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، مجلد ١٠ ، ١٩٦٥م.

مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية مجهول من أهل القرن الثامن الهجرى ، تحقيق شهيل زكار وعبد القادر زمامة . دار الرشاد ، الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

مجهول : مدونة من عصر عبد الرحمن الثالث الناصر :

Una cromica Anonima de Aabd Al Rahman III al NAsir .

نشرها وقام بدراستها وترجمها إلى الإسبانية الاستاذان ليفى بروفنسال وأميلو جرثيه جومث ، مدريد ١٩٥٠م.

الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحى) ت ٩١٤هـ : المعيار المغرب والجامع المغربى عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس ١٢ جزء ، مطبعة الشافعية ، بدون تاريخ ، فاس .

اليعقوبى (أحمد بن يعقوب بن واضح) ت ٢٩٢هـ : كتاب البلدان ، نشر دى غويه ، المجموعة الجغرافية ، ليدن ١٨٩١ - ١٨٩٢م .

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت٦٢٦هـ : كتاب معجم البلدان ، طبع ونشر دار صادر ، بيروت .

ثالثًا : المراجع العربية :

أحمد إبراهيم الشعرواى : الأمويون أمراء الأندلس الأول ، القاهرة ١٩٦٩م.

أحمد بدر : تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، دمشق ١٩٧٤م .

- دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دمشق ١٩٧٢م.

أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ١٩٦٨م.

- الصقالبة فى إسبانيا ، مدريد ١٩٥٣م .

- البحرية الإسلامية فى المغرب الأندلسي بالاشتراك مع عبد العزيز سالم ، بيروت ١٩٦٩م.

جودة الركابى : فى الأدب الأندلسى : القاهرة ١٩٧٥م.

حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى (عصر الولاة) القاهرة ١٩٧٧م.

حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، الناشر ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٢م.

حمدى عبد المنعم حسين : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة فى عصر الإمارة الأموية ، الإسكندرية ١٩٨٨م.

- ثورات البربر فى الأندلس فى عصر الإمارة الأموية ، الإسكندرية ١٩٩٣م.

حسين مؤنس : فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩م.

سامى مكى العانى : دراسات فى الأدب الأندلس ى ، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره ١٩٧٨م.

سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، دار المعارف ، مصر .

- الإسكندرية الإسلامية ، مقال فى كتاب محافظة الإسكندرية منذ أقدم العصور ، الإسكندرية ١٩٦٣م .

- المدينة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية ، القاهرة ١٩٦٣م.

سحر سالم : التاريخ السياسى لمدينة بطليوس الإسلامية ، طبعة أولى ، الإسكندرية ١٩٨٩م.

شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب فى سويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، بيروت ، ١٩٧٩م.

الطاهر أحمد مكى : خمسة قرون على الخروج من الأندلس ، بحث فى مجلة العربى ، العدد ٤٠٠ ، مارس ١٩٩٢م.

عبد الحميد العبادى : المجمل في تاريخ الأندلس ، القاهرة ١٩٦٤م.

عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ١٩٦٧م.

- أندلسيات ، المجموعة الأولى والثانية ، بيروت ١٩٦٩م.

عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، بيروت ١٩٦٢م.

- تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت .

- قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، بيروت ، جـ١ ، جـ٢ ، ١٩٧١م.

- المساجد والقصور فى الأندلس ، القاهرة ١٩٥٨م .

- تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، بيروت ، ١٩٦٩م.

المغرب الكبير : العصر الإسلامى ، الإسكندرية ١٩٦٦م .

- العمارة الدينية بالأندلس (الكنائس) دائرة معارف الشعب ، عدد ٦١ .

عبد الكريم التوانى : مأساة انهيار الوجود العربى فى الأندلس ، الدار البيضاء ، ١٩٦٧م.

كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٩٣م.

لطفى عبد البديع : الإسلام فى إسبانيا ، القاهرة ١٩٦٩م.

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس .

- العصر الأول - القسم الأول .

- العصر الأول - القسم الثانى .

- عصر ملوك الطوائف طبعة ثانية ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م.

- الاثار الأندلسية الباقية ، القاهرة ١٩٦١م.

محمد عبد المنعم خفاجة : قصة الأدب فى الأندلس جـ١ ، بيروت ١٩٦٢م.

محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٢م.

محمد كرد على : غابر الأندلس وحاضرها ، القاهرة ١٩٢٣م.

رابعًا : المراجع المعربة :

آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة عبد الهادى أبو ريدة ، بيروت ١٩٦٧م .

أ.س. ترتون : أهل الذمة فى الإسلام ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٣م.

دوزى : تاريخ مسلمى إسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٣م.

ستانلى لين بول : قصة العرب فى إسبانيا ، ترجمة على الجارم ، دار المعارف مصر ١٩٦٣م.

ليفى بروفنسال : الحضارة العربية فى إسبانيا ، ترجمة الطاهر مكى ، القاهرة ١٩٧٩م.

خامسًا : الدوريات والرسائل :

حسين مؤنس : قرطبة : مجلة العربى عدد ٩٥ ، الكويت ١٩٦٦م.

– ثورات البربر فى إفريقيا والأندلس ، مجلة آداب القاهرة عدد ١٠ ، ١٩٤٨م.

عبد الواحد ذنون طه : استقرار القبائل البربرية فى الأندلس ، مجلة أوراق يصدرها المعهد الإسبانى العربى للثقافة مدريد ، العدد الرابع ١٩٨١م.

محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، العدد الثانى ١٩٥٤م ،

رجب محمد عبد الحليم : دولة بنو حمود فى مالقة فى الأندلس ، رسالة ماجستير ، ١٩٧٦م آداب القاهرة .

سعد حسين عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ١٤٠٣ / ١٩٨٣ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

سادسًا : المراجع الأجنبية :

- Aguado Bleye : Manuel de la Historia de Espana, t. I, Madrid 1959 .

-R. Altamira : Histoire de Espana Y de la Civilizacion Espanola Barcelona 1900 .

- Ascbacb : Geschichte der Omajaden in Spanien .

- Conde : Historia de la Dominacion de los Arabes en Espana, Madrid (Madrid, 1820 - 1821) 3 Vols.

- R. Dozy : Spanish Islam Histoire des Musulmans d'Espagne, 3Vols, (Leyden 1932) .

- Jose Ramon Melida : Catalogo Manumental de Espana, Provincia de Badajoz. L. I . (Madrid, 1925) .

- Levi Provencal : Histoire de L'Espagne Musulmane , 3Vols, (Leiden, 1950)

L'Espagne Musulmane au xe, siecle, (Paris 1950) .

Les Memoires du Roi Ziride Abdallah, (Al-Andalus, 1935) .

Una Conica Anonima de Abd Al-Rahman Al Masir (Madrid, Granada 1950) .

- Maria J. Viguera : Aragon Musalmans (Sragoza 1981) .
- (G) Marcais : LaBerberie Musulmano (Paris 1946) .
- (R.M.) Pidal : La Espana del cid (Madrid) 1947) .
- (R,B) Serjeant : Islamic textiles Material for a History up to the Mongol Conquest .
- (F.G) Simonet : Historia de los Mazarabes de Espana, (Madrid 1903) .
- Scott : History of the Moorish Empire Vol. I, 1947 .
- (G.F) Seybold : Barshaluna Ency of Islam (1054) .
- (Elias) Teres : Dos Familias Marwanies de Al - Andalus .

فهرس المحتويات

رقم الإيداع ١٨٣٤٥ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 124 - 5

مطابع زمزم ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤
٥٣ شارع نوبار - باب اللوق